الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم: التاريخ

التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية 1519-1830م؛ مقاربة سياسية ثقافية.

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث

إعداد الطالبة الباحثة:
عائشة محمة

إشراف الأستاذ الدكتور:
صالح بوسليم

لجنة المناقشة

الرقم	اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
01	أ.د/إبراهيم بحاز	أستاذ	جامعة غرداية	رئيسا
02	أ.د/صالح بوسليم	أستاذ	جامعة غرداية	مشرفًا ومقررا
03	أ.د/عماربن خروف	أستاذ	جامعة البويرة	عضوا مناقشا
04	أ.د/حنيفي هلايلي	أستاذ	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
05	أ.د/خليفة حماش	أستاذ	جامعة الامير عبد القادر بقسنطينة	عضوا مناقشا
06	أ.د/رضوان شافو	أستاذ	جامعة الوادي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/2019-2020م

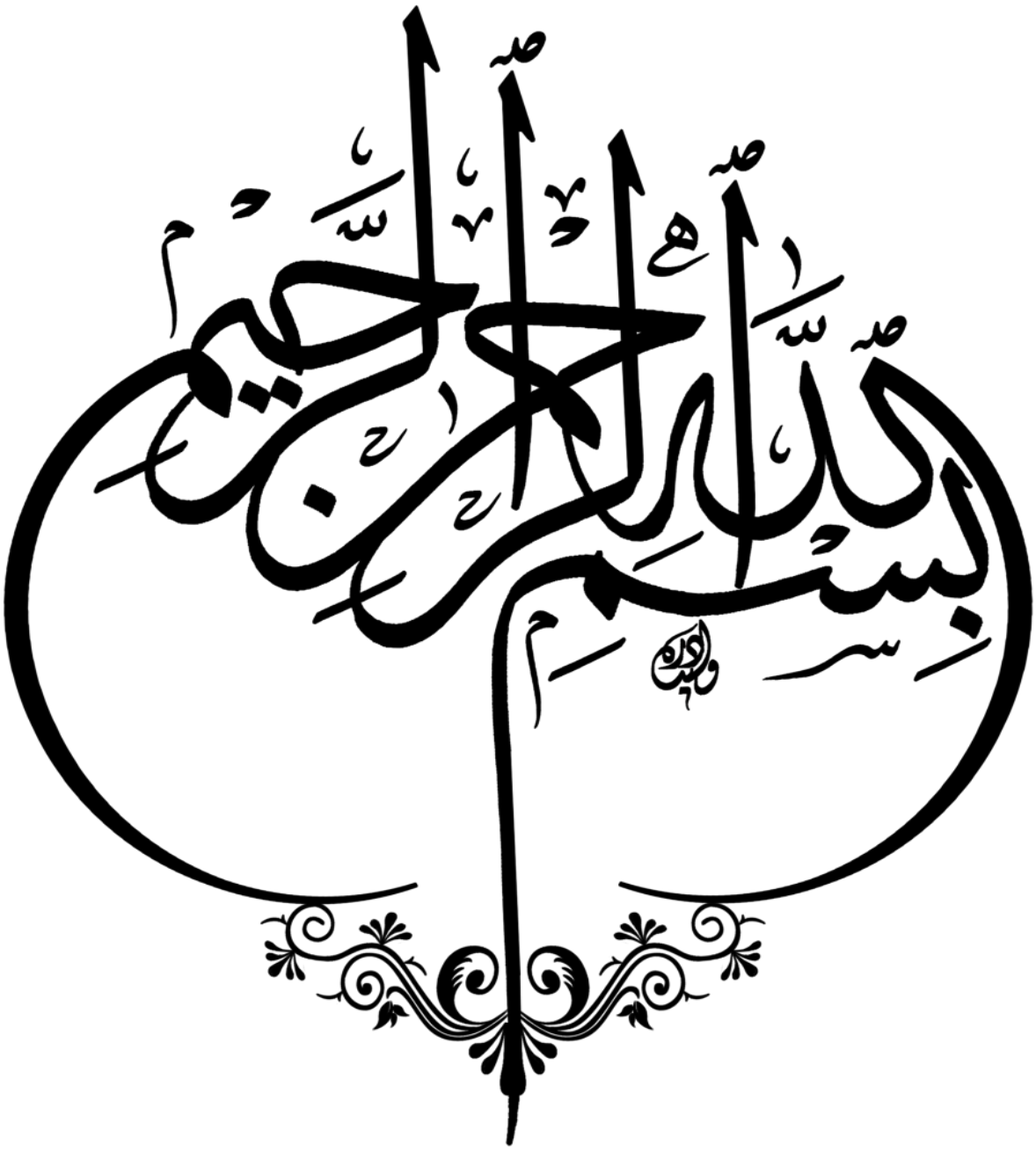
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــــداء

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

إلى روح أمي الغالية.....

إلى روح أبي الحبيب.....

تغمدهما الله تعالى برحمته الواسعة وأسكنهما فسيح جناته....

إلى إخوتي الأعزاء ونور عيوني وسندي في الحياة.....

أهدي هذا العمل.

شكر وتقدير

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،

وكما قال نبينا عليه أزكى الصلاة والسلام من لا يشكر الناس لا يشكر الله ،فإنه يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف: الأستاذ الدكتور صالح بوسليم الذي قبل الإشراف على أطروحتي وشرفني بقراءتها و تصحيحها دون كلل أو ملل، وأمدني بالنصائح والتوجيهات، ليس هذا فقط بل إنه قدم لي كل ما توفر لديه من مادة علمية بمختلف أنواعها، وصبر على كل أخطائي وزلاتي وتقصيري خلال إنجازي لهذه الأطروحة، فله مني جزيل الشكر وإن كان لساني حقيقة يعجز عن شكره وإيفائه حقه.

ولا يفوتني كذلك أن أتوجه بالشكر إلى الدكتور نواصر عبد الرحمن، الذي ساعدني ولم يبخل علي هو الآخر بالنصيحة والمادة العلمية. وأوجه شكري كذلك إلى زميلتي الأستاذة بيشي رحيمة التي ساعدتني هي الأخرى مساعدة قيّمة، والشكر موصول كذلك إلى زميلتي الأستاذة قريزة ربيعة على ما قدمته لي. وفي الأخير أتوجه بالشكر إلى كل من دعمني لإنجاز هذه الأطروحة.

الطالبة الباحثة: محمة عائشة.

قائمة المختصرات:

1)باللغة العربية:

الاختصار	المعنى
أ.و.ج	الأرشيف الوطني الجزائري
ت	توفي
تح	تحقيق
تع	تعريب
ج	جزء
د.ت	دون تاريخ
د.م.ج	ديوان المطبوعات الجامعية
س.ب.ب	سجلات بيت البايليك
ش.و.ن.ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتالية
ط	طبعة
ع	عدد
م	ميلادي
م. ت. م	مجلة التاريخية المغربية
م.ت.ع.د.ع	المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية
م.و.ف.م	المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
م.و.ف.م	المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
م.و.ك	المؤسسة الوطنية للكتاب
مج	مجلد
هـ	هجري

2)باللغة الأجنبية:

ANEP	Agence nationale d'édition et de publication
C.M	cahier de la méditerranée
CNRS	Centre nationale de la recherche scientifique
ed	Edition
ibid	Ibidem
N	numéros
O.P.U	Office des publications universitaires
Op.cit	Opere citato
p	Page
P.U.F	Presses universitaire de France
pp	Pages continues
R.A	Revue africaine
R.M .E	revue
R.O.M.M	Revue de l'occident musulman et de la méditerranée
R.T	Revue tunisienne
SNED	Société national d'édition et de diffusion
T	Tome
V	Volume

مقـــــــدمة

يعود التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس إلى أمد بعيد. وهو يندرج ضمن إطار شبكة من العلاقات التي كانت قائمة بين هذين البلدين على امتداد العصور. ولعل هذا التواصل الثقافي بين البلدين، لم يكن وليد الفترة العثمانية، وإنما تمتد جذوره إلى العصور السابقة؛ وذلك لعوامل متعدّدة، مثل التاريخ المشترك، ووحدة الدين واللغة، وتشابه العناصر السكانية وتوافد عناصر سكانية أخرى على البلدين؛ وهو ما انعكس بظلاله على الأحوال الثقافية فيهما. ومن هنا ارتأيت البحث في موضوع الأطروحة الموسوم بـ: "**التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية 926-1246هـ/1519-1830م؛ مقاربة سياسية ثقافية**". في محاولة لمعرفة ما إذا كانت العلاقات الثقافية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني قد احتفظت بالطابع الذي كانت عليه أثناء حكم الدولتين الزيانية والحفصية، أم أنها تغيرت بفعل العوامل الطارئة في البلدين. وهل قامت هذه العلاقات الثقافية بين البلدين بفعل التقارب الجغرافي والتاريخ والمصير المشتركان، أم كان المحفّز لها عوامل أخرى؟.

- **دوافع اختيار الموضوع:**

والحقيقة أن دواعي اختياري لهذا الموضوع عديدة، نذكر منها:

- أنه تولّد لدي شغف واهتمام كبير في مرحلة الليسانس لما درست التاريخ العثماني في البلدين؛ ومنه تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني.
- أن أغلب المؤرخين في كل من الجزائر وتونس يركّزون أبحاثهم ودراساتهم التاريخية على الجوانب السياسية والعسكرية، ويهملون كليا أو جزئيا الجوانب الأخرى ذات الأهمية القصوى في دراسة التاريخ مثل الجوانب الثقافية والاجتماعية وحتى الاقتصادية، وإن حدث أن تعرض لها بعضهم؛ فإن ذلك يكون في أغلب الأحيان بإيجاز.
- أن إدراكي لأهمية البحث في مثل هذا الموضوع، في السياق التاريخي وأهمية الدراسات الحضارية بصفة عامة؛ إذ أنها تعتبر الروح النابضة بالحياة للتاريخ، ومكمن حيويته، فالمجتمع هو الذي يعطي الحركية للحوادث التاريخية أيّاً كانت؛ إذ أن تفاعل أفراد المجتمع بعضهم مع بعض، ومع محيطهم هو الذي يضمن الصيرورة التاريخية.

- أن تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية لاسيما في جوانبه الثقافية، لا يزال مجالاً خصبًا للبحث والإثراء، خاصة عندما يدرس ويحلل مظاهر العلاقات الثقافية بين الجزائر وتونس وفق السّياق الزمني، ويؤرّخ لتأثيرات تلك العلاقات وما ينجم عنها على مستوى البناء الثقافي.

- أهداف الدراسة:

يمكن حصر أهداف هذه الدراسة في عدّة نقاط؛ من أهمّها:

- المساهمة في إثراء المكتبة الجزائرية بالدراسات الخاصة بالتاريخ الجزائري في الفترة الحديثة، ولاسيما التاريخ الثقافي، نظرا لأن أغلب الدراسات ركّزت على الجوانب السياسية وأهملت العديد من الجوانب الثقافية والحضارية.
- محاولة تتبّع مظاهر التواصل الثقافي بين كل من الجزائر وتونس، بدءا بالعوامل التي أثرت عليه بالسلب والإيجاب، ومرورا بالحياة الثقافية في البلدين ومدى إثراء العلماء لها ومساهمة الأتراك العثمانيين فيها، وانتهاء بالتعرف على مظاهر التواصل الثقافي بينهما ومدى تأثير الأوضاع السياسية في البلدين على هذا التواصل.
- السعي لإبراز نماذج من جهود بعض الحكام الأتراك العثمانيين في البلدين في إثراء الحياة الثقافية فيهما ، عن طريق تشجيعهم للعلماء، في محاولة للتحري حول ما قيل بأن الأتراك العثمانيين لم يشجعوا الثقافة ولم يدعموا العلماء، ولم يهتموا بالمراكز الثقافية.
- الوقوف على تراجم العلماء الجزائريين والتونسيين، والتعريف بالرحلات التي قاموا بها، ونشاطاتهم أثناء هذه الرحلات، وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة، وحصر مؤلفاتهم التي أسهمت في إثراء الحركية الثقافية بين البلدين، والتي كانت من ثمار التواصل الثقافي بينهما.
- إبراز التفاعلات الإقليمية والدولية ودورها في التأثير على التواصل الثقافي بين البلدين.
- التعريف بأهم المراكز الثقافية ومدى مساهمتها في التواصل الثقافي بين البلدين؛ باعتبارها المقر الأساسي الذي تتم فيه كل النشاطات الثقافية.

- الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

يبدأ الإطار الزماني لهذه الدراسة بالفترة الممتدة من 926-1246هـ/1519 إلى 1830م؛ أي من

بداية الحكم العثماني الرسمي في الجزائر إلى نهايته. وذلك حتى نتمكن من تتبع أغلب مظاهر التواصل الثقافي بين البلدين خلال تلك الفترة. أما الإطار المكاني (مجال الدراسة)؛ فهو يتمثل في الجزائر وتونس أثناء العهد العثماني، وهما من الولايات العثمانية في بلاد المغرب (المغارب).

- **الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة:**

يجد الباحث نفسه أمام إشكالية محورية بارزة في عنوان الأطروحة الذي يدعونا إلى وجوب الانتباه إلى البُعدين السياسي والثقافي في محاولة لدراسة التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية 1519-1830م. فمن جهة، نجد العلاقات السياسية القائمة على السيادة ومحاولة ضبط الحدود والمعاهدات...ومن جهة أخرى نجد العلاقات الثقافية، والتي تظهر بشكل جلي في حركة العلماء والإجازات، وتبادل التآليف وحركة التصوف ونشاط الطرق الصوفية...

وفي سياق ما تقدّم، فإن إشكالية الدراسة تبلورت في التساؤل الآتي:

واقع التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية 1519-1830م، من خلال مقاربة سياسية ثقافية ؟ .

وتتفرع عن هذه الإشكالية العامة مجموعة من التساؤلات الفرعية؛ وهي:

- ما طبيعة العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس أثناء العهد العثماني؟.
- وما أبرز العوامل المؤثرة في هذا التواصل ؟ وماهي أبرز مظاهره وتجلّياته؟.
- فيم تتمثل صور ومظاهر العلاقات الثقافية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني؟.
- كيف كانت الأحوال الثقافية في البلدين؟.
- هل أثرت الحروب التي قامت بين الجزائر وتونس في بعض الفترات على حركة انتقال العلماء وطُلاّب العلم بين البلدين؟.
- ما أبرز التأثيرات العثمانية في كل من الجزائر وتونس خلال العهد العثماني؟.
- فيم تمثّلت ملامح التفاعل الثقافي بين البلدين؟.
- ما أبرز جهود السلطة الحاكمة في البلدين في دعم وتطوير الحياة الثقافية ؟
- إلى أي مدى ساهم علماء البلدين في توطيد العلاقات الثقافية؟.

- ما هو الدور الذي أدّته الطرق الصوفية في تمتين أواصر التواصل الروحي والحضاري بين البلدين؟.

– الدراسات السابقة:

من الطبيعي أن كل موضوع يقدّم للدراسة إلا وسبقته دراسات أخرى، تناولته إما بشكل جزئي، أو تناولت بعضاً من عناصره، وتجدر الإشارة أن هناك دراسات علمية دقيقة وهامة لا يمكن للباحث في مجال العلاقات الثقافية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني تجاوزها،نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- الدراسة التي تقدّم بها الباحث عمار بن خروف، والموسومة بـ:" **علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات (1082–1246هـ/1671–1830م)**"، وهي أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث. ركّزت بالبحث والتحليل على تتبّع العلاقات السياسية بين البلدين خلال عهد الدايات، وذلك من خلال الوقوف الدقيق على الوضع السياسي في الجزائر وتونس، وعلاقة بعض القبائل الحدودية بالسلطة في البلدين، ودور هذه القبائل في العلاقة بين الإيالتين.
- الدراسة التي تقدّم بها الباحث الطاهر حسيني، وعنوانها: " **الرحلة الجزائرية في العهد العثماني بناؤها الفني؛ أنواعها وخصائصها** "، وهي في الأصل أطروحة دكتوراه العلوم في الأدب العربي تندرج ضمن أدب الرحلة ، وقد تناولت بالتفصيل أنواع الرحلات التي قام بها الجزائريون في العهد العثماني ودوافعها. كما ركّزت بالبحث في الجانب الفني في الرحلة الجزائرية خلال العهد العثماني، انطلاقا من استراتيجية العنونة إلى البناء الهيكلي، وانتهاء بإبراز العلاقة التي تربط بين بنياتها ؛ بين السرد والوصف، بين الشخصية الرئيسية التي تمثل الأنا، والشخصيات الأخرى التي تمثل الآخر، وبين هذه جميعها وبنية الزمان والمكان.
- الدراسة التي تقدّم بها الباحث عبد الجليل شقرون؛ المعنونة بـ:" **نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب لابن عمار أبي العباس سيدي أحمد؛ دراسة تحقيق**". وهي في الأصل أطروحة دكتوراه في تحقيق المخطوطات، وقد تناولت بالدراسة تعريفا لأهم الرحالة الجزائريين في العهد العثماني ورحلاتهم، ثم ركّزت على ابن عمار الجزائري ورحلته.

- دراسة للباحثة لزغم فوزية؛ عنوانها:" **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني، ودورها الثقافي والسياسي(925-1246هـ/1520-1830م)**" ، وهي في الأصل أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية؛ تناولت بالبحث والدراسة البيوتات العلمية الشهيرة بالجزائر خلال العهد العثماني، ومصنّفات أفرادها ورحلاتهم وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة آنذاك.
- بالإضافة إلى كتاب آخر لنفس الباحثة، وعنوانه:" **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518-1830م**".وهذا الكتاب في الأصل مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، تناولت فيه أغلب الإجازات التي حصل عليها علماء الجزائر العثمانية، سواء من تونس أو المغرب، أو في باقي البلاد الإسلامية الأخرى على غرار الحجاز ودمشق.
- الدراسة المعنونة ب"**الأسر المحلية الحاكمة في بايليك الشرق الجزائري من القرن 10 هـ/16م الى 13 هـ/19م**". وهي عبارة عن رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، تناولت بالبحث والدراسة عددا من الأسر المحلية، التي ساهمت في تسيير شؤون بايليك الشرق الجزائري السياسية والاقتصادية؛ إلى جانب بايات قسنطينة. وقد أفادتني هذه المذكرة في معرفة جوانب مهمة في التاريخ الاجتماعي والسياسي للبايلك القسنطيني في العهد العثماني.
- **كتاب الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830م**، وهو في الأصل عبارة عن أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث للباحث عبد القادر صحراوي. تناول في هذا الكتاب ظاهرة التصوف ونماذج من متصوفة الجزائر العثمانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر الميلاديين، من خلال الوقوف على الدور السياسي والاجتماعي للصوفية وردود السلطة العثمانية، وكذا السياسة الدينية للسلطة العثمانية في التعامل مع الحركة الصوفية؛ باعتبارها إحدى القوى الدينية المتنامية آنذاك.
- الدراسة التي قامت بها الباحثة نادية بوسعيدي، والموسومة بـ:" **دفتر بيان تقييد المساجد والزوايا والميضآت والكتاتيب والأسبلة وغير ذلك وما عليها من الأوقاف، سنة 1170هـ/1756م؛ تحقيق ودراسة** ". وهي رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العالم المتوسطي وحضارته، اختصاص آثار

وفنون إسلامية، بكلية الآداب والفنون والإنسانيات بجامعة منوبة بتونس. وقد أفدت منها في معرفة جوانب عدّة من أوقاف المؤسّسات الدينية بالبلاد التونسية في فترة البحث.

- الدراسة التي قام بها الباحث أحمد السعداوي والمعنونة بـ:" **تونس زمن حسين بن علي وعلي باشا (1705-1756): وثائق أوقاف من العهد الحسيني؛ دراسة وتحقيق**"، وهي من منشورات كلّية الآداب والفنون والإنسانيّات بمنوبة، بالتنسيق مع مخبر الآثار والعمارة المغاربية، جامعة منوبة، تونس. وقد أفادتنا في معرفة أهم أوقاف البلاد التونسية في العهد الحسيني

- الدراسة التي قام بها الباحث كمال مايدي، والموسومة بـ" **السلطة والمجتمع بإيالة تونس خلال العهد الحسيني :1705م إلى 1814م؛ مقاربة سياسية اجتماعية**". وهي أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، وقد أفادتني في معرفة جوانب من جهود السلطة العثمانية بتونس في الحياة الاجتماعية والثقافية وعلاقة السلطة بالعلماء.

- مذكرة ماجستير للباحث ابراهيم بلحسن؛ وهي بعنوان:" **العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 07 إلى 09هـ/ 13 إلى 15م**".وقد تناولت كل مظاهر العلاقات الثقافية بين الدولة الزيانية بالجزائر والدولة الحفصية بتونس في الفترة التي سبقت الإطار الزمني للدراسة (العهد العثماني) ، وذلك بالتركيز على العوامل المؤثرة في هذه العلاقات؛ مرورا بالأحوال الثقافية في البلدين وانتهاء بالعلماء ورحلاتهم في البلدين ومصنّفاتهم العلمية.

- مذكرة ماجستير للباحث حسين بوخلوة، المعنونة بـ:" **عبد الكريم الفكون القسنطيني، حياته وآثاره(988هـ-1073هـ/1580-1663م)**. وقد تناول بالدراسة حياة الشيخ ابن الفكون القسنطيني وآثاره العلمية التي اشتملت على جميع مؤلفاته، وأهم مراسلاته مع علماء الجزائر وتونس خلال العهد العثماني.

- وأخيراً مذكرة ماجستير للباحثة حصام صورية، والموسومة بـ:" **العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**". وتناولت في مجملها العلاقات بين الجزائر وتونس بمختلف أنواعها، مع الإشارة إلى بعض مظاهر العلاقات الثقافية. ولكن ركّزت بشكل عام على قرن من الزمان؛ وهو القرن الثامن عشر ميلادي.

– المنهج المتّبع في الدراسة:

وقد اتبعت في دراسة موضوع البحث على المنهج التاريخي الوصفي التركيبي التحليلي؛ باعتباره منهجا صالحا لوصف الأحداث والحقائق التاريخية ، وتحليلها تحليلاً تاريخياً علمياً، وربطها ربطا تسلسلياً وموضوعياً؛ بعيداً عن الذاتية والأحكام الفردية ، وذلك بالعودة إلى المصادر والوثائق المحلية، والدراسات العلمية المتخصّصة التي تستند إلى المنهج العلمي الدقيق.

أما من حيث المقاربة المعتمدة في معالجة الموضوع، فنقصد بها ذلك الأساس النظري والفكري، وقد اعتمدت مقاربة سياسية وأخرى ثقافية.

– الخطة المعتمدة في الدراسة:

وقد ارتأيت تقسيم البحث إلى مقدّمة، ومدخل، وأربعة فصول، وخاتمة، وملاحق، وذيّلته بفهارس، وبذلك جاءت الخطة كالآتي:

أما في المدخل؛ المعنون بـ: لمحة عن الجذور التاريخية للتواصل الثقافي بين الجزائر وتونس قبل سنة 1519م ، فهو بمثابة توطئة لمعرفة الجذور التاريخية لتأصيل العلاقة الثقافية بين الجزائر وتونس، في أواخر عهد الدولتين الزيانية والحفصية، بإطلالة موجزة للتأكيد على أن جذور التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس ليس وليدة الفترة الحديثة، وإنما تعود لفترة أسبق من ذلك .

وجاء **الفصل الأول** بعنوان: العوامل المؤثرة في التواصل الثقافي بين البلدين، وقسّمته إلى ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول العوامل الموروثة، وهي العامل الجغرافي، والعامل التاريخي، والعامل البشري، والعامل الديني والثقافي.

وفي المبحث الثاني تناولت العوامل المستجدة وهي: الغزو الإيبيري لسواحل بلاد المغرب ، وهجرة الأندلسيين إلى البلدين، وقيام الحكم العثماني في البلدين. أما المبحث الثالث؛ فاستعرضت فيه جوانب من التأثيرات العثمانية المختلفة في الجزائر وتونس.

أما **الفصل الثاني** فتطرّقت فيه لأهم مراكز التبادل الثقافي في الجزائر وتونس ودورهما في دعم التواصل الثقافي بين البلدين. فالمبحث الأول؛ خصّصته لأهم مراكز التبادل الثقافي في الجزائر. أما

المبحث الثاني؛ فتحدّثت فيه عن أهم مراكز التبادل الثقافي تونس. وأخيرا المبحث الثالث فخصصته للمؤسّسات الثقافية وحاولت أن أبرز دورها في دعم التواصل الفكري بين علماء البلدين.

وخصّصت **الفصل الثالث** لدراسة مظاهر الحياة التعليمية في البلدين. وقسّمته إلى ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول مناهج وأساليب التعليم في البلدين، وأما المبحث الثاني فتعرّضت فيه لأهم المراسلات والفتاوى العلمية ومكانتها في الترابط . وأما المبحث الثالث؛ فتناولت فيه المشاركة العلمية في البلدين، من خلال استعراض بعض النماذج؛ كتبادل التآليف والإجازات بين علماء البلدين، ومشاركتهم في ميدان فهرسة الشيوخ. ولم نغفل الإشارة إلى المناقشات والمناظرات الفكرية والدينية بين علماء البلدين.

وأخيرا **الفصل الرابع** الذي خصّصته لدراسة: مظاهر التواصل العلمي والرّوحي بين علماء البلدين. وقسّمته إلى مبحثين؛ ففي المبحث الأول تناولت حركة انتقال العلماء وطُلاّب العلم بين البلدين. أما المبحث الثاني؛ فكان التركيز فيه على الطرق الصوفية وانتقالها بين بلاد المغرب، ودُورها في دعم التواصل الثقافي والروحي التواصل الرّوحي بين البلدين.

وجاءت خاتمة الدراسة متضمّنة لمجموعة من الملاحظات والاستنتاجات التي توصّلت إليها من خلال هذا البحث. وذيّلتها بمجموعة من الملاحق ، وثبت للمصادر والمراجع وعدد من الفهارس.

-عرض نقدي لأهم المصادر والمراجع:

وحرصاً منّي على اكتمال الصورة التاريخية والوصول إلى نتائج علمية حول العلاقات الثقافية بين الجزائر وتونس وإبراز مظاهرها وتجلّياتها خلال الفترة العثمانية، فقد استقت الدراسة معلوماتها من مجموعة من المصادر، منها الوثائق الأرشيفية والمصادر والمراجع المطبوعة العربية والمعرّبة، والرسائل الجامعية والدوريات المتخصّصة ، ومن أهمّها:

أولا: الوثائق الأرشيفية.

اعتمدت على عدد من وثائق الأرشيف الوطني التونسي، والتي تتمثل في بعض السجلات المتعلقة بأوقاف البلاد التونسية في العهد الحسيني، وخاصة أوقاف جامع الزيتونة، وأوقاف زاوية سيدي معاوية، وأوقاف زاوية سيدي بلحسن الشاذلي...وقد حاولت استثمارها في البحث ما أمكن.

كما استفدت من وثائق سجلات المحاكم الشرعية، وسجلات البايلك، بالمركز الوطني للأرشيف الجزائري ببئر خادم بالجزائر العاصمة، والتي تعتبر من أهم مصادر دراسة تاريخ الجزائر في العهد العثماني، وهي تزخر بالكثير من الحقائق الهامة بخصوص مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، سوف نتعرض لأهميتها في فصول الأطروحة.

ثانيا: المصادر العربية والمعرّبة.

– **الرحلة الوثيلانية:** للورثيلاني الحسين بن محمد(ت.1193هـ/1779م)؛ اشتهر برحلته المدوّنة المعنونة بـ: " **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**"، والمشهورة " **بالرحلة الورثيلانية**"، استفدت منه في معرفة تراجم لحياة عدد من العلماء والأولياء. وعلى الرغم من الحشو الذي ميّز الرحلة والتكرار ونقص الترتيب، إلا أنها عبارة عن مؤلَّف عام جمع العديد من العلوم الدينية مثل، الفقه ، والتفسير، والنحو والبلاغة، والصرف، والتصوف. ويمكن أن نعتبره شهادة عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للجزائر والبلاد العربية التي مرّبها أثناء رحلته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج.

– **"فتح الإله ومنّته في التحدّث بفضل ربي ونعمته"** لصاحبه العلاّمة الحافظ محمد أبو راس الناصري (ت. 1238هـ/ 1823م)، وقد حقّقه وعلّق عليه الباحث محمد بن عبد الكريم الجزائري. وهو مصدر مهم باعتباره سيرة ذاتية لشخصية شيخ مؤرخي الجزائر العثمانية أبي راس الناصر، أرّخ من خلالها لحياته؛ ابتداء من طفولته ومعاناته من الفقر واليتم، وهجرته مع أخيه الأكبر إلى المغرب الأقصى، مرورا بتعليمه وشيوخه الذين تتلمذ عليهم، ورحلاته المتعددة سواء في الجزائر أو بلاد المغرب أو بلاد المشرق ولقائها لعلماء هذه الأقطار ومناظراته الفكرية معهم، والأسئلة التي طرحت عليه، وانتهاء بذكره لجميع مؤلفاته في الفنون المختلفة. ورغم ذلك لم يفصّل في الحديث عن الأسئلة التي طرحها عليه العلماء في تونس، بل اكتفى بالإشارة إليها فقط؛ دون أن يذكر موضوعها.

–**كتاب" منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية"** لصاحبه عبد الكريم الفكون (الفقون) (ت. 1114هـ/1702م).وهو مصدر مهم، يؤرّخ لمدينة قسنطينة وأحوالها الثقافية خلال القرن السابع عشر للميلاد، ويعرض تراجم العلماء ليس بغرض التعريف بمناقبهم، وإنما كان همُّه كشف من ادّعى

العلم والتصوف والصلاح منهم. وقد أفادني كثيرا في معرفة مراسلاته وإجازاته لبعض الفقهاء التونسيين.

– **"التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية"** :لمؤلفه محمد بن ميمون الجزائري (ت.1159هـ/1746م)، حقّقه وقدّم له محمد بن عبد الكريم الجزائري. عاش ابن ميمون في الفترة الممتدة من أواخر فترة الآغاوات إلى أواسط فترة الدايات، ولذلك كان شاهدا على أحداث هذه الفترة، ومنها فتح وهران الثاني في عهد الداي محمد بكداش. ويُستفاد من إشارته لبعض المنشآت الإسبانية في وهران، على الرغم من كونها إشارات طفيفة وغير مفصّلة، إلا أنها ذات فائدة للباحث.

– **النفحة المسكية في السفارة التركية:** لصاحبه علي بن محمد التمكروتي(ت.1003هـ/1594م)، وتحقيق محمد الصالح. ويتّضح من عنوان الكتاب أن صاحبه قد كُلّف بالقيام بسفارة نحو الأستانة من قبل السلطان أحمد المنصور السعدي بعد أن حمل هدية للسلطان مراد الثالث، ولذلك خرج من فاس فتطوان، ثم دخل إلى الجزائر ومرّ بعددٍ من مدنها، مثل تلمسان ،وهران، بجاية، ومنها دخل نحو تونس، فليبيا وصولا نحو القسطنطينية. وعلى الرغم من أنه كان يصف المدن التي توقّف عندها بشكل وجيز، إلا أنه يفيد في الجانب المتعلق بالاحتلال الإسباني للمدن الساحلية الجزائرية وتأثيره السلبي على الأحوال الثقافية فيها.

– **ذيل بشائر الإيمان في فتوحات آل عثمان:** لمؤلّفه حسين خوجة، حقّقه وقدّم له الطاهر المعموري، والكتاب مقسم إلى مقدمة وثلاثة وعشرين بابا. ويتناول الباب بالتأريخ للدولة العثمانية، وسلاطينها. كما تحدث كذلك عن البايات التونسيين. وتضمن الكتاب أيضا تراجم للعلماء التونسيين المالكيين منهم والأحناف، والقضاة، والأدباء وغيرهم من رجال البلاط. وقد أفادني كثيرا في تتبّع سير العلماء في القطر التونسي، وخاصة منهم الذين كانت لهم علاقات مع علماء الجزائر، ومؤلفاتهم. ولكن جاءت هذه التراجم مختصرة، ولم تركز على المصنّفات أو الإجازات المتبادلة بين علماء البلدين.

–**الحُلل السندسية في الأخبار التونسية:** لصاحبه أبي عبد الله محمد بن محمد الأندلسي المعروف بالوزير السراج. حقق هذا الكتاب محمد الحبيب الهيلة. ألف السراج هذا الكتاب بناء على طلب "حسين بن علي". وقد أفادني في التأريخ لهجرة الأندلسيين نحو تونس لأواخر العهد الحفصي وبداية العهد

العثماني. ولكنه ركّز على الأحوال السياسية في البلاد دون التطرق إلى الأحوال الثقافية أو انجازات البايات الحضارية.

–إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان: ومؤلّف هذا الكتاب هو أحمد بن أبي الضياف. والكتب مكون من ثمانية أجزاء، تناولت التأريخ للبلاد التونسية؛ انطلاقا من الفتح الإسلامي إلى غاية الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ميلادي، مع التركيز على العهد الحسيني، بالإضافة إلى تراجم للعلماء التونسيين خلال هذه الفترة. وقد اعتمدت على هذا الكتاب عند الحديث عن استقبال السلطة للمهاجرين الأندلسيين، ومساهمة بعض البايات المراديين في إثراء الحياة الثقافية، بالإضافة إلى تراجم العلماء، وخاصة الذين خرجوا في رحلات إلى الجزائر، وهي تراجم غنية.

–نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار: لصاحبه محمود بن سعيد مقديش الصفاقسي، تحقيق كل من علي الزاوي ومحمد محفوظ، والكتاب في مجلدين؛ الأول منهما خصص لضبط حدود بلاد المغرب وتسميتها، والحديث عن مدن كل من المغارب الثلاثة والأندلس. ثم عرج الكاتب على التأريخ للخلافة الراشدة والفتوحات الإسلامية التي جرت في هذه الفترة، ثم الدولة الأموية والدولة العباسية، ثم عاد وأرّخ لدول بلاد المغرب؛ انطلاقا من عهد الموحدين إلى غاية الدولة الحفصية، ودخول الإسبان إلى تونس. أما المجلد الثاني فخصص للحديث عن سلاطين الدولة العثمانية، ودخول العثمانيين إلى تونس ومراحل حكمهم لها مع التركيز على صفاقس وعلمائها. ولكنه مع ذلك أوجز في الحديث عن الاحتلال الإسباني وآثاره على البلاد التونسية، والإنجازات الحضارية للمراديين والحسينيين.

–الكتاب الباشي: للوزير حمّودة بن عبد العزيز، والكتاب في جزأين يعرضان تفاصيل كثيرة عن الوضع السياسي في تونس خلال العهد الحسيني. وقد أفادني في الجانب القضائي والحياة العلمية في عهد "علي باي، وفي استعراض سيرة حياة حمودة بن عبد العزيز، وثقافته وشيوخه الذين تتلمذ عليهم وإجازاته.

– رحلة المقَّري إلى المغرب والمشرق: ومؤلّف هذا الكتاب هو أبو العباس أحمد المقَّري، وحقّقه محمد بن معمر. والواضح من عنوان الكتاب أنه يؤرّخ للرحلة التي قام بها المقري؛ انطلاقا من المغرب الأقصى حيث كان يقيم سنة 1027هـ/1617م.وعلى الرغم من أنه كان خطيباً ومفتياً وإماماً في جامع

القرويين، إلا أنه فضّل المغادرة؛ نظرا لتردّي الأوضاع في المغرب الأقصى، وشُيوع الفتن فيه. ولذلك انطلق من ثغر تطوان، وزار الجزائر وتونس ومصر ومنها دخل الحجاز وأدّى مناسك العمرة والحج، ثم عاد إلى مصر ثم دخل دمشق. ويحتوي هذا الكتاب على معلومات هامة منها ما يتعلّق بحياة المقَّري الشخصية. ومنها ما يتعلّق بالحياة الثقافية والأدبية في عصر المؤلف للبلدان التي زارها، وبعض القضايا الفقهية والعقدية. وما أفادني في هذا الكتاب هو المعلومات المتعلّقة بالحياة الثقافية في كل من تونس والجزائر، ولقائه بالعلماء التونسيين وإجازاته لبعضهم، ومناظراته العلمية معهم.

–شجرة النور الزكية: لصاحبه محمد مخلوف. والكتاب في جزأين، يؤرخان لتونس انطلاقا من الفتح الإسلامي، ويذكر أهم العلماء المعاصرين للحكام. وعلى الرغم من كونه كتابا مختصرا، ولكنني استفدت منه كتابة تراجم العلماء التونسيين في العهد العثماني.

ثالثا: المراجع العربية:

–تاريخ الجزائر الثقافي: لمؤلّفه أبي القاسم سعد الله، وهو أحد أعمدة المدرسة التاريخية الجزائرية، وقد حاز لقب شيخ المؤرخين الجزائريين. ويُعرف هذا الكتاب بالموسوعة التاريخية الثقافية للجزائر التي تؤرّخ لأوضاع الجزائر الثقافية بعلمائها ومؤسّساتها ومراكزها الثقافية، ابتداء من سنة 1500م؛ أي أواخر العهد الزياني إلى غاية سنة 1962م، بالإضافة إلى إشارته لبعض الأحداث السياسية التي لها علاقة بالأحوال الثقافية. وقد اعتمدت على الجزء الأول والثاني اللذان خصّصهما للحديث عن الفترة العثمانية. ورغم أني استفدت منه كثيرا في الجانب الثقافي للجزائر خلال العهد العثماني، إلا أن الباحث يجد فيه إشارات طفيفة إلى علاقات العلماء الجزائريين بنظرائهم التونسيين.

– الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، لمؤلّفه صلاح مؤيد العقبي. وهو مرجع مهم جدا لكونه يؤرّخ لجميع الطرق الصوفية التي عرفتها الجزائر؛ ابتداء من العصور الوسطى مرورا بالفترة الحديثة وانتهاء بالمعاصرة، مع إفراده تراجم لمختلف رجال الطرق الصوفية.

– "حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492–1792م". لمؤلّفه أحمد توفيق المدني، وهو مرجع مهم يؤرّخ للاحتلال الإسباني للمدن الساحلية الجزائرية، و تتبع جهود الأتراك العثمانيين في تحريرها وفي إنقاذ مسلمي الأندلس ونقلهم إلى الجزائر، بالإضافة إلى الحملات الإسبانية على الجزائر. وأخيرا

ختم الكتاب بتحرير وهران نهائيا ونتائجه. وما أفادني في الكتاب هو الحديث عن التأثيرات الإسبانية في وهران، ومنها الأبراج والمباني العسكرية.

– **تراجم المؤلفين التونسيين** لمؤلفه محمد محفوظ. وصدر الكتاب مرتين الأولى سنة 1982م والثانية سنة 1994م في ثمانية أجزاء تضم تراجم للعلماء التونسيين، وتتخلّلها من وقت لآخر إشارات لبعض الأحداث السياسية التي كان لبعض العلماء تأثير عليها.

– **معجم أعلام الإباضية**: ألّف هذا الكتاب مجموعة من الباحثين والمهتمين بالتراث الإباضي وأعلامه وهو مقسَّم إلى جزأين؛ الأول مخصص لجميع علماء وأئمة المذهب الإباضي في بلاد المغرب، والثاني مخصّص لأعلام هذا المذهب في بلاد المشرق.

–**الحوليات التونسية**: لمؤلّفه ألفونسو روسو، وتعريب محمد عبد الكريم. صدر الكتاب سنة 1864م، ولكنه صدر مرة أخرى في مؤسسة بوسلامة في تونس سنة 1980م، والكتاب يؤرّخ للفترة الممتدة من سنة 1535م إلى سنة 1830م، وبالتالي فقد تناول مختلف الأحداث السياسية، التي شهدتها البلاد. وقد استفدت منه في الحديث عن انجازات بعض البايات الحضارية.

–**المؤرخون التونسيون في القرون 17و18و19م**: ومؤلّف هذا الكتاب هو أحمد عبد السلام، عرّبه بالتعاون مع عبد الرزاق الحليوي. والكتاب عرض مفصّل للحياة الثقافية في تونس خلال العهد العثماني، مع وصف دقيق للمؤسسات الثقافية، وإدراج تراجم للمؤرخين والشعراء والأدباء، ولم يغفل الحديث عن علاقة رجال العلم بالسلطة.

رابعا: المصادر والمرجع باللغة الفرنسية

بالإضافة إلى المصادر العربية ، فقد استعنت أيضا بمصادر ومراجع باللغة الفرنسية، ورغم أنها أفادتني ببعض المعلومات عن الحياة العامة في الجزائر وتونس، إلا أنه يتعين على الباحث التعامل معها بحذر، وذلك بعد التحقّق من صدقها قبل الأخذ منها، ومن أهمّها:

- Diego de Haedo :**Histoire des Rois d'Alger** ,traduit de l'espagnol par Henri Delmas de Grammont, présentation de Abderrahmane Rebahi, Alger-Livres Édition, Alger 2004.
- Grammont H.D de : ***Histoire d'Alger sous la domination turque; 1515 1830***, Ernest Leroux, Editeurs, Paris, 1887.
- Dunant J.Henry: **notice sur la régence de Tunis**, imprimerie de jules-Gme fick, Genève1864.

- Mercier Ernest :**Histoire de l'Afrique septentrionale**,3T ,Ernest Le Roux, Paris 1888.
- Peyssonnel J. A. : **Voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger(1725)**, La découverte , Paris, 2ème édition, 1987.

أما عن المراجع الأجنبية، فنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- Henri Klein :**Feuillet d'El-Djezair**,2T, éd du Tell, Alger,2003
  Jean Monlau: **Les États barbaresques,** P. U. F, Paris 1963
- Lucien. Golvin **: La madrasa médiévale: architecture musulmane**, Aix-en-Provence : Édisud, Paris, 1995.
- M. A. BEN ACHOUR, **Le habous ou ouakof** : **l'institution juridique et la pratique tunisoise** », in hasab wanasab, Parenté, Aliance et Patrimoine en Tunisie, CNRS, Paris, 1992.
- Marçais (G) **: L'Architecture musulmane d'Occident (Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne, Sicile**), Paris, 1954.

كما استعنت بالكثير من المقالات باللغتين العربية والأجنبية ، وهي منشورة في الدوريات ، ونذكر منها:

- بكاري عبد القادر: **الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية أبو راس الناصري أنموذجا**،في مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية،ع6،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون ،تيارت،2013م.
- بلبراوات بن عتو: **الباي محمد الكبير 1779–1797؛حياته وسيرته**، في مجلة عصور، يصدرها مخبر البحث التاريخي : مصادر وتراجم ، العدد3، جامعة وهران1 ،جوان 2003م.
- بن خروف عمار: **العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس من 1574–1671**، في مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مج02، العدد 02، جامعة الجزائر، جوان 2002م.
- بن عاشور محمد العزيز: **التعليم الزيتوني من ترتيب المشير أحمد باي الى تأسيس مشيخة الجامع الاعظم وفروعه (1842– 1935)**،في م. ت. م، ع 42/41، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل جوان 1986م.
- التميمي عبد الجليل:**تأثيرات الأندلسيين– الموريسكيين في المجتمع المغاربي؛ إيالة تونس نموذجا**، في م.ت.م ، تونس، 2005م.

- جراد مهدي: **السلطة الحسينية وأعيان الدين خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر عائلة البارودي انموذجا**، في م.ر.ع 17،الجمعية التونسية المتوسطية، جامعة منوبة، تونس 2013م.
- Alexandre Pestemaldjoglou :**Mers-el Kebir histoire et description de la forteresse**, in R.A, 1940, V 84
- BOYER .P: **Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger (XVIe-XIXe siècles)**, in **R.O.M.M**, 1,1966
- Nizar Sayari, et Hichem Rejeb :**Origine du paysage andalou dans le nord-ouest tunisien Testour et son héritage morisque**, in cahier de la méditerranée,2009,V79

ومهما اجتهد الباحث، فإنه من الصعب عليه الاطلاع على كل ما كُتب حول الفترة المقترحة للدراسة والبحث فيها. فالبحث الأكاديمي هو عمل متواصل، وكتاب مفتوح، بحاجة إلى الإثراء المستمر، إما من صاحبه، أو من الأجيال القادمة.

– الصعوبات التي واجهتني أثناء إنجاز هذه الدراسة:

لا تخلو أي دراسة علمية أو أي بحث علمي جاد من صعوبات وعراقيل، خاصة إذا كان صاحبها يريد الوصول إلى نتائج مرضية وموضوعية، وعندما حاولت التعمق في دراسة الموضوع اعترضتني عدّة صعوبات، نذكر من أهمها:

–قلّة الدراسات الأكاديمية، التي تناولت الموضوع بالدراسة سواء في الجزائر أو تونس، فكل ما وجدته حول الموضوع لا يركّز بشكل كبير على الحياة الثقافية في البلدين وتنقل العلماء بينهما، وخاصة في تونس؛ ذلك أني قصدت كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعتي سوسة وتونس، ومع ذلك لم أعثر سوى على النزر اليسير من الدراسات المتعلقة بالموضوع.

–تمحور معظم المادة الوثائقية المتعلقة بهجرة العلماء التونسيين إلى الجزائر خلال العهد العثماني، والموجودة في الأرشيف في التونسي على فترة الحماية الفرنسية على البلاد التونسية.

–صعوبة التعامل مع بعض الوثائق الأرشيفية؛ من حيث عدم وضوح خطها في بعض الأحيان.

– صعوبة الوصول إلى الوثائق التي تكشف خبايا هذه الحقبة التاريخية الحساسة، ومن ثم المقدرة على التعامل مع هذه الوثائق وتحليلها واستخلاص النتائج منها، يُضاف إلى ذلك كله قلّة المراجع الأجنبية التي تتحدث عن مثل هذا الموضوع.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور صالح بوسليم الذي تحمّل معي مشقة هذا البحث، ولم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه القيّمة، وأمدّني بكل ما توفَّر لديه من مادة علمية تخدم الموضوع، فجازاه الله عنّي كل خير. ولا أنسى كذلك أن أشكر كل من قدّم لي يد العون والمساعدة من قريب أو من بعيد، وشجّعني بكلمة طيبة على تحقيق هذا البحث.

آخرا وليس أخيرا؛ فإن أصبت في عملي هذا فبتوفيق من الله تعالى، وإن كان غير ذلك فحسبي أنني حاولت دون كلل أو ملل، طامعة في أن أستفيد من توجيهات لجنة المناقشة، التي وكّل إليها عملي للتقويم والمناقشة والتصحيح، والله المستعان وبالله التوفيق.

مدخل

مدخل: لمحة عن جذور التواصل السياسي و الثقافي بين الجزائر وتونس قبل سنة 1519.

يجد الباحث في العلاقات بين ما أصبح يسمى سياسيا منذ مطلع القرن العاشر للهجرة/ السادس عشر للميلاد بالجزائر وتونس، بدل الأسماء الأخرى التي كانت تطلق على هذين البلدين، كالمغربين الأوسط والأدنى وغيرها، أنها قديمة ومستمرة عبر العصور، بحكم الجوار وعدم وجود حواجز طبيعية، تحول دون الاتصال، والاحتكاك، والتأثر، والتأثير أحدهما في الآخر. وكانا خاضعين لسلطة واحدة، محلية أو غازية[1].كما ساهم العامل الجغرافي والمتمثل في القرب بين البلدين، في قيام علاقات متعدّدة بينها، لم تؤثر عليها النزاعات السياسية قبل سنة 1519م؛ إذ أن الاختلافات السياسية بينهما قد عزّزت إلى جانب عوامل أخرى أواصر التواصل الثقافي بين العلماء والمتصوفة الذين كانوا يتبادلون الزيارات، ويجيزون بعضهم البعض[2].

ومما ساهم في حدوث تلك النزاعات السياسية، الوضع السياسي الذي عرفته بلاد المغرب الكبير في القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، وهو الانقسام السياسي الجديد[3] ،الذي تجسد في ظهور ثلاث دول مستقلة هي على التوالي: الدولة الحفصية في المغرب الأدنى، الدولة الزيانية في المغرب الأوسط، وأخير الدولة المرينية في المغرب الأقصى؛ إذ استغل ولاة الموحدين ضعف هؤلاء وأعلنوا استقلالهم وتأسيسهم لدول مستقلة خلال القرن 07هـ/13م [4]. وقد ادّعت كل واحدة من هذه الدول أحقيتها بالميراث الموحدي السياسي الفكري والثقافي، مما نتج عنه حروب كثيرة بسبب سعي كل واحدة من هذه الدول إلى التوسع على حساب الأخرى.

وتنسب الدولة الزيانية إلى يغمراسن بن زيان الذي أعلن استقلاله عن الموحدين في سنة 633هـ/1235م ،جاعلا من تلمسان عاصمة لدولته[5]، التي امتدت حدودها إلى نواحي بجاية وبلاد

(1)عمار بن خروف: "**نظرة عن العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**" ، في مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية،مج01، ع02، جامعة الجزائر، جوان 2002، ص79.

(2)دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي، تونس2003م، ص300.

(3)نفسه.

(4)جورج مارسيه: **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، تر: محمود عبد الصمد هيكل، مر: مصطفى أبو ضيف أحمد، دار منشأة المعارف، الإسكندرية 1991م، ص319.

(5) عبد الرحمن بن خلدون: **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، طبعة مزيدة ومنقحة، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1418هـ/1998م، مج13، ص-ص 162-163.

الزاب من الشرق، ومن الغرب نهر ملوية وتاوريرت ووجدة وفجيج بالجنوب الغربي، ومن مصب نهر ملوية وهنين، ودلس وحصن بكر، وتامزيزدكت عند مصب وادي بجاية على ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا ، إلى ورجلان ووادي ميزاب وإقليم توات جنوبا[1].

أما الحفصيون فينسبون إلى أبي حفص عمر بن يحي بن محمد(ت694هـ/1295م). وينحدرون من قبلية هنتاتة الأمازيغية. ونظرا لمساهمة عمر بن يحي في إنجاح الدعوة الموحدية التي قادها المهدي بن تومرت، سماه هذا الأخير عمر وكناه بأبي حفص بعد أن كان اسمه الأمازيغي "فصكة" أو "مزوال"[2].واتسع نفوذ هذه الدولة في بداية عهدها خاصة، فشملت كل المنطقة الممتدة من طرابلس إلى طنجة، حتى أن المرينيين كانوا يدفعون لها الجزية في بعض الأحيان[3].

وقد تميّزت العلاقات بين الدولتين الزيانية والحفصية بالنزاع الدائم والمستمر لادعاء كل من الطرفين أحقّيته بالإرث الموحدي، ولذلك سعت كل دولة إلى التوسع على حساب الدولة الأخرى وضمّ ما تقدر عليه من أراضيها[4].

وعلى الرغم من العلاقات العدائية بين الدولتين، إلا أن العلاقات الثقافية بينهما كانت قائمة لم تنقطع، ولم تتأثر بالنزاعات السياسية.

وقبل الحديث عن العلاقات الثقافية بين البلدين، لابد من الحديث عن الحياة التعليمية في كليهما؛ فقد انتشر التعليم في المدن والقرى خلال العهدين الزياني والحفصي. وكان التعليم يمر بمراحل أولاها المرحلة الابتدائية، المخصّصة للتلاميذ الذين تبلغ أعمارهم تقريبا السبع سنوات، وخلال هذه الفترة يتعلمون القراءة والكتابة ويحفظون أجزاء من القرآن الكريم وتجويده. إلى جانب شيء من الفقه

---

(1)عبد العزيز فيلالي: تلمسان **تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)**، م.و.ف.م للنشر، الجزائر، 2002 ، ج1 ،ص44..

(2)جميلة مبطي المسعودي: **المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621هـ وحتى سنة 893هـ**، رسالة مقدّمة نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، بإشراف أ.د/محمد المنسي محمود عاصي ،جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،1421هـ/2000م،ص7.

(3)صلاح العقاد: **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر تونس المغرب الأقصى**، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر1993م، ص11.

(4)أمال سالم عطية: **السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابق والثامن الهجريين(ق13-14م)**،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط في تخصص: تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة معسكر، السنة الجامعية 2015-2016م، ص54.

وعلوم اللغة والنحو والحساب[1]. وتلى ذلك المرحلة الثانية التي ينتقل فيها التلاميذ إلى مؤسّسات تعليمية أخرى، وهي المساجد والزوايا والمدارس، فيتناولون بشيء من التفصيل علوم النحو واللغة والأدب والفقه [2]. وأخيرا تأتي المرحلة الثالثة التي يتخصّص فيها التلاميذ في دراسة فرع واحد من فروع العلم أو الأدب. ويتم ذلك في المساجد والمدارس المشهورة وبعد عشرة أعوام تقريبا يتخرج التلاميذ، وتبدأ مرحلة أخرى يقوم خلالها هؤلاء بالرحلات العلمية للقاء العلماء والفقهاء، سواء داخل المغرب الأوسط أو خارجه؛ أي في أقطار المغرب الإسلامي والأندلس، أو في المشرق الإسلامي [3]. وكانت الدولة تتكفل بالتعليم؛ فتبني له المدارس وتعيّن المدرسين، وتخصّص لهم وللتلاميذ مبلغا ماليا. وإلى جانب هذا التعليم الرسمي وجد تعليم آخر سُمي بالتعليم الحر، نظرا لعدم تدخل الدولة فيه، وحتى وإن تدخلت فبصورة طفيفة. ولذلك كانت الدروس تُلقَّن داخل الزوايا وبالقرب من أضرحة الأولياء وبعض المساجد [4]. هذا إلى جانب الدكاكين التي كان يكتريها بعض الشيوخ. وبالمقابل يتقاضى الشيوخ أجوراً من أولياء التلاميذ، وبعضهم يأخذ الأجور من الأولياء ميسوري الحال، بينما فضل بعضهم عدم تقاضي أي أجرة. وابتداء من القرن الثامن الهجري أخذت الأوقاف في التكفل بنفقات التعليم [5].

أما تلقين الدروس؛ فكان يتم وفق ثلاث طرق، أولاها: إملاء الدروس بشكل مباشر على التلاميذ الذين يسجلون كل ما يسمعونه من أستاذهم فيحفظونه دون أن يتمكّنوا من مناقشته أو تحليل معلوماته. وتتمثل الطريقة الثانية في الإلقاء والشرح؛ فبعد أن يقرأ أحد التلاميذ نصاً من أحد الكتب في المادة المدروسة، يقوم الأستاذ بشرح ذلك النص بحسب ما يعرفه من معلومات حوله، بينما يدون التلاميذ كل ما يشرحه وفي نفس الوقت يتمكّنون من طرح الأسئلة على أستاذهم والاستفادة على عكس الطريقة الأولى. وأخيرا تقوم الطريقة الثالثة على تكليف الأستاذ لتلاميذه بالبحث في

(1) عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2،ص،ص346،344.

(2)رابح بونار: **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، ط3، دار الهدى عين مليلة، الجزائر2000،ص312.

(3)بسام كامل عبد الرزاق شقدان: **تلمسان في العهد الزياني 633-962هـ/1235-1555م**، رسالة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس 1422هـ/2002م، ص- ص221-222.

(4)نفسه.

(5)عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص- ص344-345.

موضوع من مواضيع المعرفة دون أن يتدخل بتلقينهم الدروس، فيطلع التلاميذ على الكتب ويتعلمون طريقة الاستنباط والاستنتاج. أما دور الأستاذ فيتمثل في الإشراف على بحوثهم [1].

وكان للمراكز الثقافية دور كبير في تمتين العلاقات الثقافية بين البلدين، والتي لم تتأثر بالصراعات السياسية والنزاعات العسكرية التي كانت تندلع بين فترة وأخرى بين الدولتين الزيانية والحفصية؛ ذلك أن هذه المراكز فتحت أبوابها لكل شيخ وطالب علم من البلدين، ولم يجد هؤلاء مانعا أو صعوبة في التنقل. كما كانت لهم الحرية المطلقة في اللقاء بالشيوخ الآخرين، بل والتصدي للتدريس والخطابة والإفتاء وعقد حلقات مناظرة ونقاش في المدارس والمساجد وغيرها من المراكز الثقافية المنتشرة في حواضر الدولتين. وبذلك كان لهم دور كبير في تنشيط الحياة الثقافية[2]. ويمكن ملاحظة الدور الذي قاموا به من خلال المراكز الثقافية التالية:

أ-الكتاتيب: وهي بمثابة المدارس الابتدائية وكانت عبارة عن حجرات صغيرة تُبنى إلى جوار المساجد بغرض تحفيظ الأولاد الصغار القرآن الكريم وتفسيره بشكل موجز، الكتابة، القراءة والإعراب، بدل تعليمهم في المساجد حفاظا على نظافتها وهدوئها، وبالتالي عدم التشويش على المصلين[3].ويتكفل أولياء التلاميذ ميسورو الحال عادة بإنشائها، فيستأجرون لذلك بيوتا أو يبنون أماكن خاصة للتعليم. أما اذا استأجر معلم محلا وحوله كتابا ،يدفع أولياء التلاميذ أجرة الكراء[4].كما وجد في قصور

(1)بسام كامل عبد الرزاق شقدان: المرجع السابق، ص- ص 223-224.

(2)بلحسن ابراهيم: **العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 7 إلى القرن 9هـ/13 إلى 15م**،مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الشعبية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 2004-2005م، ص100.

(3) خالد بلعربي: **الدولة الزيانية في عهد السلطان يغمراسن؛ دراسة تاريخية حضارية 633-681هـ/1235-1287م**، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، السنة الجامعية 2003-2004م، ص227.وعبد القادر بوحسون: **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني(633-962هـ/1235-1554م)**،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، الموسم الجامعي 1428-1429هـ /2007-2008م ،ص37.

(4)مبخوت بودواية: **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان**، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة تلمسان ،السنة الجامعية 2005-2006م ، ص75.

السلاطين أيضا كتاتيب لتعليم أولاد السلاطين وأولاد بعض كبار رجالات البلاط[1]،ذلك أن بعض السلاطين الحفصيين كانوا من العلماء ويقدّرون العلم وأهله [2].

ب– المساجد: تعتبر من أهم المراكز العلمية في بلاد المغرب الإسلامي، لكونها كانت تعج بطلبة العلم والشيوخ الذين كانوا يجلسون عند أحد أعمدة المسجد ويتحلق الطلبة حولهم يسمعون ويسجلون ما يقدمه شيوخهم في الفقه واللغة العربية والمنطق وغيرها من العلوم[3]. وقد أشار الونشريسي إلى ذلك بقوله:" جماعات كانوا يتحلقون في المساجد للفتوى ومذاكرة العلم والخوض فيه..." [4].

ج– الرباطات والزوايا: تُعد الرباطات واحدة من أهم مراكز الثقافة في بلاد المغرب لدورها في هذا المجال. فقد أُسّست في أواخر القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد. والسبب وراء إنشائها يتمثل في حماية بلاد المغرب من الغارات التي كانت تستهدفها، بأن يرابط فيها الجنود ويصدوا عنها هجمات أساطيل النصارى [5]. والرباط ثكنة تتكون من عدد من الغرف ومسجد تعلوه مئذنة تستعمل لمراقبة السواحل، وإشعال النار ليلا، والتي تكون بمثابة علامة إنذار وتنبيه للرباطات الأخرى. ولا يمكن أن نغفل كذلك دورها الثقافي المتمثل في بث العلم والمعرفة في صفوف طلبة العلم من قبل المرابطين فيه، بالإضافة إلى وجود قبور العلماء الذين يتوفون فيدفنون هناك [6].

وقد انتشرت الزوايا في العديد من نواحي الدولتين الحفصية والزيانية، ومن أشهرها في المغرب الأوسط: زوايا سيدي أبي مدين وسيدي السنوسي وسيدي الحلوي في تلمسان، زاوية سيدي الهواري

---

(1)روبار برنشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي إلى القرن 15م**، تر:حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988م ، ج2،ص375.

(2)عبد الرحمن حسين العزاوي: **تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي**،ط1،دار الخليج، عمان– الأردن ،1432هـ/2011م ، ص159.

(3)كمال السيد أبو مصطفى: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 1996م،ص115.

(4) أحمد بن يحي الونشريسي: **المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت1981م،ج9،ص27.

(5)محمد الأمين بلغيث: **الرُّبط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1986–1987م، ص34 وما يليها.

(6)حسن خضيري أحمد: **صفحات من تاريخ المغرب الإسلامي**، ط1، مكتبة المتنبي، الدمام، المملكة العربية السعودية 1426هـ /2005م ،ص،ص232،231.

وزاوية سيدي إبراهيم التازي في وهران، زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي وزاوية الولي دادة وزاوية عبد القادر الجيلاني في مدينة الجزائر. أما في تونس الحفصية، فقد انتشرت الزوايا، مثل: زاوية سيدي ابن عروس، زاوية سيدي الكلاعي، زاوية سيدي قاسم الزليجي، وزاوية الشاذلي... (1)

د–**المدارس**: انتشرت هي الأخرى في الدولتين الزيانية والحفصية، وخاصة في الحواضر الكبرى. ومعظم تلك المدارس كانت تضم غرفا لسكنى الطلبة البعيدين عن بيوتهم وأماكن للراحة في أوقات الفراغ ومخازن للأمتعة. ويشترط على الطالب أن يكون قد بلغ من عمره عشرين سنة أو ما فوقها حتى يُقبل في المدرسة. ويشترط عليه أن يحضر مجلس العلم وتلاوة القرآن صباحا ومساء وأن تظهر نجابته في العلم؛ فإن ظل عشر سنوات في المدرسة دون أن يحرز تقدما، أخرج منها (2).

ومن أشهر المدارس في تلمسان الزيانية: مدرسة العباد، مدرسة ابني الإمام في مدينة برشك (3)، المدرسة التاشفينية، نسبة إلى أبي تاشفين عبد الرحمن الأول.

أما لدى الحفصيين فتعدّدت المدارس كذلك، خصوصا وأن إنشاء أول مدرسة في بلاد المغرب كان في تونس الحفصية، ويتعلق الأمر بالمدرسة الشَّماعية (4)، المدرسة المعرضية، مدرسة باب البحر (799هـ/1390م) (5)المدرسة المنتصرية، المدرسة التوفيقية، ومدرسة ابن تافراجين (6) الواقعة داخل باب سويقة في مدينة تونس... (7).

---

(1) مبخوت بودواية :المرجع السابق، ص–ص77–78.

(2) كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص117.

(3)يحي بن خلدون: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تق وتح: عبد الحميد حاجيات،جزآن، م.و.ك، الجزائر 1980م، ج1، ص130. وعبد الحميد حاجيات: **أبو حمو موسى الزياني: حياته وآثاره**، ش.و.ن.ت، الجزائر،1974م، ص، ص44،46.

(4) عبد العزيز الدولاتي: **مدينة تونس في العهد الحفصي**، تع: محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتي، دار سراس للنشر، تونس 1981م، ص، ص133،79.

(5) نفسه، ص140.

(6) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن تافراجين التينمللي أحد أبرز أفراد أسرة بني تافراجين التي خرجت من المغرب الأقصى واتجهت نحو إفريقية الحفصية. وكان له دور بارز لدى الحفصيين خلال القرن 8هـ/14م؛ حيث تمتع بنفوذ واسع وسلطة مطلقة ما يزيد عن العشرين سنة شغل خلالها منصبي الوزارة والحجابة التي كانت من أهم الخطط لدى الحفصيين وقتها مما مكنه من أن يكون المدبر الأول لأمور الدولة. ينظر: كمال السيد أبو مصطفى: **دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 1997م، ص، ص 11،14.

(7) كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص119.

هـ–خزائن الكتب: لقد أنشئت العديد من خزائن الكتب في حواضر الدولتين الزيانية و الحفصية، نذكر منها: خزانة الكتب التي أسّسها أبو حمو موسى الثاني سنة 760هـ/1358م بالجامع الأعظم بتلمسان(1)، وخزانة أسرة الفقون في قسنطينة والتي اشتهرت منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي(2)،وخزانة الكتب التي أنشأها أبو فارس عبد العزيز في جامع الزيتونة(3).كما شرع أبو عمرو عثمان في تشييد خزانة عمومية للكتب في أحد أورقة جامع الزيتونة، ولكن حفيده أبا عبد الله محمد هو من أتمها ولذلك سميت بالمكتبة العبدلية(4).

ولا شك أن كثرة المؤسّسات الثقافية في البلدين، قد ساعدت على ازدهار العلوم فيهما، وبالتالي كثرة المصنّفات، التي كانت متداولة وقتها (5). وعلى رأس هذه المصنفات نجد الدراسات القرآنية، التي اشتهر بتلقينها في المغرب الأوسط عدد من العلماء من أمثال: العباس أحمد بن محمد بن علي الزواوي (6)(ت. 750هـ/1350م)، ابن مرزوق الحفيد(7)(ت.842هـ/1438م)،محمد بن يوسف

(1) الحاج محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، د.م.ج، الجزائر،2011، ج1، ص89.

(2) المهدي البوعبدلي: المرجع السابق، ص106،102.

(3) كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص121.

(4) عبد الرحمن حسين العزاوي: المرجع السابق، ص152.

(5)مريم بوعامر: **الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الإزدهار الحضاري مابين القرن 7 و9هـ/13 و15 م**،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي،كلية العلوم الاجتماعية والانسانية،جامعة أبي بكر بلقايد–تلمسان،1430–1431هـ/2009–2010م، ص53.

(6)فقيه ومقرئ ومحدث جزائري. قرأ العلم في فاس على علي بن سليمان القرطبي ومالك بن المرحل إمام وقته بالقراءات...روى عنه أحمد بن الحاجة التونسي، الذي لقيه في قسنطينة سنة 748هـ/1347م.كما أخذ عنه الكثير من طلبة العلم في تونس. وقد جمع مقروءاته ومروياته التي سمعها عنه الشيخ أبو عبد الله هـ محمد بن محمد السلاوي في فهرست بعد وفاته. ينظر: عادل نويهض: المرجع السابق، ص161. وينظر: المهدي البوعبدلي: **"تراجم بعض مشاهير علماء زواوة"**، في مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ع14–15، ص270.

(7)أخذ العلم على مجموعة من الشيوخ أبرزهم عبد الرحمن بن خلدون، ابن قنفذ القسنطيني، سعيد بن محمد العقباني وابن حجر الكناني العسقلاني وغيرهم من علماء المغرب والمشرق. ينظر: خالد بلعربي: **"الحياة الثقافية بتلمسان في عصر الشيخ محمد بن يوسف السنوسي"**،في مجلة عصور، ع17، ص169.

السنوسي[1](ت.895هـ/ 1490م) [2]. أما في المغرب الأدنى فاشتهر الفقهاء التالية أسماؤهم: محمد الوشتاني الأُبّي (ت.827هـ/1423م) [3]، إبراهيم بن عبد الرفيع(ت.766هـ/1364م)[8] ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن راشد البكري القفصي(ت. 736هـ/1335م)[4] ...

أ-علم الحديث: وكان علم الحديث واحدا من العلوم المنتشرة في المغربين الأوسط والأدنى أيضا، نظرا للقيمة الكبيرة للحديث الشريف، بالإضافة إلى الرغبة الشديدة في الاطلاع على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، والسعي إلى الاقتداء به [5]. وبالتالي يمكن الحديث عن عدد من المحدثين في المغرب الأوسط، ومن أبرزهم: أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي(ت.680هـ/1281م) [6]، المقري الجد (ت.759هـ/1358م)، أبو عبد الله الشريف التلمساني، ابن مرزوق الخطيب (ت.781هـ/ 1380م) ، ابن مرزوق الحفيد (ت.842هـ/1438م)، عبد الرحمن الثعالبي(ت.895هـ/1490م). ومن علماء

---

(1)هو واحد من أهم المتصوفة في المغرب الأوسط خلال القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد ولد سنة 830هـ/1426م أو سنة 832هـ/1428م في تلمسان. ينحدر من أسرة ذات علم ودين وصلاح. تتلمذ على عدد من العلماء في مسقط رأسه أولهم والده أبو يعقوب عمر، والشيخ نصر الزواوي وأبو عبد الله محمد بن قاسم بن تومرت الصنهاجي وغيرهم. وبذلك كان واسع التحصيل عميق الثقافة. ترك عددا من المؤلفات منها: "عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمت الجهل وربقة التقليد المرغمة أنف كل مبتدئ عنيد" و"عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد" و"العقيدة الوسطى". للمزيد ينظر: خالد بلعربي: المرجع السابق، ص، ص 164،167.

(2)زينب رزيوي: **العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7و9هـ/13و15م**،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، بإشراف أ.د/خالد بلعربي كلية العلوم الانسانية والاجتماعية،جامعة سيدي بلعباس،1436-1437هـ/2015-2016م، ص-ص187-188.

(3) اسمه الكامل محمد بن خلفة بن عمر التونسي الوشتاني الشهير بالأبي نسبة إلى قرية أبة(بضم الهمزة).وهو علامة محدث وحافظ وواحد من تلاميذ الإمام ابن عرفة، اشتهر ببراعته وتقدمه في كثير من العلوم. ترك عددا من المؤلفات منها: "إكمال الإكمال في شرح مسلم" المذكور أعلاه، وشرح على المدونة. ينظر: أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الإسلامية، جزآن، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس2000م،ج2، ص487.

(4) ولد في قفصة وبها قرأ مبادئ العلوم، قبل أن ينتقل إلى حاضرة تونس ويواصل تحصيل العلم بها عن كبار شيوخها، ثم رحل إلى مصر سنة 680هـ/ ولقي بها عددا غير قليل من العلماء. وبعد أن أدى فريضة الحج عاد القفصي إلى إفريقية، أين عينا قاضيا ولكنه عزل بعد أن سعى في ذلك قاضي الجماعة ابن عبد الرفيع ظنا منه أنه منافسه. ينظر: محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، 8أجزاء،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982م ، مج2، ص738.

(5) إبراهيم بلحسن: المرجع السابق، ص43.

(6) درس أولا بمدينته الشلف، ثم انتقل إلى مدن أخرى، مثل مليانة والشلف وتلمسان وبجاية. كما أخذ العلم عن الشيوخ في تونس والقاهرة وبلاد الشام. ينظر عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص329.

المغرب الأدنى في علم الحديث: أبو محمد بن خلفة بن عمر الوشتاني [1]، ابن الدباغ عبد الرحمن ابن محمد بن علي الأنصاري الأوسي(ت.699هـ/1299م) [2]

ب–العلوم اللسانية: ونالت حظاً وافراً من اهتمام العلماء في الدولتين الزيانية والحفصية، والبداية بالعلوم اللسانية؛ فقد انصب اهتمام الفقهاء والمحدثين على اللغة العربية انطلاقا من اهتمامهم بالعلوم الدينية [3].

ج–الأدب: وعرف هو الآخر بفرعيه النثر والشعر ازدهارا كبيرا في الدولتين الزيانية والحفصية، وذلك راجع للاهتمام الكبير الذي كان يُبديه السلاطين في الدولتين للشعر والشعراء، حتى أنهم كانوا يقرضون الشعر في مناسبات كثيرة. [4]. غير أن الشعر في إفريقية غلب عليه خلال هذه الفترة التكلّف والميل نحو الإكثار من السجع والمحسنات البديعية على حساب المعنى[5].ومن أشهر الأدباء: ابن مرزوق الخطيب، الشريف التلمساني، الآبلي ،عبد الله محمد بن أحمد التجاني الذي ترك عددا من المؤلفات منها: "تحفة الدروس ونزهة النفوس" و"الدر النظيم ونفحات النسرين في مخاطبة النسرين"[6] وأبو محمد عبد الواحد بن التين الصفاقسي. أما الشعراء فهم كثر ومنهم: الشاعر التلمساني ابن خميس(ت708هـ/1307م)[7] وغيرهم الكثير.

---

(1)ولد بالمهدية سنة 600هـ/1203م، ويعرف بابن عربية. هو إمام ومحدث وشاعر وأديب. أخذ عن عدد من الشيوخ من أمثال الإمام البرقي. وكان من المقربين من الأمير أبي زكريا الحفصي. ينظر: محمد بن محمد بن مخلوف: المرجع السابق، ص–ص189–190.

(2)ولد سنة 605هـ/1208م. محدث وعالم بارع في العلوم النقلية والعقلية. أخذ العلم عن جملة من العلماء منهم والده والعالم أبو عبد الله المعروف بالحنفي والعالم أبو عمرو عثمان المعروف بابن شقر. ينظر: محمد بن محمد مخلوف: المرجع السابق، ص193.

(3)مريم بوعامر: المرجع السابق،ص58.

(4)بلحسن إبراهيم: المرجع السابق، ص50.

(5)جميلة مبطي المسعودي: **المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621هـ وحتى سنة 893هـ**، رسالة مقدّمة نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، بإشراف أ.د/محمد المنسي محمود عاصي ،جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،1421هـ/2000م، ص198.

(6)نفسه،ص199.

(7)هو أبو عبد الله محمد بن عمر الحجري الرعيني. ولد بتلمسان سنة 650هـ/1252م ونشأ بها وأخذ عن علمائها. وكان له إحاطة بكثير م العلوم على غرار الطب وعلم السيمياء، مع حفظه لأشعار العرب والمامه بأحوالهم. وبعد أن كثر حاسدوه غادر تلمسان سنة 693هـ/1293م وقصد سبتة أين عمل مدرسا ولكن البعض كادوا له واتهموه بالزندقة فحكم عليه بالإعدام، ولكنه استطاع الهروب نحو الأندلس سنة 703هـ/1303م، وظل بها إلى توفي مقتولا. ينظر: حسين تواتي: **الوظائف السلطانية في**

ومن العلوم الأخرى التي نالت اهتمام الزيانيين والحفصيين:

د–التاريخ : والغرض منه تسجيل كل التفاصيل التي عرفتها الدولتان حتى لا تضيع وتتناقلها الأجيال، ولذلك انبثقت من هذا العلم فروع أخرى وهي السير والأنساب وكتب الطبقات[1]والحوليات والتواريخ المحلية، وكل ما له صلة بعلم التاريخ[2].ومن أشهر المؤرخين: ابن قنفذ القسنطيني(ت.808هـ/1406م)[3] ؛صاحب كتاب "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية"، عبد الرحمن بن خلدون(ت.808هـ/1406م)[4] صاحب كتاب العبر[5]،محمد بن الشماع (ت.873هـ/1459م)[6] ؛صاحب كتاب "الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية" ، وأبو

الدولة الزيانية؛ الكتابة أنموذجا(633–791هـ/1236–1389م)، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحضاري للمغرب الإسلامي، بإشراف أ.د/مبخوت بودواية، قسم التاريخ وعلم الآثار ،جامعة تلمسان، السنة الجامعية 2013/2012م، ص- ص111-112.

(1)وهي المؤلفات التي تعرضت لتراجم مجموعة واحدة تختص في علم معين، مثل طبقة القضاة أو الفقهاء أو الأطباء أو الشعراء طبقة بعد طبقة.ينظر: السيد عبد العزيز سالم: **التاريخ والمؤرخون العرب**، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص177.

(2)ابراهيم بلحسن: المرجع السابق، ص53.

(3)هو أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني الشهير بابن قنفذ. إمام قاض ومحدث. أخذ عن جملة منى العلماء وأشهرهم: أبو علي حسن أبو القاسم بن باديس والإمام أبو لقاسم السبت و أبو عمران موسى العبدوسي الفاسي والإمام أبو العباس أحمد بن قاسم القباب الفاسي والإمام ابن عرفة والشريف أبو عبد الله التلمساني وغيرهم. وقد ظل ابن قنفذ في المغرب الأقصى مدة ثمانية عشر عاما اشتغل فيها بالتحصيل العلمي. ينظر:أحمد باب التنبكتي: المصدر السابق،ج1، ص، ص109،110.

(4)هو أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون ولد بتونس سنة 732هـ/1332م لعائلة إشبيلية ذات أصل يمني ومشهورة بالعلم والسياسة. تلقى العلم في مسقط رأسه على مجموعة من العلماء من بينهم محمد بن إبراهيم الآبلي. وتقلد مجموعة من الوظائف من أهمها: التشريفات في قصر السلطان الحفصي ، كتابة السر في فاس ، القضاء، الحجابة ببجاية والخطبة والتدريس في جامع المدينة نفسها...وخرج ابن خلدون بعد ذلك في مهمة نحو قلعة بني سلامة كلفه بها السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني، أين ظل أربع سنوات كتب خلالها مقدمته الشهيرة. ومن بلاد المغرب خرج ابن خلدون نحو بلاد المشرق أين طاف في دمشق والقاهرة التي بقي بها إلى أن توفي. للمزيد ينظر:ناصر الدين سعيدوني:**من التراث التاريخ والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم رحالة وجغرافيين**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999م، ص ،ص 212، 214.

(5)أحمد الطويلي: **الحياة الأدبية بتونس في العهد الحفصي(600–950هـ/1204–1543م)**، تصدير: الشاذلي بويحي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القيروان 1996م، م2، ص506.

(6)هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد المرجاني الهنتاتي. ولد بتونس وعاش بها لأسرة عرف أفرادها بالعلم والثقافة. تولى منصبي القضاء والكتابة لدى الحفصيين، وبذلك مكنته إقامته في البلاط من الاطلاع على كل الأحداث وتسجيلها في كتاب كان الهدف من ورائه تخليد السلطان أبي عمرو عثمان. توفي بعد إصابته بوباء الطاعون. للمزيد ينظر: ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص- ص244-245.

عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي الزركشي(ت. بعد 887هـ/1482م) صاحب كتاب "تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية" [1].

هـ-كتب التراجم: كتاب "الحلة السيراء" لابن الأبّار القضاعي(ت.658هـ/1260م)[2] كتاب "سبك المقال لفك العقال" لابن الطَّواح التونسي، كتاب "معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان" لابن ناجي [3]،كتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" لصاحبه أبي زكريا يحي بن خلدون، وغيرها من الكتب التاريخية الكثيرة.

و-الجغرافيا: ونشطت حركة الكتابة الجغرافية في بلاد المغرب منذ عصر مبكّر، وذلك لاتصالها بالكتابة التاريخية [4]ومن أشهر الرحالة في هذه الفترة: أبو محمد عبد الله بن محمد التيجاني(ت.718هـ /1318م)،صاحب الذي قام برحلة في البلاد التونسية برفقة السلطان الحفصي أبو يحي زكريا ابتداء من سنة 706هـ/1306م سجل خلالها التجاني كل ملاحظاته في إفريقية وطرابلس من ناحية العمران في المدن والقرى والعادات والتقاليد ،وتحدث أيضا عن العلماء الذين لقيهم في رحلته[5].

ز-كتب الرحلة: كان اهتمام العلماء وطلبة العلم بالرحلة كبيرا جدا؛ وذلك لفوائدها الكثيرة المتمثلة في لقاء المشايخ والاحتكاك بهم وأخذ العلوم عنهم بشكل مباشر؛ أي عن طريق التلقين والاستفسار والنقاش. وهذه الطريقة ذات فاعلية أكثر من الاكتفاء بالاطلاع على كتب الشيوخ، لأنها تساعد على ترسيخ المعلومات في ذهن الطالب وتصحيح معارفه التي حصلها مسبقا[6]. ولذلك، فإنه كلما

---

(1) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص164.

(2)هو فقيه ومحدث ومقرئ وأديب ولغوي ومؤرخ أندلسي .استوطن مدينة بجاية وأخذ عن علمائها وتصدر للتدريس بها، ثم قصد إفريقية، وظل بها بعض الوقت، ومنها توجه إلى الأندلس وعاد أخيرا إلى بجاية. ولكنه توفي في تونس. ينظر: أبو العباس أحمد بن عبد الله الغبريني: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، حقّقه وعلّق عليه عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت 1979م، ص، ص313،309.

(3)أحمد الطويلي: المرجع السابق، ص -ص507-508.

(4)السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون...،المرجع السابق، ص184.

(5)نفسه،ص- ص233-234.

(6) عبد الرحمن بن خلدون: **مقدمة ابن خلدون من كتاب العبر**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،(د.ت)،ص- ص 542-541.

سمع العلماء وطلبة العلم بعالم أو شيخ في بلد ما، إلا وشدوا الرحال إليه للقائه والاستزادة مما لديه من علوم ومعارف [1].ومن الأمثلة على تنقل العلماء بين البلدين:

-**ابنا الإمام أبو زيد عبد الرحمن**(ت.741هـ/1341م) **وأبو موسى عيسى**(ت.749هـ/1349م): ولدا ببرشك(شرق تنس الحالية)رحلا خوفا على حياتهما إلى تونس سنة 700هـ/1301م بعد أن قتل أبوهما، ولقيا بعضا من علمائها الأجلاء من أمثال: ابن العطار، ابن جماعة، المرجاني...لكنهما عادا الجزائر بعد سنة وانكبا على التحصيل العلمي[2].

-**إبراهيم بن فائد الزواوي القسنطيني**(ت.857هـ/1453م): واسمه الكامل إبراهيم بن فائد بن موسى بن هلال الزواوي القسنطيني. واحد من فقهاء جرجرة. ولد سنة 796هـ/1394م.أخذ في البداية الفقه عن أبي الحسن علي بن عثمان المانجلاتي، ومنها رحل إلى تونس أين أخذ الفقه والمنطق والتفسير والأصول عن كل من الأبي، القاضي أبي عبد الله القلشاني، يعقوب الزغبي وعبد الواحد الغرياني. ثم رجع إلى الجزائر ومكث مدة في كل من بجاية وقسنطينة وتفقه على علمائهما. كما أنه حج أكثر مرة قبل أن توافيه المنية[3]. ترك عدة مؤلفات منها: شرح لألفية ابن مالك وشرح لمختصر خليل سماه تسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض الخليل وشرح آخر سماه(فيض النيل)[4].

-**أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري التلمساني الشهير بالرصاع**(ت.894هـ/1489م):أصله من تلمسان. قصد تونس وبها أخذ العلم عن أحمد وعمر القلشانيين وابن عقاب والبرزلي. تولى منصب القضاء، وبعد ذلك ترك القضاء واشتغل بالخطابة والتدريس(الفقه وأصول الدين، اللغة العربية، المنطق) والإفتاء في جامع الزيتونة[5]. ترك مجموعة من الشروح منها: "الأجوبة التونسية عن

---

(1)فافة بكوش: **أبو عبد الله المقري(ت759هـ)ورحلته العلمية بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامي**، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ السياسي والثقافي لدول المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 2011م-2012م،ص- ص76-77.

(2)يحي بوعزيز: **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، جزآن، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995م ، ج2، ص-ص19-20.

(3) أبو القاسم محمد الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، جزآن، دراسة وتحقيق خير الدين شترة،ط1، دار كردادة للنشر، الجزائر 1433هـ/2012م ،ج1،ص11.

(4)أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ص- ص 56-57.

(5) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي: **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، 12 جزءا، دار الجيل، بيروت ،د.ت، ج8، ص-ص287-288.

الأسئلة الغرناطية" وضمن فيه إجاباته عن الأسئلة التي وجهها له الشيخ محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري الغرناطي و"تحفة الأخيار في فضل الصلاة على النبي المختار" و "التسهيل والتقريب والتصحيح لرواية الجامع الصحيح" وهو تعليق على مختصر على صحيح البخاري. وغير ذلك الكثير[1].

-**أحمد بن عثمان بن عبد الجبار التونسي الملتاني أبو العباس**(ت.944هـ/1537م):فقيه، متصوف، أصولي ونحوي تونسي، رحل إلى المشرق ولقي عددا من العلماء هناك. ولما عاد استقر ببجاية وأخذ في تلقين العلوم فيها[2].

- **أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد القلشاني التونسي**، (ت.863 هـ/1459م): فقيه، علامة، حافظ وفقيه تونسي. أخذ العلم عن مجموعة من العلماء منهم أبو مهدي عيسى الغبريني ووالده أبو عبد الله، وابن عرفة. من بين المناصب المسندة إليه: إمامة الجامع الأعظم بتونس، ثم قضاء قسنطينة سنة 822هـ/1419م وأخيرا قضاء الجماعة بتونس [3].

ومن المظاهر الأخرى للتواصل الثقافي بين المغربين الأوسط والأدنى، منح الإجازات العلمية والتي كانت منتشرة في بلاد المغرب [4]؛ إذ كان الأساتذة يجيزون طلبتهم في مختلف الفنون. وتختلف هذه الإجازة بحسب قدرة الطالب ومدى تحصيله، فهناك نوع من الإجازات يمنحها الأستاذ للطالب الذي حضر جميع دروسه وفقا للمدة المطلوبة، ويوجد نوع آخر يمنح للطلبة النابغين تكون بمثابة إذن لهم للتدريس ورواية الحديث. وطبعا لا تخلو هذه الإجازات من توصيات هامة هدفها تبيان فضل العلم والحث على طلبه، بل والتفاني في ذلك [5].

ومن أمثلة ذلك، إجازة أبي القاسم بن أحمد بن محمد البرزلي (ت.833هـ/1429م)[6] الذي أجاز ابن مرزوق الحفيد (ت.842هـ/1438م)[1] واستعرض في إجازته تلك أسماء جميع الشيوخ الذين قرأ عليهم وإجازاتهم له في العلوم التي قرأها عليهم[2].

---

(1) محمد محفوظ: المرجع السابق، ج2، ص-ص359-360.

(2) نفسه، ص 79.

(3) نفسه، ص117.

(4) زينب رزيوي: المرجع السابق، ص80.

(5) المهدي البوعبدلي: المرجع السابق، ص96.

(6) اسمه الكامل أبو الفضل أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن المعتل البلوي الشهير بالبرزلي القيرواني والملقب بشيخ الإسلام. أحد أعلام المالكية في العهد الحفصي. ولد في تونس سنة 740هـ/1339م.قرأ على مجموعة من الفقهاء منهم: محمد بن مرزوق

ج-المناظرات: وهي مظهر آخر من مظاهر التواصل الثقافي؛ فقد جرت كذلك بعض المناظرات بين فقهاء كل من تلمسان وتونس، تمحورت موضوعاتها حول الفقه المالكي بالإضافة إلى التفسير والتصوف واللغة وعلم الكلام. ومن هذه الأمثلة مناظرة العلامة والفقيه الشريف التلمساني والفقيه التونسي ابن عبد السلام(ت.749هـ/1348م) [3] حول إحدى المسائل الفقهية، التي كان الحق فيها للشريف التلمساني فاعترف ابن عبد السلام بفضله. ومع ذلك، فإن كلا منهما قد أخذ العلم عن الثاني [4]. كما أن سليمان بن الحسن البوزيدي الشريف التلمساني(ت.845هـ/1441م)كانت له مسائل فقهية، راسل بشأنها العالم التونسي أبا عبد الله بن عقاب، فأجابه عنها[5].

وختاما، يمكن القول بأن هذا استعراض بسيط للأحوال الثقافية في كل من الجزائر وتونس وبعض مظاهر التواصل الثقافي بينهما قبل سنة 1519م، والتي يظهر أنها لم تتأثر بالنزاعات السياسية التي كانت تحدث بين الحين والآخر بين الدولتين، يدل على ذلك انتقال المشايخ وطلبة العلم بين البلدين. كما نشطت حركة التأليف وتعدّدت المؤسّسات الثقافية في حواضرهما العلمية التي كانت مقصدا للعلماء وطلاب العلم؛ وهو ما ساعد على تمتين الروابط الثقافية بين البلدين.

التلمساني وأبو الحسن البطرني والإمام بن عرفة وغيرهم. ومن تلاميذه الرصاع وحلولو وابن مرزوق التلمساني الحفيد. عُين شيخا في مدرسة ابن تافراجين ثم خلف الشيخ أبا مهدي عيس الغبريني بعد وفاته، في إمامة وخطابة جامع الزيتونة. ينظر: محمد محفوظ: المرجع السابق، ج1، ص- ص87-88.

(1) هو مفت وفقيه ومحدث تونسي اسمه الكامل أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن معتل البلوي القيرواني. قرأ على مجموعة من الشيوخ منهم: أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب، أبو الحسن البطرني وابن عرفة وغيرهم. ينظر: ابن مريم أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف المليتي المديوني التلمساني: **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، وقف على طبعه واعتنى بمراجعة أصله محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1326هـ/1908م، ص149.

(2) ابن مريم: المصدر السابق، ص- ص150-151.

(3)هو قاض وفقيه ونحوي تونسي .ولد سنة 676هـ/1277م.من شيوخه : أبو العباس الطبراني و المعمر أبو محمد بن هارون. ينظر: أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ص- ص406-407.

(4)هادي جلول: "**الحركة العلمية في حاضرة تلمسان وعناية السلطة الزيانية بها(ق8-9هـ/14-15م)**"،في مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية،مج10، ع01، جامعة الشلف، 2018م، ص83.

(5)أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص- ص169-170.

الفصل الأول: العوامل المؤثرة في التواصل الثقافي بين البلدين.

المبحث الأول: العوامل الموروثة.

المبحث الثاني: العوامل المستجدة.

المبحث الثالث: جوانب من التأثيرات العثمانية المختلفة في الجزائر وتونس

الفصل الأول:

العوامل المؤثرة في التواصل الثقافي بين البلدين.

بالرجوع إلى ما تقدم من المصادر والمراجع يمكن القول أن التواصل بين الجزائر وتونس كان قائما منذ أقدم العصور، وفي أشكال وصور عديدة ومختلفة. وقد ساهم في هذا التواصل عوامل كثيرة ومتنوعة؛ بعضها سياسي وبعضها الآخر اقتصادي. كما لا يمكن أن نغفل العوامل الاجتماعية، بالإضافة إلى عوامل أخرى لا تقل أهمية عن العوامل السابقة الذكر.

وسيكون التركيز في هذا الفصل هذا الفصل على مختلف العوامل المؤثرة في التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني وما نتج عنها. ومن هنا يمكن طرح التساؤل الآتي: ما هي أهم العوامل المؤثرة في التواصل الثقافي والاجتماعي بين الجزائر وتونس في العهد العثماني؟ وهل انعكست بالسلب أم بالإيجاب على التواصل بينهما؟ .

المبحث الأول–العوامل الموروثة.

ممّا لاشك فيه أن التواصل الثقافي بين البلدين قد تحكّمت فيه عوامل متعددة، يمكن القول بأن بعضها موروث أو قديم، والبعض الآخر مستجد. فالعوامل الموروثة أسهمت في بلورة هذا التواصل وصنعت تاريخ البلدين المشترك، قبل أن تطرأ عليهما العوامل الحديثة، والتي أعطت التواصل الثقافي بينهما طابعا جديدا أضيف إلى الطابع القديم. ويمكن حصر العوامل الموروثة في الآتي:

أولا– العامل الجغرافي:

تحتل معظم الحواضر العلمية للبلدين موقعاً استراتيجياً هاماً ما بين المشرق والمغرب والشمال والجنوب؛ حيث كانت تمر بهما العديد من طرق القوافل التجارية وركب الحجيج والمسافرين، ولم تكن هذه القوافل بمنأى عن الاحتكاك العلمي، وخلق ظاهرتي التأثير والتأثر، مما ولّد علاقة علمية انعكست ايجابا على الحركة العلمية والفكرية في البلدين.

ويقع كل من البلدين على ضفاف البحر المتوسط، وهما بلدان متجاوران. وعلى الرغم من وجود حدود بينهما، إلا أنها حدود سياسية من وضع البشر، وليست حدودا طبيعية[1].

ويوجد تشابه كبير في مظاهر التضاريس بالبلدين، ومن أبرزها:

أ–**سلسلتا جبال الأطلس الصغير والأطلس الكبير**[2]: فالأطلس الصغير قريب من البحر الأبيض المتوسط، بينما يتموقع الأطلس الكبير بالقرب من الصحراء، وهما متوازيان مع بعضهما[3].أما سلسلة الأطلس الصغير؛ فهي تمتد من الجزائر حتى الرأس الأخضر(بالقرب من بنزرت)، ويسمى في تونس والجزائر بالأطلس التلي.أما الأطلس الكبير الذي يمتد من جنوب الجزائر إلى أواسط تونس، فتختلف أسماؤه في البلدين؛ إذ يسمى في الجزائر الأطلس الصحراوي، بينما يأخذ في تونس اسم جبال الظهر.

(1)أحمد توفيق المدني: **جغرافية القطر الجزائري للنّاشئة الإسلامية**، المطبعة العربية، الجزائر 1948م، ص، ص4،7.

(2) محمد بيرم الخامس: **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**، تح: علي عبد القادر الشنوفي، ورياض المرزوقي، وعبد الحفيظ منصور،5 مجلدات، ط2، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس 1999م، مج2، ص328.

(3) Arsène Berteiul: **L'Algérie française histoire- mœurs-coutumes-industrie-agriculture**, Dentu libraire-éditeur, Paris 1856, t1, p8.

وتُكوّن هذه الجبال رابطة قوية بين كل من الجزائر وتونس، وتربط الشمال بالجنوب والشرق بالغرب[1].

ب–وادي مجردة: الذي ينبع من جبال مجردة بالجزائر، على مقربة من مدينة سوق أهراس، ثم يمر بالأراضي التونسية فيخترق كامل شماله؛ ليصب في خليج قرطاجنة على مقربة من مدينة تونس[2].وقد وصفه مارمول بقوله: «مجردة نهر أكبر من سابقيه، ينبع من نفس الجبال في المكان الذي يتاخم إقليم الزاب غير بعيد من مدينة تبسة، يتجه نحو الشمال في منعرجات كبيرة، ثم يدور في اتجاه البحر على بعد فرسخين من تونس...يرتفع ماؤه كثيرا عندما تسقط الأمطار...»[3].

ج– وادي جدي: الذي يأخذ منابعه بالقرب من مدينة أفلو بجبال عمور، ويسير إلى نحو الزيبان؛ إلى أن يصل شط ملغيغ الذي يُقابله شط الجريد في جنوب تونس [4].

د– الشطوط: سهول داخلية أو مساحات صحراوية واسعة تمتد باتجاه الشمال حتى تصل إلى شط الجريد بتونس، ويتسع هذا السهل أكثر في الجزائر. وقد سمي بالشط أو الشطوط لكثرة السباخ فيه، وأشهرها شط العروسة على الحدود الجزائرية التونسية، وشط ملغيغ الواقع جنوب بسكرة، ويمتد من هناك حتى أن يصل إلى العرق الشرقي الكبير في ملتقى الحدود الجزائرية التونسية من الجنوب.ومن الساحل التونسي على خليج قابس شرقا إلى ورقلة غربا[5].

هـ–العروق: ويشكل العرق الشرقي الكبير سياجا على بلاد المغرب من الناحية الجنوبية، ويبدأ من المحيط الأطلسي غربا إلى غاية نهر النيل جنوب مصر شرقا، ويعترضه في الجزائر مظهر تضاريسي آخر

---

(1) عبد الكريم غلاب: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**،3 أجزاء، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1426هـ/ 2005م، ج1، ص–ص26–27.

(2) عبد القادر علي حليمي: **جغرافية الجزائر–طبيعيّة– بشريّة– اقتصادية**، ط2، مطبعة الإنشاء، دمشق 1968م، ص– ص 49–50. وأحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص– ص 19–20.

(3) مارمول كاربخال: المصدر السابق، ج1، ص41.

(4)عبد القادر علي حليمي: المرجع السابق، ص–ص 61–62. وأحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص– ص 42–43.

(5) عبد العباس فضيح الغريري وآخرون: **جغرافية الوطن العربي دراسة لمعوقات تكامله الإقليمي**، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 1420هـ/1999م، ص56.

يعرف بالحمادة، وهي هضبة صخرية تغطيها صخور جيرية في شكل صفائح ، تمتد من وادي ميزاب إلى وادي ريغ[1].

و–المناخ: ويمكن التمييز بين المناخات التالية في كل من البلدين: مناخ البحر الأبيض المتوسط الذي يسود شمالهما، والذي يتميّز بالبرودة وبتساقط الأمطار في فصل الشتاء، وبالحر والجفاف في فصل الصيف. وتقل الأمطار كلما تقدّمنا باتجاه المناطق الداخلية والمرتفعات. ويسود المناخ شبه الجاف الشمالي أغلب منحدرات الأطلس الصحراوي والهضاب الواقعة في ظل المطر. ويتميّز بنفس خصائص المناخ السابق، ولكنه يقل عنه في كمية المطر، وفي درجة الحرارة المعتدلة، والتي يمكن أن ترتفع ارتفاعا كبيرا في فصل الصيف. وأخيرا المناخ الصحراوي الذي يشغل مساحة كبيرة من البلدين. ويتميّز بهبوب رياح تجارية أثناء فصل الصيف مع ارتفاع درجات الحرارة نهارا وانخفاضها النسبي ليلا وذلك لانخفاض معدلات الرطوبة[2].

وانطلاقا مما سبق، يمكن القول بأن البلدان متجاوران، أحدهما امتداد للآخر، لا فاصل طبيعي يفصل بينهما؛ فالامتداد الجغرافي سهّل حركة انتقال الأفراد والجماعات، وجعل من البلدين فضاءً مفتوحا أمام التيارات العلمية حتى تكون سهلة للتأثير والتأثر المتبادل بين الإيالتين.

ثانيا– العامل التاريخي:

شهد كل من البلدين محطّات بارزة من تاريخهما المشترك عبر العصور، وكانت تحكمهما دولة واحدة أحيانا، سواء في العهد الاسلامي أو حتى في عهود ما قبل الاسلام. وكانت تلك العهود السابقة كافية لتوطيد أواصر الترابط والتواصل بين سكان البلدين وترسيخها. وقد تميّزت العلاقات السياسية بين سُلطتي البلدين، منذ أن ألحقت الجزائر بالدولة العثمانية في مطلع القرن العاشر للهجرة/ السادس عشر للميلاد بالسلم تارة وبالصراع والحروب تارة أخرى[3].

(1) عبد القادر علي حليمي: المرجع السابق، ص– ص 49–50.

(2)عبد العباس فضيح الغريري وآخرون: المرجع السابق، ص، ص141،138.

(3)Eugène Vayssettes: **Histoire de Constantine sous la domination turque 1514-1837**, Présentation de Ourda Siari Tengour, éd. Bouchene, Paris 2002, p 69.

ج-العامل البشري:

يبدو أن العناصر السكانية في كل من الجزائر وتونس متشابهة بحكم الجوار، فالعناصر الرئيسية التي كان يتألف منها غالبية سكان البلدين، هي: الأمازيغ (البربر) والعرب. الذين وحّد بينهم الدين الإسلامي واللغة العربية من جهة، ورابطة المصاهرة من جهة أخرى. أما العناصر الفرعية؛ فتشمل الزنوج، والأندلسيين الموريسكيين، والأوربيين، واليهود، وأخيراً وفد الأتراك العثمانيون.

وتعود أصول القبائل الأمازيغية؛ إلى خمس مجموعات قبلية كبرى هي: صنهاجة، زناتة، ومصمودة، وهوارة، وغمارة[1]. وينسب ابن خلدون بعضها إلى عرب شمال الجزيرة العربية، وينسب بعضها الآخر كصنهاجة إلى عرب الجنوب[2].

أما عن أصول القبائل العربية في البلدين، فتعود إلى: قبائل بني هلال، وسليم، وهؤلاء من عرب الشمال، إلى جانب عرب الجنوب (القبائل اليمنية والمضرية). كما استقرت أيضا بعض القبائل العربية التي قدمت من العراق والشام والحجاز ومصر إلى بلاد المغرب، منذ الفتح الإسلامي[3]، فاستوطن كثير منهم البلاد، وخاصة بعد بناء مدينة القيروان، التي غدت قاعدة لانطلاق عملية الفتوح نحو باقي مناطق بلاد المغرب. ولعل أكبر توافد للعرب حدث مع هجرة قبائل بني هلال وبني سليم إلى بلاد المغرب نهاية القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد. ولم ينعزل أفراد هذه القبائل، بل اندمجوا في المجتمع الجديد وأصبحوا جزءا لا يتجزأ منه. إضافة إلى الزنوج المتواجدين في المناطق الجنوبية بالصحراء الكبرى في كل من الجزائر وتونس [4]فكان الكثير منهم خلال العهد العثماني عبيدا؛ يُجلبون

---

(1) الحسن الوزان: **وصف أفريقيا**، تع: محمد حجي، ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983م، ص36.

(2) عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، مج7، ص03 وما يليها.

(3) أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين النويري: **تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط**: من كتاب **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح وتع: مصطفى أبو ضيف، دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1985م، ص175وما يليها. وخالد بلعربي: **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن؛ دراسة تاريخية وحضارية (633هـ-681 هـ/1233-1282م)**، ط1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر 2011 م، ص277.

(4) ستيفان غزال: **تاريخ شمال إفريقيا القديم**، تع محمد التازي سعود،8 أجزاء، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط 2007م، ج1، ص234.

من بلاد السودان الغربي عن طريق قوافل التجارة العابرة للصحراء. وكان بإمكانهم شراء حرياتهم بوسائل متعددة، مثل الأموال وتسامح السيّد، الذي يمكن أن يعطيهم حريتهم [1].

أما عن فئة المسيحيين، فتتشكل من الغزاة الإسبان وحلفائهم من الأمم الأخرى. وكان وجودهم محصورا في المدن الساحلية المحتلة [2]. وكانت فئة اليهود من العناصر الفاعلة في مجتمع بلاد المغرب، لأنهم لم يهتموا كثيراً بنشر الديانة اليهودية والتعريف بها، وإنما انشغلوا بجمع الثروة واستثمارها واستطاعوا بفضل ذلك أن يتمتعوا بمكانة هامة؛ نتيجة مساهمتهم الفعّالة في الحياة الاقتصادية [3].

4-العاملان الديني والثقافي:

ساهم الدين الإسلامي في تعميق الروابط اللغوية والثقافية بشكل كبير، ويتجلى عُمق العامل الديني؛ إذا علمنا أن الوحدة المذهبية في عموم بلاد المغرب (المذهب المالكي) ساعدت على تبادل الآراء في القضايا والنوازل الفقهية وطرق التدريس ومواد التعليم، والكتب الدراسية، وفي تنقل المشايخ وطلبة العلم بين البلدين، وكلها أسباب مهّدت لتوصيد الصلات والروابط الدينية بين حواضر البلدين. وقد أدى انتشار الثقافة العربية الإسلامية، إلى تجانس اللغة العربية [4]واللهجات، مما كان يزيد في تمتين أواصر التواصل الثقافي بين أفراد البلدين، إذ كانت الحواضر العلمية فيهما مفتوحة دوما في وجه طلبتهما ومشايخهما. وأدّى تجانس العادات والتقاليد في اللباس ونمط المعيشة والأعياد والاحتفالات إلى ترسيخ الوحدة الثقافية والفكرية فيهما. كما ساعد انتشار الطرق الصوفية، كالقادرية والشاذلية وفروعهما في كلا البلدين في توطيد الصلات والتواصل الروحي بين شعبيهما.

---

(1)A. de Fontaine de Resbecq**: Alger et les côtes d'Afrique**, Gaume Frères, Libraires, Paris 1837, p53.

(2) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ص466.

(3) عطاء أبو رية: **اليهود في ليبيا وتونس والجزائر**، تق: سنوسي يوسف إبراهيم، ط1، دار إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة 2005م، ص29 وما يليها. وخالد بلعربي: المرجع السابق، ص286.

(4) ظلت اللغة العربية مقتصرة في بلاد المغرب على المدن الكبرى وبعض الضواحي، ولكن بعد هجرة قبائل بني هلال وسليم في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد اتسعت رقعة استخدام اللغة العربية لتشمل الأرياف أيضا. وبذلك انتشرت هذه اللغة أكثر مما كانت عليه في القرون السابقة. ينظر: الراضي دغفوس: "**مراحل تاريخ الهلالية في المشرق: مسار قبائل بني هلال وبني سليم من الحجاز ونجد إلى إفريقية والمغرب**"، في مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب العراق، بغداد د.ت.

المبحث الثاني–العوامل المستجدة:

أولا– الغزو الإسباني لسواحل الجزائر(المغرب الأوسط):

شهدت بلاد المغرب في مطلع القرن السادس عشر للميلاد تدهورا على مختلف الأصعدة، نتيجة التنافس الحفصي والمريني على المغرب الأوسط والانقسام الداخلي وما صاحبه من تدهور في شتى المجالات. وهذا ما دفع بفرديناند إلى التعجيل بتنفيذ مشروع الحملة الإسبانية على سواحل بلاد المغرب [1]. ولم يكد يحل القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد، حتى كانت أغلب موانئ الدولتين الزيانية والحفصية تحت سيطرة الإسبان، نظرا لمعرفتهم الواسعة بهذه المناطق الساحلية، وخاصة ما يتعلق بتحصيناتها ومواطن القوة والضعف فيها [2].

يُعد الكاردينال خيمينيس أحد أهم الأطراف الفاعلة في هذه الأحداث؛ حيث قام بمجهودات كبيرة؛ إذ استعان بتاجر إسباني ذي أصل بندقي ليساعد الإسبان على احتلال موانئ المغرب الأوسط بحكم ارتياده الدائم لبلاد المغرب ومعرفته الدقيقة بكل خباياها [3]. أما فيما يخص تموين الحملة، فكان بفضل الأموال الطائلة التي أخذها الكاردينال خيمينيس من كنيسة طليطلة بعد أن أضاف إليها مبلغا من أمواله الخاصة [4].

أ–احتلال المرسى الكبير 911هـ/1505م:

وقع الاختيار بداية على المرسى الكبير لاحتلالها، ولذلك بعد انتهاء الاستعدادات عهد إلى

---

(1)مولاي بالحميسي: " **نهاية دولة بني زيان**"، في مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر 1975م، ع26،ص 30 وما يليها. ومحمود علي ، ومحمد خير فارس: **تاريخ المغرب العربي الحديث**، ط1، منشورات جامعة دمشق1420 -1421هـ/ 1999-2000م ،ص 18.و عمار بن خروف: **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر2006،ج1، ص، ص 16،18.

(2)Adrian Berbrugger : **'Oran, Traduction de rapports officiels espagnols sur la prise *de* Mers-el-Kébir en 1505"**,in R.A, 1869, V13, p100.

(3)Ch. de Rotalier : **Histoire d'Alger et de la piraterie des Turcs dans la méditerrané à daté du 16 siècle**, 2T, éd Paulin, Paris 1841, t1, p35.

(4)ibid,T1,p36.

الدون ديبغو دي كوردوبا[1](Don Diego de Cordoba) بقيادة الحملة. وجاء نجاح الإسبان في هذه الحملة بسبب عدم التكافؤ بينهم وبين المقاومين من سكان المدينة، والذين لم يتجاوز عددهم الأربعمائة في مقابل خمسة آلاف جندي إسباني مزوّدين بأسلحة أكثر تطورا مما كانت لدى نظرائهم، الذين قاوموا بشدة. ونظرا لعدم تمكّن قائد الحامية الزيانية من الصمود لوقت أطول في وجه الإسبان، اضطر إلى الاستسلام حفاظا على أرواح المسلمين. وحصل ذلك بتاريخ 14 جويلية 1505م واقتحم الإسبان المدينة وحرّروا جميع من كان بها من العبيد النصارى، واستولوا على الأموال التي تركها أصحابها بعد فرارهم [2].واحتفالا منهم بالنصر، عمد الإسبان إلى تحويل المسجد الكبير إلى كنيسة عرفت بكنيسة قديسة الرحمة وأحيوا فيها قداسا كبيرا ووضعوا سلاحهم على أبراج المسجد[3].

ب–احتلال وهران 915هـ/ 1509م:

لعلّ من أهم الأسباب التي أدّت إلى احتلال وهران، ممارسة أهلها لنشاط القرصنة واسترقاقهم للنصارى، ولذلك أرسل ملك إسبانيا فرديناند(Ferdinand) أسطولا ضخما لاحتلال المدينة وتخليص الأسرى الموجودين فيها[4].ولكن هذه الغارة مُنيت بهزيمة كبيرة؛ بفعل أخطاء ارتكبها الإسبان. ولكن بعد شهور من ذلك جهّز الملك الإسباني أسطولا أضخم من الأول بمساعدة الكاردينال خيمينيس وغيره من أساقفة إسبانيا[5].

---

(1)واسمه الكامل الدون ديبغو فيرناندیز دي كوردوبا ماركيز دي كوماريس. هو القائد العام وحاكم المرسى الكبير من 13 سبتمبر 1505م إلى مارس من سنة 1508م.ثم عين قائدا عاما وحاكما على مدينة وهران من جانفي 1510م إلى مارس 1522م، ثم عُيّن للمرة الثانية حاكما عاما على نفس المدينة من 15 نوفمبر 1584م إلى 20 ماي 1596م. ينظر:

M .le Mareshal de Mac-Mahon : **" Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnols en Afrique (1506-1574)"**, Jourdan Libraire-éditeur, Alger 1875, p, p313, 315.

(2)مختار حساني: **تاريخ الدولة الزيانية الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية**، 3أجزاء، ط1،دار الحضارة، الجزائر 2007م، ج1،ص72.

(3)Alexandre Pestemaldjoglou :"**Mers-el Kebir histoire et description de la forteresse"**, in R.A, 1940, V 84, p162.

(4)يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا(1500–1830)، ويليه المراسلات الجزائرية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد(1718–1780م)** ، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر2009م،ص17.

(5)الحسن بن محمد الوزان: المصدر السابق،ج2،ص30.و محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق، ص149.و مختار حساني: المرجع السابق،ج1،ص،ص83،79.

وبالفعل سقطت المدينة بسهولة بين أيدي الإسبان، ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى الخيانة التي كان أبطالها عامل المرسى الكبير، ويهودي، ومسلمان، تمثل عملهم في الأساس في استخلاص الضرائب واتفقوا على تسليم المدينة. وحالما وصلت القوات الإسبانية ورآها أهل المدينة خرجوا للقتال ولم يخلفوا وراءهم سوى عدد قليل من الناس. ولم تفلح محاولاتهم لصد الهجوم عن المدينة؛ إذ حصلت بعد ذلك مجزرة كبيرة في صفوف المسلمين الذين لم يسلم منهم، سوى عدد قليل فروا نحو الحقول تاركين نساءهم وأطفالهم وما يملكون لمشيئة أعدائهم [1].ولم تسلم مساجدها من مصير سابقاتها؛ إذ حُوّلت هي الأخرى إلى كنائس، وتمّ تحويل الجامع الأعظم إلى كاتدرائية مع تخريب جميع معالم المدينة[2]، وقتل حوالي أربعمائة(400) مسلم[3].

ج–احتلال بجاية :

يعتبر النشاط الجهادي لأهل مدينة بجاية ضد القراصنة الأوربيين في عرض البحر المتوسط، من أهم الأسباب التي دفعت الإسبان إلى احتلال مدينتهم؛ ذلك أنهم كانوا يجهّزون السفن الحربية ويرسلونها إلى إسبانيا لمساعدة مسلمي الأندلس، ونقلهم إلى بلادهم[4]. كما استغل الإسبان حالة الانقسام السياسي، الذي كان سائدا في هذه المدينة. ولذلك انطلق الأسطول الإسباني في سنة 915هـ/1510م .ولما وصل إلى مدينة بجاية قدموا عرضا للأمير الحفصي يتمثل في تقديم المدينة والخضوع لهم. وهو ما رفضه الأمير وأهل المدينة، ولذلك استعدوا للجهاد، وشرعوا في المقاومة. وبالمقابل قام الإسبان بالاختباء في المرتفعات المقابلة للمدينة ،وأخذوا في مراقبتها وقنبلة كل من يحاول الاقتراب من أبوابها. وقد استمر هذا الحصار مدة ستة(06)أيام. وفي هذه الأثناء، شرع أهل المدينة في المقاومة، ولكن الإسبان المختبئين في المرتفعات تمكّنوا من إفشال هذه المقاومة. وبالتالي سقوط

(1)مارمول كاربخال: المصدر السابق،ج2،ص330.

(2)عبد القادر فكاير: **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره(90–1206هـ/1505–1792م)دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر**،ط2،دار هومة، الجزائر 2012م،ص32.

(3)محمد العروسي المطوي: **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982م ، ص266م.

(4) الحسن بن محمد الوزان الفاسي:المصدر السابق،ج2،ص50. يحي بوعزيز: علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص26.

عدد كبير من الشهداء. ولما رأى بقية أهل المدينة ذلك، فروا نحو المناطق المجاورة، مثل جيجل وقسنطينة [1].

تمكّن الإسبان من الاستيلاء بشكل نهائي على بجاية بعد القضاء على مقاومة أهلها يوم 5صفر 915هـ/25 ماي1509م، وكانت المدينة في هذه الأثناء خالية من أهلها الذين استشهد بعضهم وهرب البقية بعد سماعهم بما حدث كما ذكر سابقا[2]. ونتيجة لذلك شيّد الإسبان قلعة قريبة من البحر، وقاموا بتحصين إحدى القلاع، التي كانت قد بُنيت بالقرب من دار الصناعة على الشاطئ[3].

د–السيطرة على مدينة الجزائر 916هـ/ 1510م:

بعد أن احتل الإسبان وهران والمرسى الكبير وبجاية، أدرك أهالي مدينة الجزائر بأن مدينتهم ستكون الهدف الموالي للإسبان وهو ما حدث فعلا؛ إذ أرسل الملك فيرديناد أسطولا كبيرا لاحتلال المدينة ومنع قراصنتها من الهجوم على السواحل الإسبانية. ولذلك سارع أهالي المدينة بإعلان الخضوع والطاعة للملك الإسباني، بل وتم عقد اتفاق بين الطرفين مدته عشر سنوات يدفع خلالها الجزائريون الضريبة للإسبان. كما أنشأ هؤلاء حصنا بالقرب من إحدى الجزر القريبة من مدينة الجزائر وتم تزويده بالرجال والمدفعية والذخيرة [4].

وقد سبب هذا الحصن أضرارا كبيرة لسكان مدينة الجزائر؛ ذلك أن الإسبان كانوا يرمون القذائف على المدينة [5].

هـ–خضوع مدينة تنس 916هـ/ 1510م:

سبق فرض الولاء على مدينة تنس وقوع أزمة على الحكم فيها، سببها اتفاق كل من أبي زيان

(1)Charles Feraud :**"Conquête de Bougie par les espagnols"** ,in R.A, 1868,V12, pp232,234.
(2) ibid,V12,p337.

(3)الحسن بن محمد الوزان:المصدر السابق،ج2،ص51.

(4) فراي دييغو دو هايدو: **طوبوغرافيا والتاريخ العام للجزائر**، تر وتع لخضر بوطبة، ط1، دار الباحث، الجزائر 2022م، ص20.

(5) المجهول: **كتاب غزوات عروج وخير الدين**، اعتنى بتصحيحه وتعليق حواشيه نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1353هـ/1934م، ص29.

ويحي(وهما ابنا ملك تنس) مع بعض الأشخاص على قتل أخيهما الأكبر عبد الله، ولكن المؤامرة اكتشفت وألقي القبض على أبي زيان وزُجّ به في السجن، وتمكّن يحي من الفرار نحو فاس بمساعدة الإسبان الذين وعدوه بتنصيبه حاكما على مدينة تنس، بشرط إعلان الولاء لهم. ولما سيطر يحي على المدينة أمدّه الإسبان بقوة كبيرة للوقوف في وجه أخيه[1].

و–استسلام مدينتي مستغانم، وتلمسان سنة 917هـ/ 1511م:

كانت مدينة تلمسان في هذه الأثناء تعيش ظروفا سيئة بسبب تمرد وانفصال بعض القبائل عن الزيانيين في تلمسان، مستغلة حالة الضعف التي وصلت إليها الدولة. وأمام هذه الظروف وجد أعيان مستغانم أنفسهم مجبرين على توقيع معاهدة الاستسلام سنة**917هـ**/ 1511م، التي ألزمت سكان المدينة بخدمة الملك الإسباني، ودفع الضرائب التي كانوا يؤدونها لمدينة تلمسان، وتزويد مدينة وهران بكل ما تحتاجه. إضافة إلى شروط أخرى، مثل تحرير الأسرى المسيحيين[2].وقد سلكت تلمسان هي الأخرى نفس الطريق، فوقّعت معاهدة الاستسلام مع وهران سنة917هـ/ 1511م[3].

ثانيا– استيلاء الإسبان على موانئ الدولة الحفصية.

أ–احتلال طرابلس 916هـ/ 1510م:

انتهز العدوان الإسباني الخلاف الذي وقع بين أحمد الحفصي وأبيه الناصر، وذهابه إلى إسبانيا لطلب المساعدة. وصادف وجوده هناك قدوم مجموعة من التجار الإسبان الذين كانوا مقيمين في طرابلس، فأخذوا يصفون لحكومتهم مدى الثراء الذي وصلت إليه هذه البلاد، والنعيم الذي كان عليه أهلها، والذي أدّى إلى ضعف مقاومتهم وابتعادهم عن الحرب. فكان ذلك دافعا قويا للإسبان حتى يحتلوا طرابلس[4].ولذلك وصلت الحملة إلى ميناء المدينة يوم 18ربيع الثاني916هـ/25جويلية 1510م.وكلّف قائد الحملة بيدرو نافارو[5] جزءا من جيشه بمهاجمة السكان القاطنين خارج المدينة

(1) Jean Monlau: **Les États barbaresques,** P. U. F, Paris 1963, p53.
(2) Elie de la Primaudaie :**Documents inédites sur l'histoire de l'occupation espagnol en Afrique(1506-1574)**,in R.A, 1875, V19, pp73 ,75.
(3) Fernand Braudel :**les espagnols en Algérie**, in R.A, 1928, V69, p224.
(4)ابن غلبون الطرابلسي: **التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار**، تص وتع: الطاهر أحمد الزاوي،ط1،دار المدار الإسلامي، بنغازي2004م،ص136.
(5)هو القائد العام وحاكم مدينة وهران والمرسى الكبير من 23 ماي 1509م إلى نهاية أوت من نفس السنة.ينظر:=

لقطع الاتصال بينهم وبين القاطنين داخلها، بينما كُلِّف الباقون بمهاجمة المدينة. وحالما نزل هؤلاء أخذت المدافع في قنبلة الأسوار، وتمكّنوا من احتلال البرج القائم عند باب العرب وفتحوا باب السور. وقتلوا قرابة خمسة آلاف (5000) من سكانها، وأسر أكثر من ستة آلاف(6000)، ولم يسلم حتى الذين التجئوا إلى الجامع الكبير من القتل، على الرغم من مقاومتهم، فقُتِل منهم حوالي (2000) ألفان[1].أما عدد القتلى من الجانب الإسباني فقُدّر بحوالي ثلاثمائة[2].ورغم أن الهدف الأساسي للحملة كان الحصول على أموال الطرابلسيين، فإن الإسبان لم يظفروا بها، لأن الأعيان والأغنياء، كانوا قد نقلوا أموالهم إلى خارج المدينة، قبل وصول الحملة لكون الطرابلسيين سمعوا بها[3].

ب-إخفاق الإسبان في احتلال جربة:

بعد أن استولى الإسبان على طرابلس، فُتِحت شهيتهم لمزيد من أعمال الغزو، ولذلك وقعت أنظارهم على جربة مباشرة بعد احتلال طرابلس التي اتخذوها قاعدة للانطلاق وتنفيذ مخططاتهم. وفي هذا الإطار جرت محاولتان لاحتلال الجزيرة بقيادة بيدرو نافارو، أولاهما في شهر جويلية سنة 916هـ/1510م، والثانية في الشهر الموالي من السنة نفسها. أما الثالثة فجرت سنة 926هـ/1520م بقيادة هوكو دي مونكادا. غير أن هذه المحاولات باءت بالفشل ولم يحقّق الإسبان منها شيئا[4].

ج-حملة شارلكان على تونس942هـ/1535م:

في الوقت الذي تمكّن فيه خير الدين بربروس من دخول تونس، كان شارلكان يتابع كل هذه الأحداث. وقد شعر بالخطر العثماني الذي أضحى يهدّد ممتلكاته في بلاد المغرب، ولذلك رأى أنه من الضروري إخراج العثمانيين من تونس. وقد وجد الحجة للقيام بمشروعه هذا، عندما طلب السلطان الحفصي مساعدة شارلكان له على استعادة عرشه، مقابل أن يُعلن له الخضوع ويلتزم بدفع

=Le Mareshal de Mac-Mahon : Op.cit, p313.

(1) ابن غلبون الطرابلسي: المصدر السابق،ص-ص137-138.

(2) اتّوري روسّي: **ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م**،تر. وتق: محمد خليفة التليسي،ط2،الدار العربية للكتاب، الإسكندرية، 1992م،ص-ص170-171.

(3) ابن غلبون الطرابلسي:المصدر السابق.

(4) محمد المطوي العروسي: **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1406هـ / 1986م ص،ص666،664.

ضريبة سنوية. ولعل الذي شجّعه على ذلك أكثر هجوم البحارة العثمانيين على سواحل الدويلات الإيطالية واسترقاق الكثير من أهلها [1].

ونتيجة لذلك قدم الإسبان إلى تونس، إلا أن خير الدين بربروس لم يصمد أمامهم وتقهقر نحو الجزائر، ولذلك دخلت القوات الإسبانية إلى تونس بسهولة تامة، وكان معهم السلطان الحسن الحفصي، الذي وبمجرد دخوله إلى القصبة أعطى الأمان للناس. وفي هذه الأثناء هجم عليهم الإسبان أثناء تواجدهم بالأسواق واستباحوا المدينة مدة ثلاثة أيام أخذوا خلالها ما وجدوا فيها من أمتعة وقتلوا أهلها وسبوا خلقا كثيرا، وفر من استطاع لذلك سبيلا نحو زغوان. [2].

لم يمكث شارل الخامس في تونس طويلا، خاصة وأن له العديد من الخصوم والمنافسين، ولذلك اكتفى بإقامة قلعة في حلق الوادي وإرجاع السلطان الحفصي إلى عرشه مع استمرار الوصاية الإسبانية على البلاد [3].

ثالثا–آثار الغزو الإسباني على الحياة الثقافية في البلدين.

بلغ الغزو الإسباني على سواحل البلدين أوجه خلال القرن السادس عشر، مما تسبّب في خراب كثير من المدن الساحلية الكبرى. ومن أهم انعكاساته على البلدين نذكر:

أ–آثار الغزو الإسباني على الجزائر:

نتج عن غزو الإسبان للمدن الساحلية بالجزائر أضرار بليغة، فالمدن التي كانت مراكز علمية فقدت ما كان لها من أهمية ودور علمي وحضاري بفعل هجرة علمائها الذين فضّلوا الرحيل إلى أماكن أكثر أمنا. كما أصاب بعض المنشآت في مدن أخرى الدمار، مثل مدينة الجزائر، التي كانت هدفا دائما للغارات الإسبانية.

---

(1)Diego de Haedo :**Histoire des Rois d'Alger** ,traduit de l'espagnol par Henri Delmas de Grammont, présentation de Abderrahmane Rebahi, Alger-Livres Édition, Alger 2004,pp57-58.

(2) أحمد بن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.تا، ج2،ص14.

(3) محمد المطوي العروسي: السلطنة الحفصية...، المرجع السابق، ص– ص702–703.

وجدير بالذكر، أن الاحتلال الإسباني قد ترك بدوره بعض المنشآت العمرانية، والتي كانت في مجملها عسكرية خدمة لأهدافه، وقد بقي كثير منها شاهدا على هذه الحقبة وما جرى فيها من مواجهات وسجالات بين الإسبان والجزائريين.

ب–تراجع دور الحواضر الثقافية بعد تعرض مؤسساتها للتخريب:

تأثرت المدن الجزائرية التي مسّها العدوان الإسباني تأثرا سلبيا أصاب نسقها العمراني والثقافي والعلمي، حيث تمّ تحويل المنشآت العلمية في هذه المدن عن دورها الذي أُسّست من أجله لتخدم الأهداف العسكرية الإسبانية، كما تعرض الكثير منها للتخريب بفعل القصف، وبالتالي تعطلها بصورة نهائية. ولذلك نستعرض بعض النماذج الآتية:

1–المرسى الكبير:

أقدم الاحتلال الإسباني على تحويل الجامع الكبير بالمرسى الكبير إلى كنيسة يوم 05 صفر 913هـ/ 14 جويلية 1507م، وأطلقوا عليها اسم "كنيسة القديس ميكائيل"، وخصّصوها للاجتماع المسيحي. وفي اليوم الموالي أُقيم فيها أول قدّاس ديني. أما من تعاون من المسلمين مع الإسبان، فكان من نصيبهم مصلى صغير جدا غير بعيد عن هذه الكنيسة [1].

2–مدينة وهران:

كانت هذه المدينة تحوي عددا كبيرا من الزوايا والمساجد، التي شكّلت مراكز للتعليم والتثقيف، وقد تعرض معظمها للتخريب من قبل الإسبان بعد احتلالهم للمدينة، وبعضها الآخر حوّلوه إلى كنائس، ونذكر منها:

–جامع البيطار: أُسّس هذا الجامع سنة 747هـ/1347م على مكان مرتفع شمال القصبة. وعند دخول الكاردينال خيمينيس إلى المدينة حوّله إلى كنيسة سنة 915ه/1509م تحت اسم سيدتنا المنتصرة(Notre dame de la victoire)،ثم سمي باسم القديس كريست الصبور(Saint-Christe de la patience).وظلت الكنيسة قائمة إلى سنة 1708م .وبعد أن فتح الباي بوشلاغم وهران للمرة

(1) عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص225.

الأولى قام بهدمها.وفي سنة 1732م بعد احتلال وهران للمرة الثانية استولى عليها اليهود وحولوها معبدا لهم، خربه الباي محمد الكبير بعدما أخرج الإسبان من وهران بشكل نهائي سنة 1792م[1].

-مسجد البرانية:

أسَّسه الباي بوشلاغم سنة 1708م خارج سور المدينة، ليؤدي فيه التجار الأجانب الذين يقصدون وهران بغرض التجارة، عباداتهم. وقد تعرض للهدم في سنة 1732م من قبل الإسبان وأقاموا مكانه برجا لتدعيم برج الصبايحية. وإلى جانب هذا المسجد وجدت بعض المساجد، التي هدمها الإسبان بصورة كلية[2].

3-في مدينة الجزائر:

شهدت مدينة الجزائر حركة علمية نشطة شملت جوانب متعدّدة، نشطها علماء أجلاء، منهم من كان متأصّلا في المدينة، ومنهم من زارها لطلب العلم، فكانوا يلتقون في المساجد والجوامع على غرار جامع السيدة، الذي تضرّر كثيرا أثناء حملة أنطونيو بارثيلو الأولى ضد الجزائر خلال سنة 1197هـ/ 1783م [3]،غير أن الداي محمد بن عثمان باشا[4] أعاد بناءه وجدده أحسن تجديد[5].

- هجرة العلماء:

لقد اعتاد علماء الجزائر (المغرب الأوسط) على الهجرة إلى الخارج لأسباب طوعية متعدّدة، منها أداء فريضة الحج أو طلب العلم. وقد عرفت الحياة الثقافية في عدد من الحواضر الجزائرية مع نهاية القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر الميلاديين تراجعا كبيراً، لعدم استقرار الأوضاع. وقد تسبب ذلك في هجرة عدد من العلماء الجزائريين إلى الحواضر الأخرى في دواخل البلاد. وعندما بدأت الاعتداءات الإسبانية على بلاد المغرب غادر عدد كبير من علماء الجزائر قسرا، نحو المناطق القريبة،

(1) عبد القادر فكاير: المرجع نفسه، ص373.

(2) نفسه، ص- ص373-374.

(3) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص، ص 71،87.

(4) تولى الحكم بين عامي 1179هـ/1766م و1205هـ/1791م.ينظر: عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، 3 أجزاء، ط3، دار الأمة، بيروت 2007م، ج3،ص247.

(5) أحمد الشريف الزهار: **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، تح أحمد توفيق المدني، ط2، ش.و.ن.ت ، الجزائر ص24.

مثل تونس والمغرب الأقصى أو باتجاه بلدان أخرى في المشرق، مثل الحجاز بحثا عن الاستقرار السياسي؛ وبالتالي الاستقرار الفكري الذي يساعد العلماء على البحث والتأليف والتدوين.

ومن العلماء الذين هاجروا نذكر: **أحمد بن جيدة المديوني الوهراني**(ت951 هـ/1544 م)[1] ،الذي درس على فقهاء وهران وتلمسان، من أمثال: **محمد بن يوسف السنوسي** الذي أخذ عنه مقدمته الصغرى، **الكفيف بن مرزوق** الذي كان يطالع له، **محمد بن أبي جمعة المغراوي** الذي أخذ التصوف عن **ابن تاغزوت** وعن **اسحاق بن ابراهيم التازي** و الشيخ **محمد بن عيسى**[2].ثم هاجر بعد ذلك إلى فاس بالمغرب؛ أين درس علم الكلام واستقر بها إلى غاية وفاته[3].ومن المشايخ الذين آثروا الهجرة إلى الخارج، نذكر أيضا الشيخ **قاسم بن عمر الزواوي** (ت.927هـ/1521م)، الذي استقر في القاهرة وبها توفي [4]. كما استقبلت تونس عددا من الطلبة والعلماء الجزائريين، أمثال: الفقيه **عاشور بن عيسى القسنطيني** (ت. 1075هـ/1664م)، الذي تولى التدريس بجامع الزيتونة وتوفي بتونس[5].

ب–آثار الغزو الإسباني على تونس:

شاع في أواخر العهد الحفصي في تونس على غرار الجزائر تراجع فكري، وذلك بفعل التدهور السياسي الذي عرفه البلدان، وزاد عليه الغزو الإسباني للسواحل التونسية، والذي نتج عنه إحراق خزائن الكتب، وتخريب الكثير من المراكز العلمية. وفي مقابل هذا التدهور الثقافي، انتشر مدّ الزوايا

---

(1) أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف المليتي المديوني التلمساني: **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، وقف على طبعه واعتنى بمراجعة أصله محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1326هـ/1908م،ص 53.

(2) نفسه، ص– ص 52–53.

(3)أبو القاسم محمد الحفناوي: **المرجع السابق**،ج2،ص44.

(4)عمار بن خروف: **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2008، ج2، ص101.

(5)محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ج1 ، د.ط، المطبعة السلفية، القاهرة،1930م،ص310.

والطرق الصوفية، التي أصبحت أهم مظهر من مظاهر التعبير عن الوعي الديني في المدن والقرى، وانتشرت الزوايا حتى لم يبق أحد في تونس(المغرب الأدنى) لم ينتسب لطريقة صوفية[1].

ولعل أهم الأضرار التي لحقت بالتراث في مدينة تونس، تتمثل في هذه المحنة التي تعرضت لها المخطوطات التونسية عندما غزا الإسبان البلاد، فأثناء هجومهم على تونس العاصمة سنة 981هـ/1573م بقيادة دون **جوان النمساوي**[2]، وجدها العساكر شبه خالية من سكانها، الذين فروا نحو زغوان والمناطق الأخرى المجاورة، وهو ما ساعد هؤلاء فعاثوا فسادا في المدينة، حتى أنهم اقتحموا جامع الزيتونة وأتلفوا قسما كبيرا من المخطوطات، التي كانت محفوظة في خزائنه الثلاث، وهي على التوالي:

- الخزانة التي أسّسها السلطان **أبو فارس عبد العزيز الحفصي**(ت1394-1434م) وسمّاها مكتبة بيت الحكمة[3]،وحبس عليها كل ما لديه من الكتب والوثائق. ويعود تاريخ تأسيسها إلى سنة 822هـ/1419م، وكان موقعها من الجامع بجوار مرصد الهلال[4].

- الخزانة التي أضافها **حفيده أبو عمرو عثمان**(ت893- 834هـ/1434- 1488م) في المقصورة الشرقية من الجامع في منتصف القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، وضمَّنها أهم الكتب،

---

(1) دلندة الأرقش:**"جدلية التجديد والتواصل في الحياة الفكرية بإيالة تونس"**، في م.ت.م، تونس، جويلية 1990م،ع 56-57،ص85. والتليلي العجيلي: **الطرق الصّوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)**، منشورات كلية الآداب بمنوبة، جامعة تونس1992، ص ص 39،64.

(2) أميرال وقائد إسباني عاش بين عامي (1547 و1578م)، وهو ابن غير شرعي للإمبراطور شارل الخامس. أحرز نصرا بحريا هاما على العثمانيين في معركة ليبانتو البحرية سنة 1571م، واستولى على تونس.وفي سنة 1576م عيّنه أخوه فيليب الثاني حاكما عاما على الأراضي المنخفضة بين عامي (1576 و1578م)، وكانت قد أعلنت العصيان على إسبانيا بزعامة وليم الصامت، غير أن جون لم يحرز انتصارات على المتمردين. ينظر:حسين نصار، وآخرون: **الموسوعة العربية الميسرة**، ط1، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا-بيروت 1431هـ/ 2010 م ،ص1271.

(3)محمود مقديش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح: علي الزواري، ومحمد محفوظ، مجلدان،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988م،مج1 ،ص589.

(4)محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**،تق وتح: حمّادي السّاحلي، والجيلاني بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986م،ص-ص298-299.و عبد الرحمن حسين العزاوي: **تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي**،ط1،دار الخليج، عمان- الأردن ،1432هـ/2011م، ص156.

وهي المعروفة بخزانة سيدي أحمد بن خلف[1].

-وآخرها الخزانة التي أسّسها السلطان **أبو عبد الله محمد الحفصي** في سنة 905هـ/1499م بالرواق الشرقي من الجامع(الكتبة العبدلية). وقد مزّق الإسبان أغلب هذه المخطوطات شر ممزق، وما بقي منها بيع بأبخس الأثمان أو داسته حوافر الخيول الرابضة بصحن جامع الزيتونة، فكان المار حول جامع الزيتونة من جميع جهاته لا تكاد تقع قدماه على غير الكتب، وبذلك بادت جميع الكتب وتلاشت ولم يبق منها بالجامع سوى بضع نسخ من صحيح الإمام البخاري[2]. وقد عرفت هذه الحادثة ب"واقعة الأربعاء" وعنها كتب **ابن أبي دينار**«...وفي أيام الحملة الإسبانية الثانية أهين المسجد الأعظم(جامع الزيتونة)، ونهبت خزائن الكتب التي فيه، ودرست بأرجل الكفرة معالم المدارس، وتفرق ما جمع فيها من دواوين العلوم وتبددت في الشوارع حتى قيل إنَّ المار في شرقي الجامع؛ حيث النواوريين إنما يمر على الكتب المطروحة هناك. وضربت النواقيس في الحضرة...وسمعت بعض أهل البلاد يقول أنَّ النصارى ربطوا خيولهم بالجامع الأعظم ونبشوا قبر الشيخ سيدي محرز بن خلف فلم يجدوا به إلا الرمال. »[3].وصار هذا الحادث بعد ذلك شبيها لدى التونسيين بأهوال يوم القيامة [4].

ومن الحوادث الأخرى التي أتت على التراث الثقافي والفكري بتونس، ما عُرف بوقعة "الشكارة"، وهي معركة وقعت بين أهالي تونس والإسبان، بسبب نزاع على كيس(شكارة) بين مسلم ونصراني. وهنا يعلّق ابن أبي الضياف على ما فعله الإسبان بخزانة الكتب:«...وهذا هو السبب في قلة تآليف الفحول من هذا القطر، فإنها ضاعت شذر مذر في هذه الواقعة...»[5].

هكذا إذن كان الاحتلال الإسباني للجزائر وتونس وطرابلس جزءا من خطة صليبية أوروبية استهدفت تطويق العالم الإسلامي، سعيا لإخضاعه للنفوذ الأوروبي وطمس معالم الحضارة الإسلامية.

---

(1) محمد بن الخوجة: المرجع نفسه، ص-ص298-299.

(2) نفسه.

(3) ابن أبي دينار محمد بن محمد الرعيني القيرواني: **كتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية، 1286هـ، ص166.

(4) أحمد عبد السلام: **المؤرخون التونسيون في القرون 17و18و19م**، تع: أحمد عبد السلام، وعبد الرزاق الحليوي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون -بيت الحكمة، تونس 1993، ص 21.

(5) أحمد بن أبي الضياف: المصدر السابق،ج2،ص-ص175-176.

المبحث الثالث– تأثيرات هجرة الأندلسيين والموريسكيين على البلدين:

أولا–في الجزائر:

لقد تزامنت هجرة الأندلسيين إلى الجزائر بعد سقوط غرناطة في سنة897هـ/ 1492م مع بروز نجم الإخوة بربروس على مسرح الأحداث، والذين شرعوا في مساعدة مسلمي الأندلس ونقلهم إلى بلاد المغرب [1].

وفي بداية القرن السابع عشر للميلاد، قرّر الإسبان طرد الموريسكيين نهائيا من مملكتهم. سنة 1017هـ/1609م فنزح إلى الجزائر حوالي خمسة وستون ألف وافد توزعوا على المدن الساحلية [2].

برز الأندلسيون في مختلف المجالات الحياتية، وأبدعوا في العديد منها على غرار الزراعة، التجارة والفنون الجميلة وفن الهندسة [3]. وفي هذا السياق يذكر صاحب كتاب المرآة: «وقد ساعد وجود الأندلسيين في الجزائر مساعدة كبيرة في تنظيم الحكومة وعلى تقدم الحضارة...» [4].

أما في الجانب السياسي والعسكري، فقد ساهم وجود الأندلسيين بالمدن الساحلية الجزائرية في تطوير حركة الجهاد البحري [5]. بالإضافة إلى بنائهم لمراكب خفيفة تمّ إعدادها خصيصا للهجوم على السواحل الإسبانية لمساعدة إخوانهم الذين فضلوا البقاء في غرناطة بعد سقوطها، أو لأسر الإسبان انتقاما منهم على ما يقومون به من تجاوزات في حق هؤلاء [6]. وشيئا فشيئا أصبح تأثير الوجود

---

(1)المجهول: المصدر السابق، ص48.

(2)علي المنتصر الكتاني: **انبعاث الإسلام في الأندلس**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 2005، ص179.

(3) عبد المجيد قدور: **"الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي ونتائجها الاجتماعية والحضارية الجزائر كنموذج"**، في مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، ديسمبر 2003م، ع20، ص 173. وهلايلي حنيفي: **أبحاث ودراسات في التاريخ الموريسكي الأندلسي**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2010، ص- ص 84-85.

(4) حمدان خوجة: **المرآة**، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، منشورات انيب، الجزائر 2005م، ص71.

(5) عبد الجليل التميمي: **مناورات لخطة عصيان بالأندلس سنة 1582م ودور الجالية الموريسكية في إستانبول في سياسة هولندا حيال طرد الموريسكيين سنة 1610م**، في م. ت. م، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان 1999م، ع 95-96، ص677.

(6) علي المنتصر الكتاني: المرجع السابق، ص142.

الأندلسي واضحا بجلاء في الإدارة والجيش [1]. كما ساهموا أيضا في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر وشكّلوا الحليف الأول للأتراك العثمانيين [2].

أما في الجانب العمراني، فقد كان للهجرة الأندلسية إلى الجزائر انعكاس إيجابي على العمران، يتمثل بالخصوص في إنشاء مراكز حضرية جديدة، وإعادة بناء المدن والقرى التي أصابها الاضمحلال منذ مدّة طويلة ، ومن الأمثلة على ذلك: مدينة القليعة التي بناها جماعة من أهالي قشتالة ونواحي غرناطة سنة 957هـ/ 1550م[3] ،مدينة البليدة التي أسّست سنة 942هـ/1535م بمحاذاة مدينة خزرونة القديمة، بعد أن منح خير الدين أراضيها للأندلسيين[4]. ومدينة شرشال التي أعادوا بناء دورها وجددوا قلعتها وبنوا المراكب واشتغلوا فيها بالصناعة [5]. ومدينة بيرشك (القريبة من تيبازة الحالية)، التي تعرّضت للدمار بعد زلزال ألمّ بها وبعثت على أنقاضها على أيدي المهاجرين الأندلسيين، الذي أصبحوا يشكّلون غالبية سكانها[6].و مدينة دلس التي قصدتها عدّة عائلات أندلسية وأخذت في التوسع العمراني بعد أن اتخذها خير الدين قاعدة له سنة 923هـ/ 1517م.ومع نهاية القرن السادس عشر جاءتها وفود من الموريسكيين، عندها ارتفع عدد منازلها إلى حوالي الألف[7].ومدينة القل التي قال كاربخال بأنها مدينة المهاجرين الأندلسيين[8]...

ويتجلى دور الجاليات الأندلسية كذلك في بناء القصور والمنازل [9]وإدخال عناصر جديدة في البناء، مثل القرميد الذي استعملوه في بناء سقوف المنازل بدل السطوح التي كانت شائعة قبل حلولهم

---

(1) حنيفي هلايلي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الهدى، الجزائر 1429هـ/2008م، ص168.

(2) محمد دراج: **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس(1512–1543م)**، تص: ناصر الدين سعيدوني، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر،1433هـ/2012، ص64.

(3) **دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر**، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت 2003م، ص27.

(4) C. Trumlet : **Blida récits selon légende la tradition et l'histoire**,2T, Adolphe Jourdin Libraire-Editeur, Alger 1887, T1, pp575, 577.

(5) الحسن بن محمد الوزان: المصدر السابق، ج2، ص34.

(6) ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية...، المرجع السابق، ص136.

(7) نفسه، ص136.

(8) مارمول كربخال: المصدر السابق، ج2،ص362.

(9) نفسه، ج2،ص377.

بالجزائر، وهذا ما ميّز المدن التي حلوا بها، فاختلف بذلك نمط بنائها عن غيرها. كما استعمل الأندلسيون الزخارف والمجصّصات مع التفنّن في تشكيلها [1].

أما بخصوص الجانب الفلاحي، فقد امتهن عدد من الأندلسيين للفلاحة في سهول متيجة وسفوح جبال الأطلس التلي[2]. كما غرس هؤلاء في أراضي مدينة شرشال أشجار الزيتون والكروم والتوت التي تقتات عليها دودة القز، وبذلك صار الحرير أهم منتوج في هذه المدينة[3].

وإلى جانب ذلك، فقد ازدهرت الحرف والصنائع في عدد من المدن الجزائرية بفضل هجرة الأندلسيين، الذين جلبوا مهنهم التي كانوا قد طوّروها أثناء تواجدهم في بلدانهم، ونذكر منها صناعة الأسلحة، والبارود [4]، والبناء، والخياطة وصناعة الفخار [5].

ثانيا–في تونس:

كما استقبلت تونس هي الأخرى بعد سقوط غرناطة العديد من الأندلسيين على اختلاف فئاتهم[6]. وبعد صدور قرار الطرد النهائي للموريسكيين سنة 1018هـ/ 1609م استقبلت مرة أخرى المهاجرين الذين جاءوها من أراغون وفلنسيا وقشتالة ... [7].

لقد عمل الأندلسيون على تأسيس مدن جديدة وأعادوا إحياء المدن التي وجدت من قبل والتي أصابها الخراب [8]. ووصف **ابن أبي دينار القيرواني** أعمالهم تلك بهذه العبارات: «وأذن لهم أن يُعمّروا حيث شاءوا فاشتروا الهناشر وبنوا فيها واتسعوا في البلاد، فعمّرت بهم واستوطنوا في عدة أماكن.... وغرسوا الكروم والزيتون والبساتين، ومهّدوا الطرقات بالكراريط للمسافرين وصاروا يعدون من أهل

(1) ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية...، المرجع السابق، ص36.

(2) نفسه، ص58.

(3)مارمول كربخال:المصدر السابق، ج2،ص356.

(4) علي عبد القادر حليمي: المرجع السابق،ص299.

(5) حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات...، المرجع السابق.

(6)محمد الطالبي:المرجع السابق،ص، ص56،53.

(7)Nizar Sayari, et Hichem Rejeb :**Origine du paysage andalou dans le nord-ouest tunisien Testour et son héritage morisque**, in cahier de la méditerranée,2009,V79,p2.

ينظر أيضا: محمد العربي الزبيري: **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**، ط1، م. و.ن. ت، الجزائر1985، ص49.

(8)Nizar Sayari :Op.cit,p3-4.

البلاد» [1]. وبذلك شكّلت وفود هؤلاء المهاجرين نحو تونس فائدة عظيمة بما قدّموه لهذه البلاد من خدمات جليلة في مختلف مجالات الحياة.

أما عن أبرز تأثيرات الأندلسيين المختلفة على الصعيدين الثقافي والاجتماعي في تونس، فنجد مثلا في ميدان اللغة، أن الموريسكيين قد تميّزوا بإتقان عدد من اللغات الأوروبية، مثل الأراغونية، القشتالية واللاتينية؛ حيث كانوا يتكلمونها بطلاقة، حتى أنهم قاموا بفتح مدرستين لتعليم اللغة الإسبانية في مدينة طبورية بعد سنتين من وصولهم إليها. وقد استمر استعمالهم لها طيلة قرن من الزمان من تاريخ طردهم من إسبانيا[2]. وألجأت الحاجة الكثير من المهاجرين الأندلسيين إلى الارتزاق عن طريق التعليم. وكان الإقبال بل التهافت عليهم عظيما إلى حد جعلهم يحتكرون مهنة التعليم[3]. وكان هذا التأثير الأندلسي بليغاً وعميقاً عمّ كامل البلاد باستثناء المناطق النائية كبلاد الجريد، التي لم يكن مناخها الصحراوي يستهوي القادمين من سواحل بلنسية ومرسية...[4].

كما ساهموا في تطوير المجال العمراني؛ إذ بعد استقرارهم في تونس شرعوا في تأسيس عدّة مدن أضفوا عليها الصبغة الأندلسية، وجرى هذا بمعاونة من السلطات الحاكمة في البلاد، بحسب قول ابن أبي الضياف: «... واقطعهم ما اختاروا من الأرض–وكان ذلك أثر الطاعون–فبنوا في الحاضرة حومة الأندلس وجامعها، وأوقفوا عليه أوقافا نافعة»[5].

أما ابن أبي دينار القيرواني، فقد ذكر أهم المدن التي أسّسوها في قوله:« ومن بلدانهم المشهورة سليمان وبلي ونيانو وقرنبالية وتركي والجديدة وزغوان وطبوربة وقريش الواد ومجاز الباب والسلوقية وتستور، وهي من أعظم بلدانهم. والعالية والقليعة وغير ذلك بحيث تكون عدتها أزيد من

(1)المصدر السابق، ص35

(2)عبد الجليل التميمي: "**تأثيرات الأندلسيين– الموريسكيين في المجتمع المغاربي؛ إيالة تونس نموذجا**"، في م.ت.م ، تونس، 2005م ، ع 120، ص326.

(3)محمد الطالبي: المرجع السابق،ص65.

(4)نفسه،ص66.

(5)أحمد بن أبي الضياف: المصدر السابق.

عشرين(20) بلدا فصار لهم مدن عظيمة» [1]. ورغم ذلك، فقد فشلوا في إحياء مدينة المهدية التي طالها الخراب بسبب هجمات الأعراب، وانتشار الطاعون فيها [2]. كما نقلوا إلى المنطقة نمط البناء الأندلسي، الذي يظهر بوضوح من خلال الشكل الشطرنجي للمدن والقرى، واختراع شكل جديد لصومعات المساجد، التي أخذت طابعا فريدا يمتزج فيه شكل منارات المساجد الموحدية بأبراج الأجراس في الكنائس الإسبانية [3].

وكانت إضافة الأندلسيين واضحة أيضا على مستوى تقنيات البناء؛ حيث استعملوا القرميد الأخضر والأخشاب والجبس والزليج. واخترعوا أنواعا جديدة من الطلاءات التي لا تتلف مهما طال الزمن[4].

كما ساهم الأندلسيون أيضا في تطوير المجال الفلاحي بالبلاد التونسية؛ أسّسوا عددا من القرى الزراعية في محيط مدينة تونس. كما قاموا بإحياء الأراضي الفلاحية التي كان أصحابها قد هجروها، وبنوا السدود والخزانات والقنوات المائية... [5]. كما شهد مجال الحرف والصنائع والتجارة تطورا بارزاً بفضل الحرف الجديدة التي أدخلها الأندلسيون إلى البلاد التونسية، والتي كان لها الفضل الكبير في إنعاش التجارة سواء الداخلية أو الخارجية. ومن الحرف التي طوّرها الأندلسيون حرفة صناعة الشاشية في عدد من المدن التونسية، فكان المنتوج يصدر إلى بلدان المغرب والمشرق [6]، بحسب قول ابن أبي الضياف:« وأعانهم عثمان داي على صناعة الشاشية التي كان لها سوق نافق في كثير من البلدان، وقد كانت ضعيفة زمن الحفصيين، وحصل للحاضرة من هذه الصناعة ثروة واسعة، لأن صناعتها تُدير صناعات كثيرة»[7].

(1) المصدر السابق، ص193.

(2)علي المنتصر الكتاني: المرجع السابق، ص181.

(3)سليمان مصطفى زبيس: **آثار الدولة الحسينية بالقطر التونسي**، مطبعة سابي، تونس 1955م ،ص28.

(4)نفسه، ص 32.

(5)عبد الجليل التميمي: تأثيرات الأندلسيين الموريسكيين...المرجع السابق،ص328.

(6) نفسه.

(7)أحمد بن أبي الضياف:المصدر السابق،ج2،ص35.

ومن الصنائع التي عرفت رواجاً كبيراً في البلاد التونسية آنذاك، نذكر منها: صناعة السروج الجلدية الثمينة، الصابون ذي الروائح الزكية، ابتكار أنواع من العطور التي عرفت باسم العطور الأندلسية، صناعة الزرابي ،الخزف، البارود والأسلحة المختلفة... وبناء السفن[1].

ومما تقدم يمكن القول أن الهجرة الأندلسية أثّرت تأثيراً بليغاً في مجتمع بلاد المغرب (الجزائر وتونس) ، وشمل ذلك مختلف مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

(1) عبدالجليل التميمي: تأثيرات الأندلسيين الموريسكيين...، المرجع السابق،ص-ص330-331.

المبحث الرابع–قيام الحكم العثماني في البلدين وآثاره:

كان للأتراك العثمانيين اتصال مع بلاد المغرب قبل إلحاق كل من الجزائر وتونس بالدولة العثمانية؛ إذ أن تواجد الإخوة **بربروس** قد سبقه وجود بحارة عثمانيين آخرين، من أمثال **الرايس بوراق**، و**الرايس مصلح الدين كورت أوغلو**، و**الرايس كمال**، على أن أشهرهم جميعا **الرايس بيري**[1]الذي قام برحلة على عهد السلطان العثماني **بايزيد الثاني**[2] إلى غرب البحر الأبيض المتوسط[3].

أولا–انضواء الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية.

كانت مدينة جيجل أول مدينة استقبلت الإخوة بربروس في المغرب الأوسط (الجزائر)، ومن هناك شرعا في القيام بأعمالهما الجهادية المتمثلة في تحرير سواحل المغرب الأوسط من الاحتلال الإسباني؛ فحاولا تحرير بجاية وتمكنا من دخول مدينة الجزائر، تنس تلمسان... ولكن في ظل استشهاد كل من **إسحاق** و**عروج** وضياع مدينة تلمسان، فكّر **خير الدين بربروس** في التوجه إلى دلس أو جيجل أو إلى إقليم الروم لمواصلة الجهاد البحري[4].ولذلك جمع أعيان وعلماء مدينة الجزائر

---

(1)ولد بيري رايس حوالي سنة 1465م في غاليبولي، أما اسمه الحقيقي فهو أحمد بن الحاج محمد الكرماني . أبحر في البداية على طول السواحل المغربية برفقة عمه كمال (ت1511م). وبعد ذلك أبحر مع الرايس خير الدين، ثم شارك في الحملتين على مصر وبلاد الشام سنة 1506م.وفي سنة 1547م عين أميرالا على أسطول مصر. أنجز بيري رايس عددا من الخرائط والكتب. ومن بينها الخريطة التي رسمها سنة 1513م والثانية سنة 1528م.وترك كتابا عنوانه "كتاب البحرية" حرّره سنة 1521م ثم قام بتحسينه وتعديله سنة 1525م، وهو يضم معلومات كثيرة حول سواحل البحر الأبيض المتوسط. وافته المنية سنة 1553م. ينظر: زكية زهرة: "**الجغرافي الأميرال بيري رايس**"، في م.د.ت، معهد التاريخ–جامعة الجزائر، الجزائر1992، ع06،ص، ص 101،109. وللاستزادة ينظر أيضا:

Robert Montran : **La description des cotes de l'Algérie dans le Kitab-i Bahriye de Piri Reis**, in R.O.M.M, 1973, n15-16, pp160-161.

(2)هو ثامن سلاطين بني عثمان، وابن السلطان محمد الفاتح ولد سنة 851هـ/1445م، تولى السلطنة بين عامي 1481–1512م. وتوفي سنة 918هـ/1512م.ينظر:يوسف بك أصاف: **تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن**، تقديم: محمد زينهم عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة 1415هـ/1995م، ص،ص53،55.

(3)عزيز سامح إلتر: **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر: علي محمود عامر، ط2، دار النهضة العلمية، بيروت 1989م، ص،ص39،41.

(4)كورين شوفالييه: **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510–1541م**،تر: جمال حمادنة، د.م.ج، الجزائر 2007م، ص–ص36–37. عمار بن خروف: العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ج1،ص23.

وأخبرهم بقراره الذي أحزنهم، فترجوه بأن لا يغادرهم وذكّروه بأن المدينة وأهلها بحاجة ماسة إليه لحمايتها[1].

عندها اقترح خير الدين على الأعيان والعلماء إذا أرادوا حماية بلدهم فعليهم أن يعلنوا الولاء للسلطان العثماني سليم الأول(1512-1520م) عن طريق رسالة يوجّهونها إليه، حتى يمدّهم بما يحتاجون إليه من الرجال والمال ومعدّات الحروب. ولا يكون ذلك إلا بالدعاء له في الخطبة وضرب السكة باسمه. وأشار عليهم أن يكتبوا للسلطان بذلك؛ وهو ما استصوبه الأعيان. ثم أرسل خير الدين سفيرين حملهما رسالة أهل المدينة والرسالة التي كتبها هو شخصيا مع هدية إلى السلطان، الذي أحسن استقبالهما وأعرب عن قبوله مقترح أهالي مدينة الجزائر؛ عن طريق رسالة وجهّها بواسطة السفيرين المذكورين إلى أهل مدينة الجزائر. وكان سرور خير الدين بذلك عظيما جدا[2].وتعبيرا منه عن موافقته لهذا الاقتراح، أرسل السلطان سليم إلى خير الدين ألفي جندي(2000) انكشاري وزوّدهم بالمدفعية والذخيرة الحربية، كما منح الحرية لكل من يريد الذهاب إلى الجزائر مع احتفاظهم بكل الحقوق التي كانت لهم في الأستانة[3]،وقدّر عدد هؤلاء المتطوعين بأربعة آلاف. وأصدر أمراً بتعيين خير الدين أول باي لارباي على الجزائر، وسمح له بضرب السكة باسمه، وكان ذلك سنة 925هـ/ 1519[4]. وبذلك صارت الجزائر إيالة عثمانية رسميا، حيث أكسبها ذلك نوعا من الحماية لها من الأخطار خاصة أطماع الإسبان. ويمثل ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية بداية مرحلة جديدة من تاريخ الحكم العثماني بالجزائر، والذي أفضى إلى بروز الأهمية السياسية والعسكرية للجزائر خلال الفترات اللاحقة من هذا التاريخ.

ثانيا– إلحاق تونس بالدولة العثمانية:

بدأت أزمة الحكم في تونس بعد وفاة السلطان الحفصي **أبي عبد الله محمد المتوكل** (900-1494م-932هـ/1525م)، وحتى يضمن عدم وجود منافسين له على العرش، عمد السلطان الحسن(933هـ/1526-950هـ/1543م) إلى تصفية إخوته، فقتل اثنين منهم، بينما تمكّن ثالثهم وهو المولى الرشيد من الفرار والاحتماء بالأعراب مدة من الزمن. وبعد أن علم أخوه بمكانه فرّ والتجأ إلى

(1)المجهول: المصدر السابق،ص41.

(2) محمد خير فارس: المرجع السابق، ص30.

(3)Diego de Haedo :Op.cit, p44.

(4) المجهول: المصدر السابق. و عمار بن خروف: المرجع السابق،ج1،ص23.

خير الدين بربروس[1]،الذي استقبله بحفاوة واحتضنه باعتباره سببا وجيها لضم تونس للدولة العثمانية، ونصحه بالذهاب معه إلى اسطنبول حتى يعلم السلطان بمشروعه[2].

وبعد ذلك، سافر المولى الرشيد مع خير الدين بربروس إلى القسطنطينية، بغرض وضع مخطط لاستعادة عرش هذا الأخير. ولدى وصولهما أقنع بربروس السلطان سليمان القانوني بأن دخول تونس سيكون سهلا، بفعل الانقسام الذي تعيشه البلاد. وفي الحال بدأ التجهيز للحملة التي انطلقت بعد مدة وجيزة إلى سواحل بلاد المغرب. أما المولى الرشيد، فكان السجن مصيره[3]. وبعد وصول أسطول خير الدين في صيف941هـ/1534م إلى ساحل بنزرت، استقبل استقبالا حارا من قبل أهلها، الذين عرضوا عليه الانضمام إلى أسطوله والتعاون معه، غير أن خير الدين رفض اقتراحهم وأقلع في اليوم الموالي نحو حلق الوادي. بينما توغل رجاله داخل المدينة وتمكّنوا من الاستيلاء على القصبة، التي اتخذها بربروس حصنا له[4].وهنا ارتاب سكان المدينة في كل ما حدث، واجتمعوا مطالبين خير الدين بتفسير لما جرى، فأجابهم بأن عهد بني حفص قد انتهى، وأن عليهم طاعة أوامره؛ باعتباره ممثل السلطان العثماني سليمان القانوني[5]. وبمجرد أن أنهى كلامه بدأ سكان المدينة في المقاومة، ولكن المدفعية العثمانية شتّتت شمل المحتجين[6].ومن جهة ثانية، حاول السلطان الحفصي المخلوع الحسن الحفصي استعادة عرشه بالاعتماد على القوى القبلية، ولذلك سعى إلى دخول القيروان، ولكن خير الدين تغلب عليه بسهولة، وجرى ذلك بفعل التفاف أهالي المدينة حول الطريقة الشابية الطامحة للسلطة، وتوفر العثمانيين على أسلحة متطورة علاوة على تنظيمهم العسكري العالي[7].

وبعد الفشل الذي مُني به السلطان الحفصي، لم يعد أمامه سوى الاستنجاد بالإسبان. وهنا حصلت بينهم وبين خير الدين وقواته معارك ضارية، انهزم فيها هذا الأخير، ممّا اضطره للرجوع إلى

---

(1)ألفونص روسو: **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**، تر محمد عبد الكريم الوافي، ط 1، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي 1992،ص38.

(2) Maurice. Bois: **Expédition française en Tunisie (1881-1882)**, Librairie Militaire de L. Baudoin et Ce, Paris 1886, p69.

(3)ألفونص روسو: المرجع السابق،ص84.

(4) نفسه،ص85.

(5) عمار بن خروف: العلاقات السياسية...،المرجع السابق،ج1، ص29.

(6) ألفونص روسو: المرجع السابق.

(7)دلندة الأرقش وآخرون: المغرب العربي الحديث ...،المرجع السابق،ص53.

الجزائر[1]. ولما خلال الجو للسلطان الحفصي، دخل مدينة تونس مرة أخرى مع القوات الإسبانية سنة 942هـ/1535م فاستباح جنود الحسن والإسبان، المدينة بالقتل والأسر والسبي. واستمر ذلك مدّة ثلاثة أيام متتالية قتل خلالها ثلث سكان المدينة وفرّ الثلث الذي نجا من الموت إلى زغوان ووقع الثلث الباقي في الأسر، وبلغت قيمة افتداء الأسير الواحد ألف دينار [2]. ومن أفظع ما ارتكبه العدوان الإسباني، أنهم هجموا على جامع الزيتونة وبدّدوا ما كان يوجد فيه من نفائس المخطوطات في المكتبة العبدلية[3].

إلى جانب ذلك أبرم السلطان الحفصي معاهدة الصلح والتعاون مع النصارى ضد الأتراك في شهر أوت 1535م[4] التي أخضعت البلاد إلى النفوذ الإسباني، احتفظ الحفصيون فيها بسلطة شرفية وسُلّم حلق الوادي للإسبان ومنعت الموانئ على البحارة الأتراك العثمانيين وأعطيت الامتيازات إلى المسيحيين في مجالات التجارة، وأصبح السلطان الحفصي رمزا للخيانة لدى الأهالي، خاصة بعد أن أباح للإسبان مدينة تونس[5]. وبالرغم من ذلك لم تمكّن الحماية الإسبانية السلطان الحفصي من

(1)يرجع بعض المؤرخين أسباب انهزام خير الدين إلى أمرين اثنين، أولهما: قلّة عدد أجناده وعدم تمكّنه من تجنيد الأهالي في الوقت المناسب. وثانيهما: ثورة الأسرى الذين كانوا يعيشون في قلعة تونس، والذين يزيد عددهم عن العشرين ألف نسمة. ينظر: محمد العربي الزبيري: **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1975م، ص- ص 30-31.

(2)أحمد بن أبي الضياف: المصدر السابق،ج2،ص14.

(3)نفسه،ج2،ص14.و حسن حُسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، تق وتح: حمّادي السّاحلي، دار الجنوب للنشر، تونس 2015م ، ص106.

(4)معاهدة عقدت بين السلطان الحفصي المولى الحسن والملك الإسباني شارل الخامس، ومن أهم ما جاء فيها :

-إطلاق سراح جميع الأسرى المسيحيين الموجودين في تونس وتعهد الحسن بمنع الجهاد البحري منعا قاطعا وبدفع ضريبة سنوية إلى الإمبراطور؛

-السماح للمسيحيين الإسبان بأن يقيموا في جميع إقليم تونس مع إعطائهم الحرية المطلقة في إقامة شعائرهم .

- التعهد بعدم إسناد المناصب الحساسة للأندلسيين.

-تنازل الحسن الحفصي عن عنابة، بنزرت، حلق الوادي إلى الجيش الإسباني. وأن يدفع مبلغ اثني عشر ألف دوكا مصاريف حرب.

-تقديم ضريبة سنوية متمثلة في اثني عشر ألفا من الخيول العربية وعدد مماثل من الصقور العربية علامة امتنان.

أما إذا خالف أحد هذه الشروط، فإنه يقوم بدفع أول مرة خمسين ألف دوكا. وفي الثانية مائة ألف وفي الثالثة يسقط حقه في الملك. ينظر: مارمول كاربخال: المصدر السابق، ج3، ص98.و محمد فريد بك المحامي: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت 1401هـ/1981م،ص233.

(5)دلندة الأرقش، وآخرون: المغرب العربي...،المرجع السابق،ص54

توسيع نفوذه في دواخل البلاد، وظلت القيروان تحت سيطرة الشابيين الذين طردوا الحامية العثمانية منها سنة944هـ/ 1538م، وأفشلوا محاولة الحفصيين لاسترجاع المدينة سنة948هـ/ 1542م[1].

وفي سنة 977هـ/1569م استطاع علي باشا الذي وفد من الجزائر دخول مدينة تونس وأخذ البيعة للسلطان العثماني سليم الثاني(973هـ/1566م-981هـ/1574م)، بعد أن هزم السلطان الحفصي أبا العباس أحمد[2].وكانت حملة دون جوان النمساوي على تونس سنة979هـ/ 1572م آخر الحملات الإسبانية لطرد العثمانيين من البلاد، والذين عقدوا العزم على تحرير تونس من الإسبان، فتمّ توجيه حملة عسكرية لتحرير سواحلها بقيادة سنان باشا . ودارت معارك كبيرة بينهما، انتهت باسترجاع تونس سنة (981هـ/1574م) ، فأصبحت تحمل لقب إيالة عثمانية؛ فدخلت هي الأخرى مرحلة جديدة من تاريخها الحديث[3].

وهكذا تمكّن العثمانيون من وضع حد للحكم الحفصي في تونس، وتخليصها من الاحتلال الإسباني، وفرض حكمهم الذي تخلّلته صراعات حادّة في الداخل ومع الجزائر في عهد الدايات والبايات المراديين. وبعد ذلك استطاع الأهالي تدريجيا فرض حكم مدني مستقر ومزدهر خاصة في العهد الحسيني.

ثالثا–جوانب من التأثيرات العثمانية المختلفة في الجزائر وتونس.

لا شك أن قدوم العثمانيين إلى الجزائر وتونس قد خلّف تأثيرات كثيرة بدت واضحة في مجالات كثيرة، لعلّ أبرزها تجلى في نظام الحكم والإدارة. ومنذ دخولهم إلى البلدين سعوا إلى إحداث إصلاحات، تهدف إلى توحيد نظام الحكم في البلدين غير أن التأثيرات لم تقتصر على نظام الحكم، بل تعدّته إلى العمران واللغة والعادات والتقاليد الاجتماعية، والتي ما تزال بعض من آثارها باقية إلى حد الساعة في كلا البلدين.

أولا–التأثيرات الإدارية والعسكرية:

يبدو أن الأتراك العثمانيين لم يرسموا خطة واضحة لإدارة البلاد المفتوحة، وإنما تحكّمت في سياستهم الإدارية الأوضاع العامة التي كانت سائدة في بلاد المغرب قبل دخولهم إليها، والظروف التي صاحبت دخولهم وتطورات الأحداث أثناء تواجدهم فيها. ولذلك ركّزت الإدارة العثمانية في البلدين

(1) دلندة الأرقش، وآخرون: المغرب العربي...،المرجع نفسه.

(2)أحمد بن أبي الضياف:المصدر السابق،ج2،ص19.

(3) أحمد قاسم : **إيالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى ابن عظوم (1574–1600م)** ، تق :عبد الجليل التميمي ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس2004م،ص 67.

على ممثل السلطان العثماني، وتنظيم الجيش، وتنظيم شؤون الضرائب التي شكّلت دخلا مهما للخزينة[1]. وفيما عدا ذلك لم يتدخل الأتراك العثمانيون في الحياة الاجتماعية للجزائريين، الذين واصلوا ممارسة حياتهم المعتادة محتفظين بلغتهم وعاداتهم [2] .

أما عن نظام الحكم في الجزائر، فيمكن القول بأنه عرف تطورا كبيرا واكتملت أغلب جوانبه في أواخر القرن 12هـ/18م[3].وفي السنوات الأولى من الوجود العثماني، أصبحت الجزائر نيابة عثمانية يحكمها وال يعيّنه السلطان العثماني ليكون ممثلا عنه[4]،ولكنه مع ذلك يعتبر الحاكم الأول للبلاد، ويستعين في تسيير شؤونها على ديوانين، أولهما يعرف بالديوان الكبير أو المجلس الكبير الذي كان مكونا من الضباط الكبار الذين كان البعض منهم مستمرا في الخدمة. هذا إلى جانب الموظفين، الذين يعينهم الداي بنفسه، وهم: الخزناجي، الآغا ، خوجة الخيل، ووكيل الحرج ...[5].

والديوان الثاني، الذي كان يساهم في تسيير شؤون البلاد هو الديوان الصغير أو الديوان الخاص، وأعضاؤه هم: آغا الإنكشارية، المفتي والقاضي الحنفيان المبعوثان من الباب العالي، أربعة وعشرون من كبار ضباط الإنكشارية، الخليفة ويسمى أيضا الكاهية وهو مستشار الباشا ونائبه حالما يغيب، والقبطان رايس وهو المسؤول الأول عن البحرية الجزائرية [6].

وحتى تتمكن السلطة العثمانية في الجزائر من تسيير ئؤون البلاد، قامت بتقسيمها إلى أربع بايليكات(مقاطعات) وهي: مدينة الجزائر أو مقاطعة دار السلطان، بايليك الشرق وعاصمته قسنطينة، بايليك الغرب وعرف عددا من العواصم كانت وهران آخرها بعد فتحها وبايليك التيطري وعاصمته المدية. وكان أصغر البايليكات. وأما أغلب المناطق الصحراوية الواقعة في الجنوب، فلم تكن تخضع فعليا للسلطة العثمانية.

---

(1)ناصر الدين سعيدوني: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية(الجزائر – تونس – طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري(من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ميلادي**، في ح.أ. ع. إ، ع318 ،قسم التاريخ، كلية الآدب، جامعة الكويت 2010م، ص 22.و توفيق دحماني: **الضرائب في الجزائر 1792–1865؛ دراسة مقارنة**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر ، السنة الجامعية 2007–2008م، ص 389 وما يليها.

(2)محمد خير فارس: **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**،ط1،(د.د.ن)،1969م،ص55.

(3) ناصر الدين سعيدوني: "**موظفو الإيالة الجزائرية في أوائل القرن التاسع عشر صلاحيتهم الإدارية ومهامهم الاقتصادية والاجتماعية**"، في مجلة المؤرخ العربي، ،بغداد1987، ع31،ص206 ومايليها. ومحمد خير فارس: المرجع السابق، ص70.

(4) محمد خير فارس: المرجع السابق.

(5)Arsène Berteuil: O.p.Cit,t1 ,pp24-25.

(6) حمدان خوجة: المصدر السابق، ص133.

أما عن النواحي العسكرية، فتتّفق العديد من المصادر على أن العهد العثماني شكّل عصر البطولات العسكرية والانتصارات السياسية، وأن النبوغ كان واضحا لديهم في العقلية العسكرية أكثر من أي جانب آخر. وتشير بعض كتابات القرن الثامن عشر للميلاد إلى أن الجزائر وتونس كانتا تأخذان حاجتهما من الجنود من الدولة العثمانية [1]. ولكن هذه الكتابات لا توضّح المناطق التي كان يتم فيها التجنيد، أو الهيئات التي كانت تشرف على هذه العملية. وبسبب التحرشات الأوروبية على بلاد المغرب، قامت العديد من المدن الساحلية بالجزائر وتونس ببناء المنشآت العسكرية لصد أي عدوان خارجي [2].

ثانيا–التأثيرات الدينية:

كان المذهب المالكي منتشرا في عموم الإيالتين قبل إلحاقهما بالدولة العثمانية، إلى جانب المذهب الإباضي في أجزاء محدودة. وبعد مجيء الأتراك العثمانيين فإنهم أدخلوا المذهب الحنفي دون أن يفرضوه على السكان[3]، إلا أنهم جعلوه على غرار ما كان عليه الأمر في أغلب إيالات الدولة العثمانية المذهب الرسمي للسلطة العثمانية، وجعلوا المفتي الحنفي مقدّما على المفتي المالكي في الحظوة والاعتبار والرأي[4]. وكان الهدف من إدخاله، إضفاء الشرعية الدينية للدولة التي لم يكن لها من الشرعية سوى طرد الإسبان وتأمين البلاد، ولذلك يعتبر المذهب الحنفي بمثابة أحد جذور ترسخ الحكم العثماني بالبلاد[5].

وفي بداية التواجد العثماني في بلاد المغرب، أقيمت الشعائر الدينية على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان (ت150هـ/767م) في بعض المساجد، التي كان يصلى فيها وفق المذهب المالكي،

(1) محمد خير فارس: المرجع السابق، ص81. علي خلاصي: **الجيش الجزائري في العصر الحديث**،ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر2007، ص 91 ومايليها.

(2)عبد الرحمان نواصر : **تأثيرات الوجود العثماني في مدينة الجزائر خلال عهد الدايات(1082–1246هـ/1671–1830م)؛ مقاربة من خلال الوثائق الأرشيفية**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ ، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، جامعة غرداية 2018–2019، ص ص 262–290.

(3)كورين شوفالييه: المرجع السابق،ص72. ومحمد بوشنافي: "**علماء المذهب الحنفي في الجزائر خلال العهد العثماني(10–13هـ/16–19م)**"، في مجلة عصور جديدة، جامعة وهران2014–2015، مج05، ع17، ص، ص 221،232.

(4)أدخل الأتراك العثمانيون المذهب الحنفي إلى الجزائر، واعتمدوه في السياسة الشرعية على غرار السلطة العليا في الباب العالي، غير أنهم أفسحوا المجال للمذهب المالكي الذي كان يعتمده سكان البلاد، منذ دخول الإسلام إليها، وهكذا أنشئت محكمتان مالكية وحنفية، تتميز كل منهما بمفتيها وقاضيها، استجابة لاستقلالية كل مذهب. ينظر: مصطفى بن حموش :" **التعايش المذهبي وأثره في إدارة المدن بالعهد العثماني ؛ نموذج الجزائر**"، في م.ت.م ،تونس 1999م، ع 93–94، ص377.

(5)دلندة الأرقش:جدلية التجديد والتواصل ...، المرجع السابق، ص87.

ولذلك كانت الحاجة مُلحة إلى مساجد خاصة بالأحناف، وإلى من يؤم الناس ويقضي بين الجنود العثمانيين على مذهب الإمام أبي حنيفة. ولذلك عين قاض يتم إيفاده من اسطنبول إلى بلاد المغرب(الجزائر وتونس وطرابلس) لمدة معيّنة ثم يُستبدل بآخر. ولكن الحكام والجُند حرصوا على بقاء الفقهاء الأحناف في البلاد، ولهذا السبب عمل الدايات على إغراء الفقهاء الأحناف بعدم الرجوع إلى اسطنبول بعد نهاية فترة خدمتهم، وذلك لمواصلة الإمامة والإفتاء. كما وفد على تونس فقهاء أحناف من أصول تركية كانوا قد نشؤا وتعلّموا بطرابلس أو القاهرة[1]. ثم تخرج على أيديهم تلاميذ ولدوا في تونس من آباء وفدوا إليها مع الجيش العثماني. وكان هؤلاء يدرسون اللغة والنحو وعلوم القرآن والحديث. وبهذا الشكل تكون عدد من الفقهاء الحنفية، الذين أصبحوا قادرين بدورهم على أداء مختلف الوظائف الشرعية والعلمية، و القيام بالدور الديني والاجتماعي الذي يتناسب ومكانة الحنفية (الأتراك) في الحياة السياسية والعسكرية للبلاد. وأصبحت الكتب التي ألّفها العلماء الأتراك معروفة بالبلاد التونسية تقرأ وتُدرّس، وصار للمذهب الحنفي منزلة كبيرة في إقامة الشعائر الدينية وفي التعليم، فنتج عن ذلك تنافس محمود بين العلماء الحنفية والمالكية. وقد اضطر هؤلاء حتى يحافظوا على مكانتهم إلى توسيع معارفهم حول المذهب الحنفي عن طريق الاطلاع على المصنّفات المشهورة بين علماء الحنفية [2].

ثالثا–التأثيرات الاجتماعية:

تجلّت تأثيرات الأتراك العثمانيين في الحياة الاجتماعية في كل من الجزائر وتونس، بما جلبوه معهم من عادات شرقية ظهرت بصماتها واضحة في الأكل والشرب واللباس والاحتفالات والمناسبات الدينية، ونقلوا موسيقاهم العسكرية. كما ساهموا في تنوع المنشآت بنوعيها المدني والعسكري[3].وعليه يمكن ملاحظة التأثيرات العثمانية التالية:

أ–اللباس: ظهر التأثير العثماني في لباس الجزائريين والتونسيين، فلباس الرسميين كان عثمانيا؛ بداية بالحكام إلى أدنى عضو في الأوجاق. ومع ذلك لم تنقصه اللمسة المغربية[4].وفي القرن الثامن عشر

(1)أحمد عبد السلام: المرجع السابق، ص–ص 28–29.

(2) ناصر الدين سعيدوني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية...، المرجع السابق، ص 83.

(3)علي خلاصي: **القلاع والحصون في الجزائر: المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث**،الجزائر، 2008، ص، ص 30،54. و عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص، ص 58،60 .

(4) وليم سبنسر: **الجزائر في عهد "رياس" البحر**، تع وتق: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر2006م، ص–ص 102–103.و ناصر الدين سعيدوني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية...، المرجع السابق، ص 88–89.

وبداية التاسع عشر احتفظ الحكام بالقفطان، بينما اكتفى غيرهم باثنين أو ثلاث سترات مزركشة وفق الطراز العثماني. وبعد أن كانت هذه الثياب تجلب جاهزة من الشرق، دأب الخياطون المحليون على تجهيزها، ولذلك أصبحت الزي الرسمي للرجال. أما خارج المدن فكانت التأثيرات العثمانية أقل انتشارا؛ إذ احتفظ الرجال والنساء بالثياب التي تعودوا على ارتدائها. وفي حين كانت النسوة تطرزن القفاطين وأغطية الرأس وغيرها من الألبسة الرجالية والنسائية وفقا للطراز (العثماني) التركي، ولذلك سُمي هذا النوع من الطرز بالزليلق أو الخياطة التركية[1].

ب–الحمامات: إلى جانب ذلك، تعدّدت الحمامات في المدن الجزائرية خلال العهد العثماني، والتي كان المسؤول عنها خوجة العيون. وعلاوة على كثرتها تميّزت الحمامات بميزات فنية ومعمارية لم تكن معروفة من قبل، ظهرت بوضوح في الزخرفة وطريقة التهوية والإضاءة[2].

كما انتشرت الحمامات أيضا في كل المدن التونسية؛ بما في ذلك المدن الصغيرة ذات الكثافة المنخفضة، على أن عدد حمامات مدينة تونس كان يفوق غيرها من المدن؛ ففي القرن السابع عشر للميلاد كان بها أربعون حمّاما[3].ويعود تاريخ إنشاء بعض الحمامات إلى العصور الوسطى، ولكن أكثرها شُيّد خلال العهد العثماني؛ أي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين[4].

وكانت الحمامات تؤدّي وظيفة دينية(الطهارة العامة)، ولها دور حيوي في الحفاظ على النظافة العامة، إلى جانب وظيفتها الاجتماعية ،إذ يلتقي فيها رجال الحي في وقت معيّن من اليوم، وللنساء حظّهن من الحمام في ساعات معلومة من اليوم أيضا [5].

ج–المقاهي: وكانت المقاهي إحدى المعالم البارزة بالجزائر في العهد العثماني، بحيث استغلها أهل المدن للتجمّع وتبادل الأحاديث حول مختلف شؤون الحياة، بعيدا عن الاجتماعات الدينية في المساجد، وليحظوا ببعض التسلية في بقية أيام السنة؛ بخلاف أيام الأعياد، ولإبرام الصفقات ومناقشة بعض الأعمال ومعرفة كل حدث جديد. فشكّلت بذلك الفضاء الأمثل للاجتماع يرد إليها السكان على

---

(1) وليم سبنسر: المرجع نفسه، ص،ص105،110

(2)عربية سليمة موساوي: **الحمَّامَات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني؛ دراسة آثارية معمارية**، رسالة ماجستير في علم الآثار، تخصص: آثار إسلامية ،معهد الآثار، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1990–1991م،ص–ص111–112.

(3)ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص، ص15،06.و أحمد السعداوي: **تونس عبر التاريخ؛ من العهد العربي الإسلامي إلى حركات الإصلاح**، جزآن، (د.ت) ،ج2،ص –ص 253–254.

(4)نفسه ، ج2،ص 253.

(5)نفسه.

اختلاف مراتبهم ثلاث مرات أو أربعا في اليوم لارتشاف القهوة وتدخين النرجيلة، والبحث عن السكينة هروباً من المشاكل والانشغالات العائلية والمهنية اليومية[1].وفي هذا الإطار ألف الفقيه الجزائري عبد الكريم الفكون(ت 1073هـ1662م) كتابا استنكر فيه شرب الدخان، مشبها إياه بالبلية التي انتشرت أصابت البلاد، وانتشر سمها بين أرجائها، مستعرضا فيه فتاوى عدد من علماء عصره والمتعلقة بتحريم التدخين[2].

وكانت المقاهي في أغلبها دكاكين أوحوانيت، توضع بداخلها المقاعد وتفرش بالزرابي والحصائر، مع وجود فرن صغير في أقصاها يستعمله صاحب المقهى لتحضير القهوة أمام أعين الزبائن[3]. أما في مدخلها فكانت توضع أصص للزهور والنباتات العطرية[4].

كما انتشرت المقاهي بكثرة في المدن واحتلت أماكن هامة، مثل ملتقى الطرق أو بعض السطوح المطلّة على البحر، يجلس فيها في الزبائن ليستمتعوا بمشاهدة البحر أثناء ارتشافهم للقهوة. كما وجدت المقاهي كذلك في الأرياف والفحوص، ولكن عددا من أهالي المدن كانوا يقصدونها في فصلي الربيع والصيف للاستمتاع بالشمس والمناظر الريفية الجميلة[5].

وإلى جانب شرب القهوة، كان الزبائن يقومون بتسلية أنفسهم بلعبتي الضامة والشطرنج. ومن يفز عدّة مرات يحصل على بعض التبغ أو فناجين القهوة أو العصير مجاناً. إضافة إلى أنواع أخرى من التسلية، مثل الاستماع إلى الموسيقى والأغاني، حكايا الحكواتي التراثية، النوادر، الشعر ومشاهدة العروض المسرحية المتمثلة في خيال الظل أو عرائس القراقوز. وكانت المقاهي تُقدم القهوة التي تعتبر

(1) نادية مباركي: **الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال القرنين 10 – 11هـ /16 – 17م؛ من خلال مرافقها الحضارية**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، بإشراف د/ عمار بن خروف، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2009-2010م، ص137.

(2) عبد الكريم بن محمد الفكون القسنطيني الجزائري: **محدد السنان في نحور إخوان الدخان**، قرأه وعلق عليه أبو عبد الرحمن محمود، ط1، منشورات سيرتا، الجزائر 1438هـ/2017م، ص،ص 42، 44.

(3)Diego de Haedo **Topographie et Histoire Générale d'Alger, la vie à Alger au seizième siècle**, traduction de l'espagnole et notes de A. Berbrugger et Dr Monnereau, présentation d'Abderrahmane Rebahi, 3eme édition, Alger-Livres Editions, Alger 2004, p90.

(4) Stephane Déstry :**Histoire d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours**, Paris 1843,p26.

(5)ibid.

أحب المشروبات –وهي التي لم تكن معروفة قبل العهد العثماني–ساخنة في أكواب من الخزف [1]. ويُقدّم الشاي في المقاهي أيضا، غير أن الإقبال عليه كان ضعيفا إذا ما قورن بالقهوة [2].

وانتشرت المقاهي في المدن التونسية مع مجيء الأتراك العثمانيين إلى البلاد أيضا، وذلك على الرغم من معارضة رجال الدين [3]. وكان العاطلون عن العمل، من أبرز مرتادي المقاهي لتمضية جزء من النهار بها [4]، حيث يشربون القهوة ويدخنون ويتناقشون ويمارسون ألعابا مختلفة، مثل لعبة الضامة[5]. وبالعودة إلى التدخين، نجد أن التونسيين كانوا يتعاطون التبغ في الغليون المسمى سبسي(جمعه سباسي)، أو عن طريق استنشاقه مسحوقا. وقد لاقى ذلك استنكار الفقهاء التونسيين، ومن بينهم أبو الغيث القشاش، الذي كان يستنكر تناول التبغ، وألّف النوري رسائل في الاستدلال على معارضة الدين له. ورغم ذلك انتشرت هذه العادة حتى أن الناس كانوا يجتمعون في الليالي الرمضانية في بعض الدكاكين لتدخين التبغ[6].

د–الاحتفالات الدينية: أما الاحتفال بالأعياد الدينية فكان العيد يسمى بيرم، أي العيد. ويحتفل عموم الناس في البلدين على غرار باقي بلاد الأمة الإسلامية بعيدين هما: قربان بيرمي أو بيوك بيرمي، وهو عيد الأضحى أو العيد الكبير. والثاني شكر بيرمي، أي عيد السكر أو عيد الفطر. وقد سُمي كذلك بسبب تبادل الهدايا فيه والقطع الصغيرة من الحلويات المصنوعة من السكر. بالإضافة إلى الاحتفال المولد النبوي الشريف(mevledi-şerif)[7].

هـ–اللغة: أما عن اللغة الرسمية في البلدين، فكانت اللغة العثمانية، وهي بذاتها عبارة عن مزيج من الكلمات العربية والفارسية والتركية المكتوبة بخط عربي. وبسبب طبيعة النظام العثماني العسكرية، فإن تأثير اللغة العثمانية قد تمركزت بشكل خاص في الجانب العسكري؛ ففي الجزائر مثلا وجدت اثنتان

---

(1)أبو القاسم سعد الله: أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**،10 أجزاء،ط1،دار الغرب الاسلامي،بيروت1998م، ج1،ص157.

(2)وليم سبنسر: المرجع السابق،ص102.

(3)A.Guellouz, et autres :**Histoire generale de la Tunisie**,3T,Sud Edition ,Tunis 2010,T3 ,p58.

(4)أحمد الطويلي: **تاريخ مدينة تونس الثقافي والحضاري من الفتح إلى أواخر القرن التاسع عشر**، ط1، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس 2002م ، ص 59.

(5)A.Guellouz, et autres :Op.cit. 5

(6)أحمد الطويلي: المرجع نفسه، ص 60.

(7)وليم سبنسر: المرجع السابق،ص118.

وسبعون كلمة عسكرية في طبيعتها بين ستمائة وأربعة وثلاثين كلمة عثمانية الأصل. بينما بقيت اللغة العربية اللغة الشائعة الاستعمال في البلدين [1].

و–المأكل: وكانت الأطباق العثمانية في الإيالتين تقدم جنباً إلى جنب مع الأطباق المحلية، وعلى رأسها طبق الكسكسي. ومن هذه الأطباق أيضا: البيلاف(بيلو أو بيلاو) والدولما والكباب والكفتة [2].

ي–الموسيقى: أما الفنون الموسيقية فتتمثل في الموسيقى العسكرية، وتعزف بمجموعة من الآلات الموسيقية مثل الرباب والطبل والمزامير والأبواق والصنجات. وتستخدم هذه الموسيقى في المعارك وتأثيرها في ذلك كبير جدا[3]. وأما النوع الشعبي الآخر من الموسيقى، فكان النوع الأندلسي الذي جاء به المهاجرون الأندلسيون، وامتزج من حيث استعمال الآلات الشرقية في عزفه، مثل العود والطار والرباب (وهو عبارة عن كمان ذي حبلين اثنين)، والناي، وظهرت هذه الألوان في تركيبات مواويل الدراويش الأناضوليين على مستوى الأصوات نصف النغمية. وخلال العهد العثماني كانت فرق الأندلسيات المركبة من عشرين إلى ثلاثين شخصا كثيرا ما تسمع في المقاهي الجزائرية[4].

خاتمة الفصل:

ومما تقدّم يمكن القول:

– أن الصلات بين الجزائر وتونس تعود إلى فترات متقدّمة من التاريخ، وأن الحدود الجغرافية والسياسية بين الإيالتين لم تعق عملية التقارب والتواصل الثقافي بينهما.

– أن من أهم العوامل المؤثرة أو المتحكّمة في التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس في العهد العثماني، تلك العوامل القديمة (الموروثة)، وبعضها الآخر عوامل جديدة أو طارئة على بلاد المغرب، وكان تأثير بعضها سلبيا وكثيرها إيجابي، ويمكن اعتبار تنقل المثقفين الجزائريين والتونسيين وغير المثقفين وهجرتهم من بلد إلى آخر بصفة مؤقته أو دائمة، سواء لأسباب سياسية أو أمنية، أو للتحصيل العلمي أو ابتغاء العمل أو لجمع الشمل أو لغير ذلك، من الأسباب والدوافع التي تأتي في طليعة العوامل الهامة وذات تأثير إيجابي في التواصل الثقافي بين البلدين.

---

(1)وليم سبنسر :المرجع نفسه،ص102.

(2)نفسه، ص117.

(3)طوماس شاو: **رحلة إلى إيالة الجزائر**، تر وتع لخضر بوطبة، ط1، دار الباحث، الجزائر 2022م، ص49.

(4) وليم سبنسر: المرجع السابق.

-أنه كان للعامل السياسي أثر كبير في التواصل الثقافي للإيالتين فيما بينهما، وذلك نظرا إلى الأوضاع السياسة التي مرّت بها الجزائر وتونس ، بالإضافة إلى الولاء لنفس الخلافة الإسلامية المتمثلة في الدولة العثمانية.

- أنه كانت للوحدة اللغوية والثقافية والدينية دورٌ مؤثرٌ ومساهم في مد جسور التواصل الثقافي بين البلدين، كما أدّت الأوضاع السياسية المتشابهة دوراً كبيرًا في تنشيط وتوطيد أواصر الحوار بين البلدين.

- أن أثر الأندلسيين الموريسكيين كان شاملا وعاما على جميع نواحي الحياة في البلدين، كما كان قويا وواضحا خاصة في المجال العمراني؛ إذ يرجع لهم الفضل في بناء مدن بكاملها وإعادة إحياء المدن التي كانت قد اندثرت أو تراجع دورها مع الزمن، وبفضل عاداتهم وتقاليدهم الراقية تلطفت أخلاق سكان بعض المدن والقرى، التي نزل بها هؤلاء، على الرغم من أنهم حاولوا البقاء معزولين عن غيرهم من الطوائف ضمانا لعدم الاختلاط، وبالتالي اندثار العنصر الأندلسي وذوبانه في المجتمع وهو ما حدث بعد ذلك على الرغم من وجود كثير من العائلات التي ما تزال تحتفظ بأصولها الأندلسية.

-أن الأتراك العثمانيين أدخلوا في الجزائر وتونس تأثيرات واضحة وهامة ، على الرغم من أن كثيرا من المؤرخين(سواء في المغرب أو المشرق)يتهمون العثمانيين بأنهم رجال حرب وسياسة ولم يهتموا بالنواحي الثقافية والحضارية، إلا أن هذا غير صحيح؛ إذ يرجع لهم الفضل في ترك بصماتهم على النواحي الحضارية، من خلال المنشآت المعمارية ، وإدخال أساليب جديدة في البناء ، بالإضافة إلى جلبهم لمختلف العادات والتقاليد الاجتماعية والثقافية.

-أنه يُلاحظ وجود تماثل في كثير من معالم الحياة الثقافية والحضارية في كل من الجزائر وتونس خلال العهد العثماني، مثل تأسيس مدن جديدة وإحياء البعض الآخر، وتعرّف الجزائريين والتونسيين على أنماط جديدة في البناء لم تكن معروفة من قبل، وذلك أن نفس الظروف التي عرفتها الجزائر منذ بداية القرن الخامس عشر وإلى غاية منتصف القرن التاسع عشر الميلاديين، هي نفسها التي عرفتها تونس، كالغزو الإسباني للمدن الساحلية، وتدفّق الهجرة الأندلسية، وأخيراً التواجد العثماني.

الفصل الثاني: مراكز التبادل الثقافي في الجزائر وتونس ودورهما في دعم التواصل الثقافي بين البلدين.

المبحث الأول-أهم مراكز التبادل الثقافي في الجزائر

المبحث الثاني- أهم مراكز التبادل الثقافي في تونس.

المبحث الثالث-المؤسسات الثقافية في الجزائر ودورها في دعم التواصل الفكري بين علماء البلدين.

الفصل الثاني: مراكز ومؤسسات التبادل الثقافي في الجزائر وتونس ودورها في دعم التواصل بين علماء البلدين.

تعتبر المرافق الدينية والتعلمية من أهم المعالم في المدن الإسلامية، وفي مقدّمتها نجد الكتاتيب والمساجد والمدارس والزوايا .ويرتبط الجانب العلمي في كل من الجزائر وتونس بهذه المرافق؛ حيث كانت لهذه الأخيرة أدوارٌ هامةٌ في مجتمع البلدين .وسنتناول في هذا الفصل أهم المراكز العلمية في كل من البلدين، مع الإشارة إلى دورها في دعم التواصل الفكري بين علماء البلدين.

وتجدر الإشارة إلى أن ظهور المؤسسات الثقافية بالجزائر وتونس يعود إلى فترة ما قبل العهد العثماني، وقد أصبحت هذه المؤسسات خلال الفترة موضوع البحث أكثر انتشارا واتساعا، بفضل اهتمامها بالتعليم. كما عرفت كل من الجزائر وتونس مراكز عديدة للتبادل الثقافي بينهما، حيث كان طلبة العلم والمشايخ من بلاد المغرب يقصدونها؛ إما لأخذ العلم منها أو لنشره فيها، أو لمجرد الزيارة بمناسبة الحج، أو لغير ذلك من الأغراض. ويمكن ذكر أهمّها في الآتي:

المبحث الأول–أهم مراكز التبادل الثقافي في الجزائر وتونس

أولا–أهم مراكز التبادل الثقافي في الجزائر:

أ–مدينة الجزائر:

مدينة الجزائر[1] من أبرز الحواضر العلمية في الإيالة، منذ أن ألحقت الجزائر رسميا بالدولة العثمانية سنة 926هـ/1519م، وكان يقصدها العديد من علماء المشرق والمغرب في النصف الثاني من القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد، بعد أن استقر أمرها للأتراك العثمانيين، وغدت عاصمة البلاد وأطلق عليها اسم دار السلطان[2]. وقد تحدّث عنها الرحالة المغربي أبو علي بن محمد التمجروتي، أثناء مروره بمدينة الجزائر في عام 997هـ/1589م عائدا من اسطنبول باتجاه المغرب، حيث أورد معلومات مهمة عن أوضاع مدينة الجزائر في النصف الثاني من القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد؛ لاسيما عن الوضع الثقافي بقوله:" الجزائر عامرة كثيرة الأسواق...،لها أبواب ثلاثة وفيها المسجد الجامع واسع إمامه مالكي المذهب، وفيها ثلاث خطب أحدها للترك إمامهم حنفي المذهب. ومرساها عامر بالسفن، ورياسها موصوفون بالشجاعة وقوة الجأش ونفوذ البصيرة في البحر يقهرون النصارى في بلادهم. فهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير، وأعظم هيئة وأكثر رُعباً في قلوب العدو. فبلادهم لذلك

---

(1)مدينة قديمة، عرفت بأسماء متعددة عبر تاريخها الطويل، لعل أولها هو "ايكوسيم"،سماها به الفينيقيون عندما أسّسوا لهم مركزا تجاريا على ساحلها سنة 880ق.م. وقد ذهب البعض إلى أن معنى هذا الاسم هو الجزيرة، بينما فسره البعض الآخر على أنه مركب من قسمين؛ إي ويعني الجزيرة. وكوسيم؛ أي الشوك، بناء على النبات الكثيف الذي وجد حينها في هذه المنطقة، والذي يشبه الشوك. وقد يكون شوكا حقا. وبعد أن احتل الرومان بلاد المغرب سنة 146ق.م، أحدثوا تنظيما إداريا جديدا أصبحت بموجبه هذه المدينة تابعة لولاية "موريتانيا القيصرية"، وتحرف اسمها قليلا وأصبح "ايكوسيوم". ومن أسمائها الأخرى أيضا الجزائر أو مدينة الجزر، لوجود مجموعة من الصخور القريبة منها، وهي صخور منبسطة قريبة الشبه بالجزر. ومرت هذه المدينة بثلاث مراحل خلال العصر الوسيط، فالمرحلة الأولى وتبدأ من الفتح الإسلامي إلى مطلع القرن الثالث للهجرة. وهنا لم يكن لمدينة الجزائر شأن كبير، ولعل ذلك راجع إلى التخريب الذي طال المدينة مع دخول الوندال إلى بلاد المغرب. ولم تحز على اهتمام الفاتحين المسلمين نظرا لأنهم ركّزوا على المدن الداخلية البعيدة عن البحر لقربها من مراكز الروم. بينما سجلت المرحلة الثانية والتي تبدأ من نهاية القرن الثالث للهجرة وتنتهي عند النصف الثاني من القرن السادس ازدهار المدينة، ذلك أن بلكين بن زيري اهتم بتعمير المدينة وتوسيع رقعتها وتعزيز علاقاتها مع المدن المجاورة وإعادة الأهمية لمينائها. وتأتي المرحلة الأخيرة، وتبدأ من نهاية القرن السادس إلى بداية القرن العاشر للهجرة وتميزت المرحلة بتقهقر المدينة وتراجع دورها. ينظر: عبد الرحمن الجيلالي: **تاريخ المدن الثلاث الجزائر–المدية–مليانة في موسمها الألفي 330–1370هـ/370–1971م**، ط1، دار الأمة، الجزائر2007 م، ص، ص 8،11. عبد القادر علي حليمي: المرجع السابق، ص، ص207،211.

(2)محمد خير فارس: المرجع سابق، ص55.و عمار ابن خروف: العلاقات السياسية...، المرجع السابق،ج1،ص25.

أفضل من جميع بلاد إفريقية وأعمر وأكثر تجارا وفضلا وأنفذ أسواقا وأوجد سلعة ومتاعا حتى أنهم يسمونها "اصطنبول الصغرى". وطلبة العلم فيها لابأس بهم، إلا أن حب الدنيا وإيثار العاجلة والافتتان بها غلب عليهم كثيراً. والكتب أوجد من غيرها من بلاد إفريقية... وتوجد فيها كتب الأندلس كثيراً "[1]. ويُستشف من كلام التمجروتي؛ أنه بالرغم من ارتفاع عدد الطلبة، وكثرة الكتب في مدينة الجزائر، إلاّ أن الوضع الثقافي قد تدهور قليلا، مما جعل أهل العلم ينصرفون عنه وينشغلون بأمور الدنيا.

ب–مدينة قسنطينة:

كان أهل العلم من تونس يترددون بكثرة على مدينة قسنطينة[2] ، التي اشتهرت بها بعض الأسر العلمية عبر عدّة أجيال بإسهاماتهم في إثراء الحياة الثقافية والعلمية، نذكر منهم: أسرة ابن باديس، التي كانت من أهم بيوتات قسنطينة وأشرافها، واشتهر منهم الفقيه والقاضي حسن بن أبي القاسم بن باديس. بالإضافة إلى أسرة المسبح، التي أنجبت العديد من العلماء، نذكر منهم: عبد اللطيف المسبح [3]. كما اشتهرت قسنطينة بكثرة أعلامها أمثال: عبد الكريم الفكون، وسيدي قاسم بن يحي الفكون، وأبو الطيب البسكري، ومحمد الكماد... [4].

(1)التمجروتي: المصدر السابق، ص139.

(2)مدينة قديمة، تقع على جبل شاهق العلو، وتحيطها من جهة الجنوب صخور عالية، يوجد أسفلها نهر تحيط بضفته الأخرى صخور، وبذلك فهو موقع حصين جدا . أسس البونيقيون فيها مستوطنة سيرتا المشتقة من لفظة كارت التي تعني مدينة.وأثناء العهد الروماني تعددت أسماؤها من بولونيا إلى سيرتا وجوليا أو كولونيا وسيبتيا نورم. وقد ازدهرت المدينة في هذه الفترة وبنيت فيها مبان جميلة.غير أن احتلال الوندال لهذه المدينة سنة 455م، سبّب خراب هذه المباني على غرار باقي مدن بلاد المغرب. استقر الفاطميون في هذه المدينة، لتكون قاعد لهم نحو الدولة الأغلبية. ولما خرج هؤلاء من بلاد المغرب نحو مصر،دخلت المدينة في حوزة الزيريين، وخضعت المدينة بعد ذلك للدولة الحمادية ابتداء من سنة 454هـ/1062م، وهو ما أكسبها أهمية كبيرة، خاصة وأن عمرانها ازدهر على خلاف الفترات السابقة. ولكن أهميتها تراجعت على عهد الموحدين، ولعل ذلك راجع لثورات ابن غانية الذي حاصر المدينة. وفي عهد الحفصيين أضحت مدينة قسنطينة ثاني أهم مدينة لهم بعد مدينة تونس، ولكنها عرفت اضطرابات كثيرة، بسبب محاولة بعض ولاة الحفصيين الاستقلال بها. وفي سنة 1374م احتلها المرينيون في محاولة منهم للسيطرة على بلاد المغرب. للمزيد ينظر: الحسن بن محمد الوزان: المصدر السابق، ج2، ص–ص55–56. رشيد بورويبة: **قسنطينة**، ط2، دار بن مرابط للنشر، الجزائر 2013م، ص، ص62،77.

(3) أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق ، ج2، ص122 و ص224.

(4)عمار بن خروف: **العلاقات بين الجزائر والمغرب (923–1069هـ/1517–1659م)**، رسالة ماجستير في التاريخ ، قسم التاريخ ، جامعة دمشق، 1403هـ/1983م ، ص، ص392،394.

ولكن مع نهاية القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد هاجر عدد كبير من العلماء الجزائريين إلى باقي أقطار بلاد المغرب وبلاد المشرق بسبب اضطراب الأوضاع السياسية للبلاد. وفي سنة 1521م خضعت المدينة لخير الدين بربروس، ولكنه عندما خرج من مدينة تونس بعد أن احتلها الإسبان، أراد الدخول إلى قسنطينة للراحة، لكن أهلها منعوه. غير أن شيخها الفقون أقنع خير الدين بالنزول خارجها وتعهد له بتزويده بجميع ما يحتاجه [1]وبعدها بقليل غَدَت المدينة تابعة لمدينة الجزائر، وأصبحت عاصمة لبايليك الشرق الجزائري، يُسيّرها باي يعين من قبل باشا الجزائر[2].

وقد قدّم كاربخال وصفاً لهذه المدينة في القرن 10هـ/16م بقوله:« مدينة عتيقة جداً... وقسنطينة ذات موقع ممتاز فوق جبل عال تُحاورها من جهة الجنوب صخرة شديدة الانحدار ... وبها مسجد كبير رائق ومدرستان بهما مختلف العلوم» [3] .مما يوحي بأن المدينة عريقة ضاربة في أعماق التاريخ، وقد تعاقبت عليها العديد من الحضارات عبر العصور.

كما قدّم أيضا الحسين بن محمد السعيد الورثيلاني في القرن الثاني عشر للهجرة/ الثامن عشر للميلاد وصفهاً عن معالمها الحضارية بقوله: «وهي مدينة قوية ليست كبيرة جدا ولا صغيرة أيضا وعليها سور كبير وفيها أبواب ثلاثة باب الوادي وباب الجابية وباب القنطرة...وهذه المدينة مبنية على كهف وجرف عظيم يكاد من سقط منه أن يهلك بل يموت قطعا» [4]. وهو دليل على حصانة موقعها وصعوبة تمكّن الأعداء منها، لكونهم لا يملكون دراية تامة بمسالكها الوعرة.

وقد ازدانت الحياة العلمية بحاضرة قسنطينة في العهد العثماني بالعديد من أهل العلم و منهم: الشيخ الصالح أبو البركات سيدي مبارك بن الفقيه العلامة سيدي عمر الصائغي، والفقيه العلامة الصوفي أبو الحسن علي بن مسعود الونيسي ، والفقيه القاضي أبو عبد الله سيدي الحفصي العلمي،

---

(1)محمد الصالح بن العنتري: **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاؤهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة**، مراجعة و تحقيق يحي بوعزيز، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر 2009م،ص-ص27-28.

(2)رشيد بورويبة: المرجع السابق،ص97.

(3)المصدر السابق،ج3، ص11.

(4)الحسين بن محمد الورثيلاني: **الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**،مجلدان،مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة1429هـ/2008م،مج 2،ص791.

والفقيه العلامة سيدي أبو القاسم المحتالي، والمفتي العلامة سيدي أحمد بن المبارك العلمي، والفقيه الأديب السيد ونيس البوزنياري ، والكاتب الأديب الخوجة[1].

ج–مدينة عنابة:

إحدى الحواضر العلمية في بايليك الشرق الجزائري. ومن أسمائها الأخرى بونة، وأربونة وهو اسمها القديم، وكذلك بلد العناب[2] الذي يكثر في هذه المدينة، ويتناوله الناس في فصل الشتاء. ومدينة عنابة (بُونة) مدينة عريقة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط[3]. تقع في خليج واسع يمتد ما بين رأس الحمرا ورأس الزهور. يصب في هذا الخليج نهر سيبوس. ويتحدّد موقعها بالهضبة الصخرية المحاذية لشاطئ البحر والمطلة على الداخل؛ الأمر الذي جعل عنابة غير بادية لأنظار القادم من البحر، مما يجعلها في مأمن من غارات الأساطيل المهاجمة، ويرد عنها طلقات المدافع المفاجئة. ومن جهة أخرى يساعد على سهولة اتصال المدينة بداخل البلاد[4]، مما جعل أحمد بن قاسم البوني(ت.1139هـ /1726م)، يصفها بقوله:«... بلد جمعت بين البر والبحر ، فهي كالحلي في النحر، وبها من العلماء والصلحاء ما لا يحصى مياهها عذبة، وثمارها كبيرة، وأوديتها كثيرة عذبة، جارية غزيرة ذات منظر وبهاء»... [5].

ولم تظهر أهمية المدينة إلا في عهد الدولة الحمادية على الرغم من بُعدها عن بجاية، ولعله السبب الذي دفع بوالي المدينة إلى الانفصال عن الدولة الحمادية سنة487هـ/1094م.وبعد أن تأسّست الدولة الموحدية، ضم الموحدون المدينة إلى سلطتهم. وخلال الفترات اللاحقة، وخاصة في العهد الحفصي عرفت المدينة تطورا في عمرانها وزيادة في تحصيناتها لأن المدينة كثيرا ما كانت تتعرض لهجمات الأساطيل المسيحية[6].

---

(1) يمينة سعودي: **الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية**، بحث مقدّم لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري القديم، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري بقسنطينة، السنة الجامعية 2005-2006م، ص، ص 124،57.

(2)هو شجر شائك من الفصيلة السدرية، يبلغ ارتفاعه بضعة أمتار، ويطلق العناب على ثمره أيضا، وهو حلو أحمر لذيذ الطعم على شكل ثمرة النبق. ينظر: مجمع اللغة العربية: **المعجم الوجيز**، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، مصر 1415هـ/ 1994م، ص436.

(3) الحسن الوزان: المصدر السابق،ج2،ص61.

(4)ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000م،ص501.

(5)أحمد بن قاسم البوني: **التعريف ببونة إفريقية بلد أبي مروان الشريف**، تق وتع: سعيد دحماني، دار الهدى، الجزائر، 2001م،ص26.

(6) مختار حساني: **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية مدن الشرق**،3 أجزاء، دار الحكمة، الجزائر 2007م،ج3،ص،ص9،6.

وعندما تعرضت المدينة للاحتلال الإسباني، كانت حينها ماتزال تابعة للحفصيين. ولكنها دانت لخير الدين بربروس في سنة 1521م [1]، وظلّت على ذلك الحال إلى سنة1535م، عندما غادرها خير الدين نحو مدينة الجزائر، بعد انسحابه من تونس عندما هاجمها الإسبان [2]. بعد ذلك تم إلحاقها بباياليك الشرق الجزائري بين عامي1557و1567م [3].

ومن أعلامها البارزين السيد محمد ساسي البوني، شيخ السنة والجماعة بمدينة عنابة، الذي كان من كبار علماء ومشايخ ووجهاء مدينة عنابة خلال العهد العثماني، وكانت له كلمة لا تُرد عند العامة والحكام [4].

د–مدينة بجاية:

تقع مدينة بجاية شرق الجزائر على الضّفة الجنوبية من الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، في البيبان غربا التي تتجمع في جبال وتحيطها على اليابسة كل من جبال البابور شرقا وجبال جرجرة الجنوب الشرقي. وهي مدينة قديمة بناها الرومان عند سفح جبل شاهق مشرف على البحر المتوسط، وهي محصّنة بأسوار عالية شديدة[5].

وقد تمتعت بجاية في العصر الوسيط بسمعة وشهرة واسعة، استمدتها من معاهدها الثقافية المتعددة والمدارس والمعاهد العلمية، والمساجد الجامعة، والزوايا، واشتهر فيها آنذاك علماء في مختلف العلوم، من أمثال: الفقيه الفضل بن سلمة البجائي(ت319هـ/931م)،والفيلسوف محمد بن علي بن الرمامة (ت.567هـ/1171م)، والأديب المؤرخ محمد بن حمد الصنهاجي (ت.628هـ/1230م) ، والأديب الشاعر محمد بن عمر المليكشي(ت.740هـ/1339م)، والصوفي محمد المشدالي (ت.864هـ /1466م) وغيرهم[6]. وقد أشاد التمجروتي عندما مر بها في أواخر القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي أشاد بالرقي العلمي، الذي كانت المدينة قد وصلت إليه قبل تعرضها للاحتلال الإسباني،

---

(1) محمد الصالح بن العنتري: المصدر السابق.

(2) أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمئة سنة...،المرجع السابق،ص239.

(3) سعيد دحماني: **عنابة فن وثقافة**، وزارة الإعلام، الجزائر،(د.ت)،ص–ص61-62.

(4)عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تح: أبو القاسم سعد الله، ط1 ،دار الغرب الإسلامي، لبنان 1987م، ص16.

(5)الحسن بن محمد الوزان: المصدر السابق، ج2، ص50.

(6) يحي بوعزيز: **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، جزآن، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995م ،ج1،ص–ص15-16.

حيث قال عنها:«...وبجاية مدينة عظيمة في القديم كانت دار علم وعمل ومستقر العلماء الصالحين...»[1].

واستمرت هذه النهضة إلى مطلع القرن السادس عشر، عندما تعرّضت المدينة للاحتلال الاسباني ابتداء من سنة 1510م [2]، ففقدت بريقها العلمي بفعل تردي الوضع الثقافي الذي آلت إليه بعد أن عبثت بها أيادي الإسبان«...وبجاية إلى الآن خراب هدمها النصارى دمرهم الله، لم يبق بها إلا ديار قلائل على طرف البحر، وقلعة صغيرة تسمى باللؤلؤة ينزل بها متولي تلك الناحية من الترك يمنع المرسى من العدو...»[3].

حاول عروج خلال سنوات 1512و 1514م و1518م تحرير المدينة من الإسبان، ولكن محاولاته باءت كلها بالفشل. وتمكّن صالح رايس في سنة962هـ/ 1555م من تجهيز حملة لتحرير بجاية من الإسبان بشكل نهائي، وهكذا أصبحت المدينة بعد تحريرها إحدى مقاطعات بايليك الشرق الجزائري[4]. وكانت تضم آنذاك حوالي ثلاثة وخمسين جامعا أو مسجدا، عوض الاثنين وسبعين التي كانت بها قبل ذلك[5]؛ أي أن التهديم الذي تعرضت له المدينة أثناء الاحتلال الإسباني شمل نصف المدينة تقريبا.

ومع ذلك استمرت المدينة في تدريس القرآن وعلومه والنحو...فتوافد عليها العلماء من الداخل من أمثال محمد التواتي الذي وفد من قسنطينة أوائل القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر للميلاد. ومن تونس زارها أحمد برناز بداية القرن الثاني عشر للهجرة/ الثامن عشر للميلاد وأخذ العلم عن الشيخ

(1) علي بن محمد التمجروتي: **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تق وتح: عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط 1423هـ / 2002، ص31.

(2)أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمئة سنة...،المرجع السابق،ص،ص122،120.

(3)نفسه، ص32.

(4)أحمد توفيق المدني: المرجع نفسه،ص-ص343-344. يراجع أيضا: نبيل بومولة: **صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني؛ إمارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م**، دار هومة ، الجزائر2013م.

(5) محمد بن عميرة، ولطيفة بشاري بن عميرة: **تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين**، ط1،دار الفاروق للنشر والتوزيع،الجزائر1436هـ/2015م،ص- ص 361-362.

علي بن صولة. كما توفي فيها الفقيه ومدرس جامع الزيتونة عبد الرحمن الخليفوني سنة 1144هـ/1754م[1].

هـ-منطقة وادي مزاب:

تنتمي هذه المنطقة إلى الحوض الشرقي من صحراء الجزائر، الذي يحدّه شمالاً جبال الأطلس الصحراوي، ومن الغرب والجنوب الغربي قورارة وتوات، ومن الجنوب الهقار والطاسيلي، ومن الشرق الحمادة الحمراء ومنطقة غدامس[2]. تقع في شمال الصحراء الجزائرية في بلاد الشبكة[3] ،على بُعد ستمائة(600)كلم جنوب مدينة الجزائر العاصمة. و ارتفاع يقدر مابين ثلاثمائة(300)م إلى ثمانمائة(800)م فوق مستوى سطح البحر[4]. وتبعد عن مدينة الأغواط بمسافة تقدر بحوالي مائتي (200)كلم. وتضم منطقة وادي ميزاب سبعة قصور، خمس منها متجاورة، وهي: العطف وبونورة ومليكة وغرداية وبني يزقن. واثنان يبعدان عن هذه المجموعة وهما: قصر القرارة وقصر بريان[5].

وقد تحدّث عنها الحسن الوزان في القرن السادس عشر للميلاد بقوله:«... مزاب منطقة مأهولة في قفار نوميديا على بُعد نحو ثلاثمائة ميل شرق تيكورارين وعلى نفس المسافة من البحر المتوسط.

---

(1) الطيب يوسفي: **العلاقات العلمية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني رسائل أئمة التيجانية إلى أعيان الجنوب التونسي أنموذجا**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، بإشراف أ.د/ محمد مكحلي، شعبة التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، السنة الجامعية 1440-1441هـ/2019-2020م، ص-ص 50-51.

(2)Marthe et Edmond Gouvion: **Monographie du M'zab,** Imprimerie Réunis de La Vigie Marocaine & du Petit Marocain Casablanca, 1926, p 175.

(3) بلاد الشبكة: مجموعة من جبال متشابكة في شمال الصحراء الجزائرية، ولفظ الشبكة ينطبق كثيرا على مسماه، لأنها تضم شبكة هضاب صخرية تتخللها أودية. ويقول الجغرافيون أن هذا التكوين الجيولوجي هو عبارة عن هضبة ثانوية من العهد الطباشيري مركبة من الصخور الجيرية الصلبة نحتتها بعمق عوامل التآكل النهري في الفترة الرطبة، التي بدأ معها عصر الزمن الرابع. وتتضمن الهضبة نفسها عدّة أقسام مختلفة الأشكال، فهناك في الجزء الشمالي وعلى الأطراف مجموعات من التلال قليلة الارتفاع. وقد بدا أعلاها مسطحا، وهي تنتمي إلى التكوين الجيولوجي الرابع. أما في الجزء الجنوبي فيكون الوضع عكس ذلك؛ إذ تكثر فيه المسطحات المنبسطة التي تتخلّلها شعاب محصورة عميقة للأودية الكبيرة، وهي: وادي مزاب، وادي متليلي، وادي سبسب، وهي تجري في الغالب من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي. ينظر: علي عبد القادر حليمي: جغرافية الجزائر...، المرجع السابق، ص، ص 48،61. محمد علي دبوز: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ط1،المطبعة التعاونية،الجزائر1385هـ/1965م، ج1،ص- ص 157-158.

(4) A . Coyen : **le M'zab**, ed Adolphe Jordan, Alger 1879, p3.

(5)لمعرفة تاريخ تأسيس هذه القصور، ينظر:

Marthe et Edmond Gouvion, Op.cit,pp226,231.

تشتمل على سته قصور وعدّة قرى، سكانها أغنياء. وهي أيضاً رأس خط تجاري يلتقي فيه تجار الجزائر وبجاية بتجار أرض السودان، غير أن أهل مزاب يؤدون الإتاوة إلى الأعراب ويخضعون لهم...»[1].

وتربط إباضية بني ميزاب صلة متينة مع إباضية جربة، يظهر ذلك جليا في الزيارات المتبادلة بين علماء البلدين، والرحلات العلمية لطلبتهم، والمؤلفات والخطب العلمية والأدبية والقصائد المتبادلة. وفي هذا الصدد يقول الشيخ أبو اليقضان: ما نصه:«...وأما ما كان من جهة التبادل الثقافي بين إباضية شمال افريقيا فحدث عن البحر ولا حرج، ناهيك به قوة ومتانة في علاقة الثقافة بين هذه الأقطار ما كان في وادي ميزاب من اعتمادهم على كتب نفوسة العلمية والدينية...وحلقات تدريسهم من مؤلفات جربة ونفوسة، وقرى ميزاب جلها حافلة بدور الغرباء من تلامذة جربة ونفوسة، وعليها أوقاف مؤبدة لتغذية هذه الدور سائر العصور...»[2].

ومن العلماء الوافدين إلى وادي مزاب الشيخ سعيد بن عليٍّ بن يحي بن يَدَّرْ بن سليمان بن عثمان الخَيريّ الجِربيّ (ت.927 هـ/1521م) المشهور بالشيخ عمي سعيد لأول مرة إلى بلاد وادي ميزاب بطلب من إخوانه المزابيين لنشر العلم فيهم، في أواخر القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد[3]. وساهم في بعث نهضة فكرية واستفرغ جُلَّ جهوده لنشر العلم وإرساء قواعده. وتخرّج على يديه الكثير من أهل العلم، منهم الشيخ صالح بن سعيد نجل الشيخ عمّي سعيد، والشيخ أبو مهدي عيسى بن إسماعيل المليكي(ت.971هـ/1564م). كما أحدث الشيخ نظاماً دراسياً للتلاميذ يضمن استمرار الحركة العلمية وأصبحت المنطقة قِبلة لطُلاّب العلم من مختلف مناطق الإباضية في بلاد المغرب.

ثانيا– أهم مراكز التبادل الثقافي في تونس.

كما هو الحال في الجزائر، فإن في تونس مراكز عديدة للتبادل الثقافي، كان المثقفون الجزائريون يقصدونها إما لأخذ العلم، أو نشره فيها، أو لمجرد الزيارة بمناسبة أداء فريضة الحج، أو بقصد السفر للتعرف على علمائها ، أو لزيارة أضرحة أوليائها وصلحائها، أو من أجل تبادل الأفكار والآراء. ومن أهمّها نذكر:

(1) للمزيد ينظر: المصدر السابق، ج2، ص–ص 134-135.

(2)علي يحي معمر: **الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة: الإباضية في الجزائر**، مراجعة: الحاج سليمان بن الحاج ابراهيم بابزيز ،مجلدان،ط3،مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عمان1429هـ/2008م،م2،ص–ص225-226.

(3)إبراهيم زدك ومعروف بلحاج: "**أعلام القرن 10هـ/16م في منطقة وادي ميزاب**"، في مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، ، جامعة معسكر 2018م، مج9، ع1،ص، ص 469،494.

أ-مدينة تونس:

مدينة تونس [1]عاصمة الإيالة التونسية، والتي تغيرت أحوالها الثقافية مع مطلع القرن العاشر للهجرة/ السادس عشر للميلاد، نتيجة تدهور الأوضاع الداخلية وتعرضها للاحتلال الإسباني سنة941هـ/ 1535م، هذا الأخير الذي أتلف خزائن الكتب واستباح معاهد العلم. وفي هذا الصدد يذكر الشيخ عبد الكريم الفكون، بأن ملك إسبانيا شارل الخامس، لما احتل تونس أباح لجنوده اقتحام جامع الزيتونة، وقتل بعض علمائها في حلقات دروسهم وكان من بين القتلى الشيخ يحي الفكون جد والده[2].

وبالرغم من تردّي الأوضاع العامة في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي في منطقة بلاد المغارب، نتيجة التحرشات والحملات الاسبانية، والحروب التي خاض غمارها العثمانيون ضد الحفصيين، فإن ذلك لم يمنع رجال العلم وطلبته من التنقل إلى تونس، وإن كان عددهم قد عرف تراجعاً ملحوظاً مقارنة بالعهد الحفصي.

وفي القرن الثاني عشر للهجرة/ الثامن عشر للميلاد، وصف المدينة أحد الرحالة المغاربة بقوله:« مدينة كبيرة مقصودة للمراكب البحرية، مؤسَّسة في بسيط من الأرض على ساحل بحيرة صغيرة،

(1)كانت تسمى في القديم ترشيشو من أهم الحواضر العلمية في البلاد التونسية، بحيث تضم جامع الزيتونة العريق الذي أسّسه الوالي عبيد الله بن الحبحاب سنة 116هـ/734م، لذا فقد كانت على مرّ العهود الإسلامية مقصدا للعلماء وطلبة العلم. وقد أسّسها الفينيقيون قبل تأسيسهم لقرطاج، بينما أطلق عليها الرومان تونيوتوم عرفت هذه المدينة ازدهارا كبيرا في عهد الأغالبة؛ وذلك بعد أن توسعت المدينة وتمّ بناء الأسواق حول جامع الزيتونةوبعد هذا الهدوء والاستقرار الذي نعمت به في تلك الفترة، عمت البلاد بعد ذلك بالفوضى،إثر زحف قبائل بني هلال على بلاد المغرب في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، لذا اضطر أهلها إلى الاستنجاد ببني حماد فأرسلوا إليهم الأمير ابن خراسان، الذي أرسى فيها الحكم، كما ساهم في ازدهار المدينة لمدة قرن ونصف وسرعان ما اضطربت الأوضاع مرة أخرى في البلاد بعد غزو النورمانديين، ولكن عبد المؤمن بن علي أجلاهم عنها سنة 555هـ/1160م. وفي سنة 603هـ/1206م استقل بها الأمير عبد الواحد بن أبي حفص مؤسس الدولة الحفصية، وجعل من تونس مدينة للعلوم والعمارة والفنون، وقد ساعده في ذلك مسلمو الأندلس، الذين هاجروا إلى بلاد المغرب مع بداية حروب الاسترداد، بالإضافة إلى علاقاته الحسنة مع الدويلات الإيطالية. للمزيد ينظر: أحمد الحمروني: **خمسون مدينة تونسية**، دار سحر للنشر، تونس 2012م،ص -ص39-40. و الحسن بن محمد الوزان: المصدر السابق ،ج2، ص71.

(2)عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص41.جميلة معاشي :**الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ/ 16 م إلى القرن 13هـ / 19م**؛ دراسة اجتماعية سياسية ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة 1992م، ص233.

أُدخِلت إليها من البحر، وهي كبيرة طولها نحو العشرين ميلا... وجامعها – نعني جامع الزيتونة– معمورة بقراءة القرآن والتدريس متّصلا ذلك بياض النهار»[1].

ب–القيروان:

تقع مدينة القيروان[2] وسط البلاد التونسية. ويصفها كاربخال بقوله:« القيروان مدينة كبيرة... تقع في سهل شاسع الأطراف. ويؤكّد المؤرخون العرب، أنها أجمل المدن التي بناها المسلمون بإفريقيا...أذكر من آثارها، مسجدها الجامع الذي بناه عقبة، يُلَقِّن فيه أصناف المعرفة، نخبة من كبار العلماء والشيوخ...يتوافد طلاب المعرفة على القيروان من كل مناطق افريقيا...»[3].

وظلّ إشعاع المدينة الثقافي قائما طيلة قرون عدّة[4].وتوالت الأحداث على مدينة القيروان، إذ تعرضت للهدم[5] أيام حكم مراد الثالث(1698–1700م)، ثم عرفت النهضة مجدّدا على عهد حسين بن

---

(1)محمد بن عبد الوهاب المكناسي: **رحلة المكناسي إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785**، تح: محمد بوكبوط، ط1،دار السويدي و المؤسسة العربية للدراسات والنشر، أبو ظبي 2003م، ص325.

(2)وهي أول مدينة أسّسها المسلمون في بلاد المغرب، وكان الهدف من تأسيسها تثبيت أركان الفتح الإسلامي، ليس في إفريقية فحسب، وإنما في بلاد المغرب بأسرها. ويعود سبب بناء هذه المدينة إلى أنه بعد عودة معاوية بن حديج(ت.52هـ/671م) إلى مصر، تمرد أهل إفريقية الذين كانوا قد التزموا بالطاعة له، ولذلك أرسل إليهم بالقائد عقبة بن نافع (ت.63 هـ/682م) على رأس جيش قوامه عشرة آلاف فارس ففتح الكثير من المدن، ولما وصل إلى قَمُونِيَةُ استشار القادة الكبار في أن يؤسّس مكان هذه المدينة معسكرا، فعارض هؤلاء في البداية، نظرا لبُعد المدينة عن البحر، لكنهم اتفقوا بعد ذلك على أن تكون هذه المدينة معسكرهم، الذي ينطلقون منه نحو بقية المناطق لفتحها ونشر الإسلام فيها.

وقد تمّ اختطاط مدينة القيروان سنة 50هـ/670م.وأوّل ما بني فيها هو المسجد الجامع، ودار الإمارة، ثم توالت المساكن بعد ذلك، وأخذ الناس يقصدونها من كل حدب وصوب، وبذلك انتشر فيها العمران، وتعدّدت فيها المظاهر الحضارية، التي استرعت انتباه الرحالة الذين مروا بها في فترات زمنية مختلفة وبعد تخريب مدينة القيروان سنة 449هـ/1057م من قبل أعراب بني هلال أخذت بعد ذلك مدينة تونس تبرز شيئا فشيئا كمركز ثقافي. للمزيد ينظر:مارمول كاربخال : المصدر السابق، ج3، ص97.محمد زيتون: **القيروان ودورها في الحضارة**، ط1، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة 1408هـ/1988م، ص75. التهامي نقرة:**القيروان عبر العصور**، تونس 1964م،ص،ص20،15.

(3) مارمول كاربخال: المصدر السابق،ج3، ص79.

(4)التهامي نقرة: المرجع السابق،ص–ص19–20.

(5)ذكر الفرنسي جان أندري بيسونال الذي قام برحلة إلى البلاد التونسية والجزائر سنة 1137هـ/1724م، أن القيروان هدّمت ست عشر مرة، كان آخرها على يد مراد باي الذي هدمها باستثناء المساجد. ينظر: محمّد حسن: **القيروان في عيون الرحالة**، ط1، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 2009، ص210..

علي(1705-1735م)، بعد أن عمل على بناء ما تهدّم منها، وخصّص لذلك أحباساً، ولقي من أهلها النصرة في خضم الفتنة الباشية الحسينية[1]. ولكنها عرفت انتكاسة أخرى على عهد الباشا علي باي (1735 – 1756م)، نظرا لتأييد أهلها لعمّه حسين بن علي. وبعد أن تولى الحكم أبو عبد الله محمد باي بن حسين بن علي تركي (1756 – 1759م)، أعاد بناء كل ما تهدم فيها[2]. لكن المدينة لم تلبث أن تعرضت لانتكاسة ثالثة في عهد الباشا علي باي. وبقيت القيروان على تلك الحال إلى أن تولى أمر البلاد الباي محمد الرشيد بن حسين باي (1756-1758م) فأصلح أمور المدينة وأقام سورها ورمّم ما اندرس من معالمها[3].

وتُعد مدينة القيروان ثاني الحواضر العلمية في البلاد التونسية، والتي استقطبت العديد من الجزائريين خلال العهد العثماني للدراسة فيها، ويرجع ذلك إلى ما تحويه هذه المدينة من مراكز ثقافية، أهمها الجامع الأعظم.

ج-جزيرة جربة[4]:

هي إحدى الجزر التونسية الواقعة في جنوب شرق تونس وتحديداً في خليج قابس. تضررت كثيرا بفعل الصراع الإسباني العثماني خلال القرن السادس عشر، والذي انتهى بانتصار القائد العثماني درغوث باشا سنة1560م[5]، وبذلك كانت الجزيرة تتبع طرابلس تارة وتونس تارة أخرى، إلى أن أصبحت تابعة لتونس بشكل نهائي في سنة1040هـ/1631م.ولكن يونس باي غزا الجزيرة في

(1)J.Henry Dunant: **notice sur la régence de Tunis**, imprimerie de jules-Gme fick, Genève1864, p.81

(2)محمّد حسن: المرجع نفسه، ص210.

(3)أحمد بن أبي الضياف: المصدر السابق، ج3، ص 239.

(4)سمّاها الإغريق بجزيرة اللوتس، هذا النبات الذي بحسب زعمهم ذو مفعول سحري على من يتناوله؛ حيث يدخله في عالم من الأحلام. وقد فتح هذه الجزيرة القائد رويفع بن ثابت سنة 45هـ/665م. ومن وقتها لم تسجل كتب التاريخ عنها الشيء الكثير. وكمثل سابقاتها من المدن التونسية، فقد تضررت الجزيرة بفعل زحف أعراب بني هلال عليها وغزو النورمانديين لها،وهكذا أصبحت تابعة تارة لصقلية، وتارة أخرى لملوك بني حفص حاول ملك أراغون ألفونصو في غضون القرن الخامس عشر ميلادي احتلالها مرتين، غير أن السلطان الحفصي أبا فارس انجد أهلها في المرة الثانية. ونظرا لأن أهل جربة كانوا كارهين لتبعية المسيحيين والحفصيين على حد سواء، فقد فضّلوا الاستقلال بأنفسهم وأرزاقهم فحقّق لهم السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان بن محمد (1435- 1488م) ذلك سنة 885هـ/ 1480م. للمزيد ينظر : أحمد الحمروني: المرجع السابق،ص-ص43-44.و ممدوح حسين علي حسين: المرجع السابق، ص477.

(5) محمود علي عامر: المرجع السابق، ص ص 171-172.

سنة1151هـ/1738م.وتعرضت للسيطرة أيضا من قبل علي برغل الطرابلسي سنة 1202هـ/1794م[1].

ورغم انعزال أهل الجزيرة على أنفسهم كما ذكرنا سابقا، فإن هذا لم ينفِ توجه العديد من طلبة العلم والعلماء الميزابيين الجزائريين إليها بكثرة، بل كانت دوما مثالا للتعايش المذهبي والتسامح الديني.

ومن أبرز أعلام الجزيرة وعلمائها في القرن العاشر هجري/السادس عشر للميلاد، نجد الشيخ أبا زيد عبد الرّحمان بن أحمد الحيلاتي(النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي)، الذي ترأّس نظام العزابة وعمل جاهدا على حل مشاكل أهل جربة. زاول تعليمه في رأسه على يد الشيخ أبي سليمان التّلاتي. ومن هناك سافر ال نفوسة لزيادة التحصيل العلمي.ثم انتقل إلى القاهرة أين درس عل علماء الأزهر. وبعد عودته إلى موطنه تولى التدريس سنة 967هـ/1559م[2].

وهناك بعض المدن التونسية الأخرى التي كان يمر عليها ركب الحج الجزائري أثناء العهد العثماني، نذكر منها:

د– مدينة صفاقس: التي تقع على ساحل خليج قابس، وهي من أهم مدن تونس في العهد العثماني، وكان ركب الحج الجزائري يرتادها في حالات نادرة. والدافع لذلك هو كثرة مَزاراتها الدينية والعلمية، وقد وصفها أحد الحجاج بقوله:« مدينة عظيمة، يَستحلِيها الناظرون.ويستحسِنها المسافرون، جمعتْ بين البر والبحر، تجتمعُ فيها الخيرات وتعمُّها البركات»[3].

هـ–**مدينة قابس**: تقع واحة قابس في الطرف الغربي من الخليج على ساحل رملي منبسط، يمتد من مصب وادي قابس إلى شرقي واحة شنتش الصغيرة [4]. زارها الحسن الوزان في القرن السادس عشر للميلاد، وصفها بقوله :«...مدينة كبيرة جدا بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط في داخل الخليج. تحيط بها أسوار عالية قديمة، وكذلك القصبة. ووسكان قابس سُود البشرة، فلاحون فقراء، أو صيادون ضعفاء ، يستغلهم كثيراً الأعراب وملك تونس... »[5]. وهي أيضا إحدى المحطات المهمَّة

(1)محمود مقديش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح: علي الزواوي ومحمد محفوظ، جزآن، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988م، ج2،ص- ص213-214.و أحمد الحمروني: المرجع السابق،ص44.

(2)ابراهيم بن بكير بحاز، وآخرون: **معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر**، الاستشارة والمراجعة محمد صالح ناصر،3أجزاء،ط2،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1421هـ/1999م، ج2،ص246.

(3)الحسين الوثيلاني: المصدر السابق،ج2 ،ص30.

(4) محمد المرزوقي: **قابس جنّة الدنيا**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1962، ص 50.

(5) المصدر السابق،ج2،ص91.

جدا لركب الحج الجزائري ، فكان لا يستغنَى عنها .وقد كانت الأركاب التي تَفِدُ من المغرب الأقصى، والجزائر، وتدخل من منافذ الكاف أو توزر أو نفزاوة تلتقي في قابس، ثمّ ينضمُّ إليها الركب التونسي لمرافقتها في الطريق[1].

(1) محمد بن الخوجة: المرجع السابق، ص265 .

المبحث الثاني: دور المؤسسات الثقافية في الجزائر في دعم التواصل الفكري بين علماء البلدين.

يعود ظهور المؤسَّسات الثقافية في الجزائر إلى العهود الإسلاميَّة الأولى، عندما جاء الفاتحون الأوائل من شبه الجزيرة العربية، فنشروا الإسلام في بلاد المغرب. ولم يقتصر دور المساجد على أداء العبادات فحسب، بل أصبح مؤسَّسةً ثقافيَّةً تنشر العلمَ والمعرفةَ. ثم بدأت باقي المؤسَّساتِ الثقافيةِ بالظهور على مر العصور، إلى أن جاء الأتراك العثمانيون ،الذين رعوا هذه المؤسَّساتِ القائمةَ، وبنوا مؤسَّساتٍ أخرى باعتبار أنَّهم جاؤوا بالمذهب الحنفي، غير المذهب المالكي الذي كان سائدا في البلاد وقتها. وأمَّا المؤسَّساتُ الثَّقافيَّةُ التي وجدت بالجزائر العثمانية ، فهي كالآتي:

أولا–كتاتيبُ القرآن:

أخذت الكتاتيب في الانتشار في سائرِ بلادِ الإسلامِ ومنها بلاد المغرب الإسلامي بعد أن ظهرت في مكة المكرمة. وفيها كان يجتمع الأولاد الصغار ليتعلموا القراءة والكتابة ومبادئ الدين والصلاة وقراءة القرآن الكريم. وكان عدد هذه الكتاتيب يزداد بازدياد العمران وبكثرة عدد الداخلين في الإسلام من المغاربة، ولذلك كانت عناية هؤلاء بالكتاتيب كبيرة[1].

تأتي الكتاتيب في بعض الأحيان بيوتًا منفردةً، وقد تكون في أحيان أخرى مجمّعات من البيوت، التي تختلف عن بعضها في الشكل[2].كما قد تكون حُجرةً أو دكَّانًا أو أحد أجنحة المسجد. وفي الغالب يخصِّصُ أحد المحسنينَ غرفةً في منزله يفتحها على شَّارع ويؤسِّس منها كُتَّابًا[3]. وقد يتّسع الكُتَّاب أحيانا ليشمل أربع حجرات، تُعَدُّ أحداها لإلقاء الدروس، بينما تُخَصَّص الثانية لإقامة التلاميذ القادمين من الأماكن البعيدة. أما الصلاة فتتم في الحجرة الثالثة. وأخيرا تكون الرابعة مخزناً للمؤن وغيره من الضروريات، بالإضافة إلى وجود ميضأة ومكان لتحضير الطعام[4].

(1)محمد بن سحنون: **كتاب آداب المعلمين**، تح: حسَن حُسني عبد الوهاب، مراجعة وتعليق: محمد العروسي المطوي، منشورات دار الكتب الشرقية، تونس 1392هـ /1972م، ص33.

(2)يحي بوعزيز: **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، جزآن،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر2004 م، ج1، ص199 .

(3)أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص277.

(4)عبد الرحمن بن أحمد التيجاني: **الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977**،د.م.ج،الجزائر 1983م،ص-ص19-20.

أمَّا في البوادي، فكانت الكتاتيب عبارةً عن خيمةٍ تنصب لذلك، فيحفظ فيها القرآن الكريم وتؤدّى داخلها الصلوات[1].

ويعود سبب تأسيسها خارج المسجد، بالأساس إلى الرغبة في الحفاظ على نظافةِ الجامعِ وهدوئِه ووقارِه، مما قد يحدثه الأطفالُ من فوضى وغير ذلك.وهو ما من شأنه أن يعيقَ المصلينَ عن أداء الواجباتِ الدِّينيَّةِ في خشوعٍ وراحةٍ[2].

وقد أُطلِق على الكتاتيب في مدينة الجزائر اسم "المسيد" و هو تصغير لكلمة مسجد[3]، أو ما يُعرف باسم "المكتب". ويُسمَّى الكُتَّابُ أو المسيد باسم الحيِّ، الذي يقع فيه. وقد يحمل اسم الشَّارع أو الزَّاوية. كما يُسمَّى باسم الواقفِ على الكُتَّابِ، أو أحدِ مؤدِّبيهِ المشهورينَ.وفي البوادي والأرياف يُعرف باسم "الشَّريعة" [4]، والتي هي في حكم المدارس الابتدائية في يومنا هذا، وهي عبارة عن غرف وأجنحة ملحقة بالمساجد والزوايا، ولذلك كان كل كتّاب يحمل اسم الحي الموجود فيه أو الزاوية التابعة له[5].

ومن الأمثلة على انتشار الكتاتيب في مدينة الجزائر: مسيد سيدي بوقدور وضريحه، ومسيد الحمَّامات، ومسيد جامع الزَّاوية، ومسيد جامع سفير[6]، ومسيد الحاج مصطفى بولكباش، ومسيد كوشة بولعبة[7].

ثانيا–المساجد:

تعتبر المساجد أحد مظاهر الثقافة العربية الإسلامية، فإلى جانب كونها أماكن للعبادة فإنها ملتقى لحلقات الدرس والعلم وتبادل المعرفة وتدريس العلوم الدينية، كالفقه والعقيدة والأصول والتفسير والحديث. وقد نقل لنا ابن ميمون على لسان عالم جزائري وهو الشيخ عبد الرحمان الجامعي صورة عن

(1) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق،ج1، ص277.

(2)يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا...،المرجع السابق.

(3)رابح بونار:"**الذكرى الألفية لتأسيس مدرسة الجزائر**"، في مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر 1972م،ع 8ص74.

(4)أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص277.

(5)حسان صبحي: **النظام التربوي الاستعماري1830–1962**،رياض العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر2005م،ص، ص16،19.

(6)يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا...،المرجع السابق،ج1،ص–ص200-201.

(7)أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق،ج1،ص277.

هذه الحركية العلمية خلال القرن الثامن عشر للميلاد، عندما كتب قائلا:«...ومساجدهم بالتدريس معمورة...»[1].

وبالعودة إلى المساجد في الجزائر العثمانية، فإنّنا نلاحظ انتشارها الواسع في المدن الكبرى، ذلك أن الجميع من ساسةٍ وأناسٍ عاديّين أخذوا على عاتقهم بناء المساجد، التي كانت وقتها تدخل ضمن إطار العمل الخيريّ، فالباشاواتُ والدَّاياتُ والأعيانُ والأغنياءُ تكفَّلوا ببناء المساجد من أموالهم الخاصة، وخصَّصوا لها أوقافا من ريعها وأملاكها[2].

ومن التَّجهيزات التي يجب أن تتوفر في الجوامع المكتباتُ، التي تختلف محتوياتها من جامع لآخر، ذلك أنها تقتصر أحيانا على المصاحف والكتب الدِّينية، مثل صحيح البخاريّ، وتنبيهِ الأنامِ، ودلائلِ الخيراتِ، وكتبِ الأدعيةِ والأذكارِ، وفي أحيانٍ أخرى تزيد على هذه المصنّفات كتبٌ علميَّةٌ تتنوعُ موضوعاتها مابين طبٍّ وفقهٍ ورياضيَّاتٍ مع كتبٍ تاريخيةٍ وأدبيةٍ. وقد يتم إلحاق الكتاتيب بالمساجد، فيقصدها الأطفال لتعلُّم القرآن الكريم. والزوايا التي تؤوي الطَّلبة ممَّن ليس لهم مكان يبيتون فيه. وأخيرا يجب أن تتوفر المساجد على ميضأة للوضوء [3].

ويُشرف على هذه المؤسَّساتِ عدد كبير من الموظَّفينَ، قد يكثرُ حتَّى يتجاوز السِّتين كما في الجامع الكبير بمدينة الجزائر، أو يقلُّ فلا يتعدى أصابع اليدِ الواحدةِ. ولكن من المؤكَّدِ أنَ كلَّ المساجدِ قد توفَّرت على وكيل، وخطيب، وإمام، قد يجمع إلى جانب الإمامةِ ،الخطابةَ أيضًا، ومدرس ومؤذِّن وحزَّاب(قارئ).ويحصل كل منهم على مرتَّبٍ شهريٍّ[4] تحدِّدُه مكانتهُ وعلمهُ[5].

1-الجامع الكبير أو الجامع الأعظم:

يعود بناء هذا الجامع إلى العهد المرابطي وبه أقدم منبر في الاسلام. عرف عدّة إصلاحات وتوسيعات عبر الحقب والأزمنة التي مرّت به. وفي العهد العثماني كان تحت إشراف الجماعة المالكية[6].

---

(1) محمد بن ميمون: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تق وتح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، ط1، ش. و. ن. ت، الجزائر1981،ص59.

(2)أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص-ص246-247.

(3)نفسه، ج1، ص255.

(4)ينظر الملحق رقم 01.

(5) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق،ج1،ص256.

(6)نورالدين عبد القادر: **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر**، دار الحضارة، الجزائر2006م ، ص، ص 155،160.

كان ينعقد بهذا الجامع المجلسُ الشَّرعيُّ الأعلى، ومهمَّته النظرُ في النَّوازل والأحكام الشَّرعيَّة، بالإضافة إلى احتضانه اللقاءات والمناظرات العلمية بين العلماء، ومثال ذلك لقاء الشيخ أبي راس الناصري مع الحاج محمد بن الشاهد ،والشيخ محمد بن مالك ومناظرتهما في مسألة فقهية، تتعلق بالآية الكريمة:﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾[1]في هذا الجامع[2].

2-جامع كتشاوة[3]:

بُني هذا الجامع في شارع الدِّيوانِ الذي يقع في أحدِ أحياءِ مدينةِ الجزائرِ المدعوِّ كتشاوةَ سنة 1021هـ/1610م، ثمَّ قام بترميمه وإتمام بنائه حسن باشا سنة 1209هـ/1794م[4].وقد كتب صاحب الترجمانة الكبرى عن ترميم هذا المسجد بعد عودته من الحج ونزوله بمدينة الجزائر وأدائه لصلاة الجمعة فيه، ما يلي: «وفي يوم الجمعة توجهت مع أصحاب لي حملوني على الصلاة في المسجد الجديد، الذي أسّسه حسن باشا بعد سفرنا للحجاز وأقام به الجمعة، فدخلته وشاهدته وصلينا الجمعة وأخبروني بما أنفق عليه من الأموال وما جلب له من أصناف الرخام والمرمر، وما أوقف عليه الرباع والضياع ما لا تسمح نفس أحد بإنفاقه إلا من وفقه الله»[5].ما يُلاحظ هنا أن الزياني أطلق عليه اسم الجامع الجديد بدل أن يسميه باسمه على أساس أن حسن باشا هو الذي بناه، وقد يعود ذلك لقيامه بإتمام بنائه وتخصيص أوقاف كثيرة يستغل ريعها للإنفاق على الجامع وشؤونه.

3-جامع الباشا في وهران:

يقع على الضفة اليمنى لوادي الرحى قبالة قصر الباي،عند شارع بن عمر بوتخيل(شارع فيليب سابقا)،والذي يلتف حوله من ثلاث جهات الشرقية، الغربية، والشمالية، ويحده شارع المسجد من

(1) القرآن الكريم: سورة الفاتحة، الآية رقم 07.

(2)محمد أبو راس الجزائري: **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته حياة أبي راس الذاتية والعلمية**، حققه وضبطه وعلق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري، م.و.ك، الجزائر 1986م ، ص96.

(3)الأرشيف الوطني الجزائري: المجموعة رقم 3205، ملف 2، الوثيقة رقم 17.

(4)حسين مؤنس: المساجد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1981م ، ص208.

(5)أبو القاسم الزياني: **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، تح وتع عبد الكريم الفيلالي، ،دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط1412هـ/1991م، ص375.

الجهة الجنوبية[1]. وقد شيّده الباي محمد الكبير بأمر من الداي حسن باشا بعد فتح وهران الثاني سنة 1207هـ/1792م[2].

وعلى الرغم من التعديلات والترميمات التي طالته، إلا أنه حافظ على طابعه الأصيل[3].وقد تحدّث ابن سحنون الراشدي عن بنائه، فقال:«...وبنى أيضا الجامع الأعظم المعزو للباشا حسن، وكل ما صرفه عليه هذا الأمير فمن عند الباشا المذكور(رحمهما الله)،يحكى أن الباي محمد لما فتح وهران ثم اعلم الباشا حسن بفتحها ففرح، ولما رأته زوجته فاطمة وخالتها جال به الطرب قالتا له كان اللائق بك لإعلام سرورك تبني بها جامعا عظيما يبقى ذكرك مخلَّدا في الألسنة فعند ذلك أمر الباي محمدا ببنائه...»[4].

4- الجامع الكبير في مدينة معسكر:

يقع في قلب مدينة معسكر إلى الغرب من جامع المبايعة على بضعة من الأمتار. وقد أسس هذا الجامع الباي عثمان سنة 1160هـ/1747م عندما أصبح بايا للغرب. وقد حبَّسَ الباي محمَّد الكبير الكثير من الأملاك على هذا الجامع، منها الدَّارُ المجاورةُ له وإسطبلٌ وحمَّامٌ يقعُ بقرب المسجد، ومجموعةٌ من الحوانيت، ورحىً يعود ريعها إلى موظَّفي الجامع من إمامٍ وحزَّابين ومدرِّسينَ وطَلبة... وأُلحِق به بعد ذلك مدرسة وميضأة [5].

6-جامع سوق الغزل في قسنطينة:

ويُسمى أيضا جامع حسن باي.وقد بُنيَ على عهد الباي حسين كليان المعروف ببوكمية سنة

---

(1)علي بوتشيشة: **جامع الباشا بوهران**، في مجلة عصور الجديدة، يصدرها مخبر البحث التاريخي- تاريخ الجزائر-،جامعة وهران 1439هـ/2017-2018م،مج7،ع27، ص- ص181-182.

(2)خيرة بن بلة: **المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني**، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2007-2008م ،ص84.

(3) علي بوتشيشة: المرجع السابق.

(4)محمد بن يوسف الزياني: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تح وتق: المهدي البوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمن دويب،ط1،عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013م،ص267.

(5) C.H.Leclerc : **Inscription arabe de Mascara, Mosquée d'Ain Beida**, in R.A, 1860, ,pp43-44.

ينظر أيضا: بلبراوات بن عتو: "**الباي محمد الكبير 1779-1797؛ حياته وسيرته**"، في مجلة عصور، جامعة وهران1، جوان 2003م، ع3،ص، ص 151،158.

(1713-1736م).أما سبب تسميته بهذا الاسم؛ أي سوق الغزل، فذلك راجع إلى قربه من السوق الذي كان يُباع فيه صوف الغزل[1].

7-مسجد سيدي أبي مروان في عنابة:

وشيد أثناء القرن الحادي عشر للهجرة/الثامن عشر للميلاد مستندا إلى السور الشرقي للمدينة وبجوار زاوية الأسوار الشرقية. وسبب بنائه في هذا الموضع أنه يمثل جزءا من النظام الدفاعي للمدينة[2].

ويمكن القول، بأن المساجدَ والجوامعَ في الجزائرِ العثمانيَّةِ كانت كثيرة وساهمت مساهمةً فعَّالةً في نشر العلمِ والمعرفةِ وتوعية المسلمين، بما ينفعهم في دينهم ودنياهم، غير أنَّ الكثير منها لاقى مصيرًا مفجعًا على يد الاحتلال الفرنسي، الذي حوَّل بعضها إلى كنائسَ، وهدم بعضَها الآخرَ.

ثالثا-الرباطات و الزَّوايا:

يبدو الاختلاف واضحاً بين جمهرة المؤرخين في تحديد الفرق بين مفاهيم الرباط والزاوية[3] من جهة، وبين الزاوية والمدرسة من جهة ثانية. فنجد ابن مريم يُدمج بين المؤسستين، فتارة يذكرها زاوية،

(1)عبد القادر دحدوح: المرجع السابق،ع13،ص69.

(2)سعيد دحماني: **عنابة فن وثقافة**، وزارة الإعلام، الجزائر(د.ت)، ص-ص73-74.

(3)تعدّدت معاني كلمة الزَّاوية فلغة اشتُقَّت من الفعل زوى وانزوى؛ بمعنى ابتعد وانعزل عن النَّاس. وانزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانوا. ويقال أيضا انزوى عن الناس أي ابتعد. وسُمِّيت بذلك، لأن الغرض الأوَّل من بنائها كان الانزواءَ والابتعادَ عن حياة المدن وكلِّ ما يصاحبها من صخبٍ وضجيجٍ، والعيشَ في هدوءٍ، مما يساعد على التَّأمُّل في عظمة الخالق عزَّ وجلَّ، وأداءِ العبادات في سكينةٍ وهدوءٍ. أما في الاصطلاح، فهي عبارة عن بناية ذات طابع ديني، يقيم فيها المتصوفة للاعتكاف، والتفرغ إلى العبادة وتعليم المريدين مختلف العلوم الشرعية النقلية والعقلية، وتحفيظ القرآن للناشئة، وإيواء وإطعام الفقراء وابن السبيل. ومع مرور الوقتِ، لم تعد الزاوية حكرا على الطَّلبة، بل أصبحت تستقبل كل من يقصدها سواء كانوا زوَّارًا ومحبين، أو مسافرين وأبناءَ سبيلٍ؛ ممن لا يملكون مكانًا يُقيمون فيه. ينظر: جمال الدين أبي الفضل ابن منظور: **لسان العرب** دار صادر، ط3، بيروت، 1414هـ/1993م، ج8، ص339. مؤيد العقبي: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البراق، بيروت 2002م، ص302. ليفي بروفنسال: (الزوايا) ، **دائرة المعارف الإسلامية** ،تع: أحمد الشنتاوي وآخرين، القاهرة 1933م، المجلد 10ص- ص331-332.صالح بوسَليم:"**مؤسسة الزوايا بإقليم توات خلال القرنين 12-13هـ/18-19م بين الإشعاع العلمي والانتشار الصوفي**"، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المركز الجامعي، غرداية، جوان 2010م، ع9ص99. الطاهر بونابي: **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين/12 و13 الميلاديين (نشأته-تياراته-دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)**،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر 2004م،ص223.

وأخرى مدرسة الزاوية[1]. أما عبد الرحمن بن خلدون، وابن أبي زرع فيبدو الاختلاف واضحا بينهما في التعبير الاصطلاحي للمبنى الذي شيّده أبو يوسف يعقوب سنة 684هـ/1285م، إذ نجد ابن خلدون يُسمّيه رباطا[2]، وابن أبي زرع يُسمّيه زاوية[3].

وتعتبر الزاوايا نموذجا للتطور المعماري للرباطات التي ظهرت بثغور بلاد المغرب ، ثم سرعان ما انتشرت مع مرور الوقت في المدن والأرياف، وذلك لكثرة الطُّرقِ الصُّوفيَّة في البلاد[4].

وتعاظم هذا النوع من الزوايا، ابتداء من القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد مع اشتداد غزوات البرتغاليين والإسبان على سواحل بلاد المغرب. وعرفت انتشارا واسعا بالجزائر في العهد العثماني، بسبب الطبيعة الصوفية للأتراك العثمانيين أتباع الطريقتين المولوية والبكتاشية، اللتان ساهمتا مساهمة كبيرة في تأسيس الإنكشارية عمود الدولة والمجد للعثمانيين، فلم يكن غريبا أن يُولي أتراك الجزائر اهتماما كبيرا للزوايا، التي زاد عددها في تلك الفترة[5].

وتعدّدت الزَّوايا في الجزائر خلال العهد العثماني حتى فاق عددها حوالي الخمس مائة(500) زاويةٍ[6]؛ ففي مدينة الجزائر نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر: زاويةُ وضريحُ سيدي عبد الرحمن الثَّعالبي، وزاويةُ الولي دادة، وزاوية عبد القادر الجيلاني، وزاوية سيدي محمد الشريف، وزاوية سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري... [7].

أما في مدينة قُسنطينةَ وريفها، فقد تجاوز عدد زواياها الدينية الثلاثة عشر(13) زاوية، نذكر منها: زاوية سيدي المناطقي، زاوية سيدي عبد المؤمن، سيدي مخلوف، زاوية ابن محجوبة... وكان للعائلاتِ

---

(1)محمد بن بن مريم التلمساني: **البستان في ذكر العلماء بتلمسان**، د.م.ج، الجزائر 1986م، ص، ص 23،35.

(2)عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر...، المصدر السابق، مج6، ص435.

(3) علي ابن أبي زرع الفاسي: **كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**،دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ، 1972م،ص 257.

(4)أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص-ص262-263.

(5)أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص 223 وما يليها.

(6) A.Devoulx: **Les édifices religieux de l'ancien Alger**, in R.A,1870, pp 292,298.

(7)أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1،ص-ص263-264.

الكبيرةِ زوايا خاصَّةٌ بها على غرار زاوية أولاد الفكُّون الزاوية التجانية الفوقانية)، زاوية بن رضوان، زاوية أولاد جلُّول، زاوية الصوارين...[1].

وفي مدينة عنابة(بونة) توجد زاوية أسرة ابن ساسي بعنابة، وزاوية أسرة ابن مصباح، وزاوية أسرة الورثيلاني[2]. ومن بين مشايخ هذه الأسرة ، الذين تولوا مهمة التدريس في هذه الزاوية الشيخ الحسين الورثيلاني، الذي استمر في التدريس إلى أن وافته المنية، وابناه محمد الصغير ومحمد السعيد، وحفيده الحسين الذي قام بالرحلة الورثيلانية المشهورة. وفي جنوب قسنطينة اشتهرت زاوية خنقة سيدي ناجي، التي وصفها الورثيلاني في رحلته بما يأتي: «والخنقة قرية مباركة طيبة ذات نخل وأشجار وسط واد بين جبلين، وقد قيل أنها تشبه مكة في وضعها وفي البركة »[3]. ويذكر أحد الباحثين بأن الخنقة (خنقة سيدي ناجي) كانت خلال القرنين السابع والثامن عشر إمارة طرقية شبه مستقلة، ويمتلك شيخ الزاوية سلطة سياسية وجبائية، إلى جانب السلطة الدينية والمعنوية، تتجاوز البلدة لتشمل منطقة تكون أحيانا شاسعة من بلاد الزاب والصحراء [4]. وهو مايعكس بحق عُمق التواصل الروحي الصوفي بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني.

وتُعتبر منطقة زواوة من أغنى المناطق على الإطلاق في الجزائر من حيث عدد الزوايا، التي انتشرت بها بعد الاحتلال الإسباني لمدينة بجاية، مما أدى بسكانها وخاصة الوافدين الأندلسيّين إلى الابتعاد وتأسيس الزوايا[5]؛ إذ وُجِدَت بها حوالي خمسون زاويةً. ومن تلك الزوايا نذكر: زاوية تيزي راشد المعروفة بزاوية ابن اعراب، التي قصدها الطُّلاب من مختلف نواحي البلاد، وزاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية التي استمر عطاؤها إلى غاية مطلع القرن 13هـ/19م، وكانت تضمّ أكثر من مائتي(200) طالب، وزاوية الأزهري بآيت اسماعيل، وزاوية عبد الرحمان البلوي،وزاوية ابن علي الشريف بآقبو، وزاوية سيدي منصور بآيت جناد[6].

---

(1) Ch. Feraud :«**les anciennes établissements religieux musulmans de Constantine**» ,in R.A , N°68, pp.111,132.

(2)الحسين الورثيلاني: المصدر السابق،م2،ص718.

(3)نفسه ،ص150.

(4) أحمد السعداوي: **التواصل بين إيالتي تونس والجزائر: وقف علي باي الحسيني على زاوية سيدي عبد الحفيظ بخنقة سيدي ناجي** ، في مجلة السبيل؛ مجلة التاريخ والآثار والعمارة، (نسخة إلكترونية) ع01،2016 م الرابط :http :www.al-sabil- tn

(5)مؤيد العقبي:المرجع السابق،ص-ص305-306.

(6) أبو القاسم سعد الله:المرجع السابق، ج1، ص- ص265-266.

ومن أبرز زوايا بايلك الغرب الجزائري، نذكر على سبيل المثال: زاوية مصطفى بن المختار نسبة إلى مؤسّسها، الذي أنشأها بالقيطنة بغريس (وادي الحمام) معسكر سنة 1206هـ/1791م، وتصدى فيها لتدريس العلم وتلقين أوراد الطريقة القادرية. كما اشتغل بالتدريس فيها عدّة علماء ، نذكر منهم: الشيخ عبد القادر المشرفي، والشيخ محمد المشرفي[1]. بالإضافة إلى زاوية الشيخ بن قندوز في غليزان، والتي كان يدرس بها حوالي أربعمائة (400) طالب، وقد تخرج على يديه الكثير من العلماء[2]. وزاوية جبل بن راشد، والتي كان لها دور رائد في العلم في الريف، وقد تخرج منها كثير من العلماء والفقهاء[3]. وقد اشتهرت تلمسان هي الأخرى بزواياها وأضرحتها؛ حيث قدر عددها في أواخر العهد العثماني بأكثر من ثلاثين (30) زاوية، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر: زاوية سيدي الذِّيب، وزاوية سيدي بومدين، وزاوية محمد السنوسي، وزاوية أحمد الغماري[4].

رابعا–المدارس:

عرفت الجزائر في العهد العثماني عدّة مدارس حظيت بشهرة كبيرة، فكانت خمس منها بتلمسان حسنة التصميم، مزدانة بزخارف الفسيفساء، ووُجد في بجاية عدد هام من المدارس، وفي قسنطينة مدرستان [5].

وعن المدارس في مدينة الجزائر كتب ويليام شالر قائلا: «ومع ذلك فإن مدينة الجزائر تملك كثيرا من المدارس العادية، التي يتردد عليها الأطفال ابتداء من سن الخامسة والسادسة فصاعدا؛ حيث يتعلمون القراءة والكتابة... والبنات يتعلمن في مدارس من نفس النوع تشرف على إدارتها نساء»[6].

---

(1) فوزية لزغم: **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي925–1246هـ/1520–1830م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران،1434–1435هـ /2013/ 2014م، ص–ص386–387.

(2) أبو راس الجزائري: المصدر السابق،ص284.

(3) أبو راس الناصري : **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، مخطوط رقم 1632، المكتبة الوطنية الجزائرية، ورقة ص105.

(4)**أبو القاسم سعد الله**: **المرجع السابق**، ج1، ص265.حميد آيت حبوش: "**واقع التعليم في الجزائر أواخر العهد العثماني**، في مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، ديسمبر 2013م،مج4، ع7،ص09.

(5) مسعود العيد: **حركة التعليم في الجزائر في العهد العثماني**، في مجلة سرتا، ع3،السنة الثانية، قسنطينة، ماي1980،ص85.

(6)وليام شالر: **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816–1830م)**،تر وتع وتق: اسماعيل العربي،ش.و.ن.ت،الجزائر1982م،ص82.

ويُستشف من كلامه انتشار المدارس التي كانت تقدّم تعليما عاليا، بفعل توفر نخبة من العلماء المدرسين الذين تصدوا للعملية التعليمية فيها.

وفي الغرب الجزائري، نجد مدرسة مازونة ذات الشهرة المغاربية، والتي شيّدت في نهاية القرن السادس عشر الميلادي من قبل الشيخ محمد بن الشريف الأندلسي [1]. وكانت تقارن أيامها حسب بعض المؤرخين بالمعاهد العليا في فاس، وتونس ومصر، نظرا لأساتذتها وعلمائها الذين ذاع صيتهم في المغرب والمشرق[2].

ومن أشهر المدارس في قسنطينة، مدرسة زاوية بيت الفكون، التي يعود تأسيسها إلى العهد الحفصي[3]،مدرسة سيدي الكتاني التي بناها باي قسنطينة صالح باي[4] (ت.1206هـ/1792م) سنة 1189هـ/1775م بالقرب من مسجد سيدي الكتاني،مدرسة سيدي لخضر، التي أمر هو الآخر بنائها سنة 1204هـ/1789م، بالقرب من مسجد سيدي لخضر [5].

وتجدر الإشارة إلى أن المدارس كانت تُقدّم منحاً للطلبة من الأوقاف التي تسيّر حاجات المدرسة ومتطلباتها، وتوفر لهم الإقامة طيلة فترة التكوين، مما سمح برفع عدد الطلبة الملتحقين بالمؤسسات التعليمية التي تتولى تقديم منح وتتكفل بحاجات الطلبة[6].

---

(1)Moulay Belhamissi : Mazouna, **une petite ville, une langue histoire**, Alger, SNED, 1982 ,p49.

ينظر أيضا: فتيحة الواليش: **الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18م**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 1994م، ص 169. حنيفي هلايلي: **الموريسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، جامعة وهران، السنة الجامعية 1999-2000م،ص199.

(2)ناصر الدين سعيدوني: **عصر الأمير عبد القادر**،ط1، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت،2000م، ص133.

(3)فوزية لزغم: المرجع السابق، ص397.

(4)فاطمة الزهراء قشي: **قسنطينة في عهد صالح باي البايات**، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة 2005م.

(5)أوجين فايسات: **تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي1792-1873م**،تر صالح نور، تق الشيخ عبد الرحمن شيبان، ط1، منشورات قرطبة ، الجزائر 1432هـ /2010م،ص49،47.

(6)أبو القاسم سعد الله: "**بعض التحولات في مسيرة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830**"، في مجلة بحوث المؤتمر الدولي حول العلم والمعرفة في العالم العثماني،اسطنبول،2000م،ج1،ص102 وما يليها.

خامسا– خزائن الكتب والمكتبات:

ساهمت خزائن الكتب والمكتبات في تنمية الروح العقلية والثقافية للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، وانتشرت في مختلف المؤسسات التعليمية الثقافية، وتنوَّعت محتوياتُها[1].

وكان القادمون من اسطنبول نحو الجزائر – وهم في الغالب – من القضاة والدراويش المصاحبينَ للجُند وبعضِ العلماءِ، يجلبون معهم مكتباتهم الخاصَّة التي كانت تحوي الكتبَ والرَّسائلَ والإجازاتِ، أو ينقلون جزء بسيطا منها فقط. وهذا ينطبق على بقية بلاد المغرب، عندما كان علماء الجزائر يذهبون في رحلاتٍ إلى حواضرها العلمية المختلفة فيجلبون معهم الكتب، أو العكس[2].

ومن أهم خزائن الكتب في الجزائر، نذكر: خزانة الجامع الكبير بمدينة الجزائر، وخزانة المدرسة الكتانية التي أسّسها صالح باي بقسنطينة، ومكتبة المدرسة المحمدية التي أنشأها الباي محمد الكبير في معسكر[3]، ومكتبة الشيخ التازي بوهران، ومكتبة سيدي حمودة التي تملكها عائلة آل الفكون بقسنطينة. كما اشتهرت بعض الزوايا بخزائنها، مثل خزانة زاوية الشيخ التازي بوهران التي وجدت قبل العهد العثماني، وزاوية القيطنة التي ساهمت في تثقيف الأمير عبد القادر،بالإضافة إلى خزائن المدارس، مثل خزانة مدرسة مازونة [4].

وهناك بعض الخزائن للكتب والمخطوطات في الدواخل الريفية المتفرقة في أنحاء البلاد، كمكتبات وادي مزاب، ومن أشهرها مكتبة عائلة الشيخ عبد العزيز الثميني(**ت. 1223هـ/1808م**) بقصر بني يزقن . كما كان إقليم تْوَاتْ مركزا هاما لحركة الكتاب في الجنوب الغربي للجزائر ، وكذلك كان الحال في مكتبات زواوة وبجاية وورقلة وغيرها. ووفرة الكتب في الجزائر حتى في المناطق النائية فيها، يدل دلالة واضحة على أن الإنسان الذي حافظ على كل ذلك القدر من المكتبات كان على درجة كبيرة من التحضر.

سادسا- دور الأوقاف في تمويل المؤسسات الثقافية:

يعود ظهور الأوقاف في الجزائر إلى ما قبل العهد العثماني، غير أنَّ أعدادها كثرت خلال تلك

(1)أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق،ج1،ص–ص289–290.

(2)نفسه،ج1،ص– ص288–289.

(3)نفسه.

(4)نفسه،ج1، ص– ص296–297.

الفترة مع ازدياد نفوذ الطرق الصوفية والزوايا وتعمّق الروح الدينية لدى السكان، الذين رأوا في تحبيس أملاكهم حلاً ناجعًا للهروب من الظروف التي كانت تعيشها البلاد آنذاك ، في ظل الكوارث الطبيعية والحملات الصليبية الأوروبية على العديد من السواحل الجزائرية. كما أن العثمانيّين وجدوا أن تحبيس أملاكهم عاملٌ يقرّبهم من السكان والمرابطين وشيوخ الزوايا[1].

ويسهر على تسيير شؤون مؤسسة الأوقاف الوكيل(جمع الوكلاء) أو الناظر، وهو المشرف الرئيسي على الأوقاف، بحيث يُعينهم الباشا أو المفتي، ويدعون الوكلاء أو النظار[2]. نذكر منهم على سبيل المثال وكلاء الحرمين الشريفين بمدينة الجزائر: السيد مصطفى بن الطيب بن حمو: 1217هـ/ (1802-1803م)، والحاج ابراهيم خوجة مصرالي: 1215- 1220هـ/ 1801-1806م[3].

أ-أنواع الأوقاف (الأحباس) في الجزائر خلال العهد العثماني:

تنوعت الأوقاف في الجزائر العثمانية ، ويمكن تصنيفها ابتداء إلى صنفين: الأحباس الخيرية التي تعود فوائدها للمؤسسات الدينية ولعامة المسلمين، والأحباس الأهلية (الفردية) التي تقتصر على أفراد المحسن وأحفاده[4]. وقد ورد في السياق ما أوقفه باي قسنطينة صالح باي على عائلته، وهو كالآتي:" حبس جميع الأراضي المعروفة بالمغارس على نفسه مدة حياته ثم بعده يكون ذلك حبساً على ولده السيد محمد وأختيه وهما أم هاني وآمنة"[5].

ونتج عن هذا التنوع في الوقف، تباين في نظرة كل من المذهب الحنفي والمذهب المالكي إلى الهدف والنية من صرف الحبس، فالمذهب المالكي الذي يتمسك به غالبية الجزائريين كان يرى ضرورة صرف الحبس على المصلحة العامة التي تحبس من أجلها مباشرة بدون قيد أو إرجاع أو تردد، بينما كان

---

(1)ناصر الدين سعيدوني: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني**، م.و.ك، الجزائر 1985م،ص -ص152-153.
ناصر الدين سعيدوني : **موظفو مؤسسة الأوقاف في أواخر العهد العثماني من خلال وثائق الأرشيف الجزائري**، من الحياة الفكرية في الولايات العربية عبد الجليل التميمي،زغوان،تونس1990م، ص- ص185-186.

(2)مصطفى بن حموش:المدينة والسلطة في الاسلام نموذج الجزائر في العهد العثماني،ط1،دار البشائر،دمشق2006م، ص-ص116-117.

(3) أ. و .ج، علبة 34، رقم الوثيقة (71) رقم 104.

(4) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع نفسه، ج1، ص227 وما يليها. مصطفى بن حموش : المدينة والسلطة...، المرجع السابق، ص119.

(5) فاطمة الزهراء قشي: **سجل صالح باي للأوقاف، 1185-1207 هـ/ 1771-1792م**، تصدير: عبد الجليل التميمي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر2009م، ص53.

المذهب الحنفي الذي كانت تنتسب إليه الطائفة التركية وجماعة الكراغلة وبعض الحضر بالمدن الكبرى في الجزائر، يسمح بجواز انتفاع الموقوف وعقبه بما حبسه من وقف؛ بحيث لا يعود الوقف إلى الغاية التي حبس من أجلها، إلا بعد انتفاع الورثة المنصوص عليهم في وثيقة الحبس[1].

ب-أوقاف الحرمين الشريفين (مكة والمدينة): تُعد هذه المؤسسة من أهم المؤسسات الوقفية في الجزائر، بحيث كانت تُشرف على هبات المجتمع الجزائري لفقراء مكة والمدينة، وتُرفق الصُّرة[2] مع ركب الحج الجزائري[3]. ففي مدينة الجزائر تضمّنت الوثيقة 100 (38ف) المؤرخة في 1219هـ/1805م رسم تحبيس جميع الجنان بفحص بوزريعة على أوقاف الحرمين الشريفين بإشراف المجلس العلمي[4]. أما الوثيقة 12 (110ف) المحررة في 1217هـ/ 1803م، فاشتملت على رسم تحبيس جنة بزغارة على الحرمين الشريفين بإشراف القاضي[5]. وأما الوثيقة الأخيرة71 (104ف) فتتضمن رسم تحبيس جنان المدعو مصطفى خوجة بإشراف المحكمة الشرعية[6].

أما في خارج مدينة الجزائر فالوثيقة رقم 148 (120ف)، تتضمن رسم تحبيس حوش ابن عجول بالتيطري لفائدة الحرمين الشريفين سنة 1217هـ/1803م. أما الوثيقة رقم 142 فتتضمن رسم تحبيس أرض بالمدية لصالح فقراء الحرمين الشريفين بإشراف وكيل الحرمين الشريفين[7].

ولذلك يمكن القول بأن أوقاف مؤسسة الحرمين الشريفين شكّلت أغلب الأوقاف الخيرية، وذلك راجع للمكانة السامية، التي خصّ بها سكان الجزائر البقاع المقدسة [8].

---

(1)ناصر الدين سعيدوني: **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة**،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2001م، ص230.

(2) يطلق مصطلح الصُّرة على المقدار الذي يجمع من المال من مداخيل أوقاف الحرمين الشريفين (مكة والمدينة المنورة)، بحيث يرسل كل عام مع ركب الحج ليوزّع على فقراء الحرمين الشريفين. ينظر: أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف ...،المرجع السابق،ص145 ومايليها. أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج 04 ، ص .40

(3) خليفة حماش: **الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث،قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية1427هـ/2006م، ص76.

(4) أ .و. ج: **وثائق المحاكم الشرعية**، علبة 54، رقم 100- (38ف).

(5) أ. و. ج: **وثائق المحاكم الشرعية**، علبة 47/2، رقم 12- (110ف).

(6) أ. و .ج: **وثائق المحاكم الشرعية**، علبة 34، رقم 71- (104ف).

(7) أ. و. ج: **وثائق المحاكم الشرعية**، علبة 34، رقم 142- (33ف).

(8) ناصر الدين سعيدوني: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني**، م.و.ك، الجزائر 1985م،ص،ص 156،158.

ج- مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم:

تحتل هذه المؤسسة مكانة خاصة، من حيث الأهمية وعدد الأوقاف. وقد وجد في مدينة الجزائر 89 مسجداً خاصاً بأتباع المذهب المالكي[1]. وقد كثرت هذه الأوقاف بكثرة عدد المساجد المالكية والحنفية في البلاد، وزادت أعدادها عن الخمسمائة والخمسينَ(550) وقفًا. على أن المشرف عليها هو المفتي المالكي، باعتباره الوكيل الأول و كان مقره الجامع الأعظم[2].

د- مؤسسة أوقاف سُبل الخيرات:

يعود تأسيسها حسب بعض المصادر إلى سنة 999هـ/1591م بأمر من شعبان خوجة. وتحتل المكانة الثالثة بعد كل من مؤسسة الحرمين والجامع الأعظم. وتكمن مهمتها في إدارة المساجد الحنفيَّة بمدينة الجزائر ودفع أجور المقيمين. أما المشرف عليها فهو المفتي الحنفي. وقد تجاوز عددها الثلاثمائةَ وواحداً وثلاثينَ(331) وقفًا[3].وكان لكل من هذه المساجد أوقافه الخاصّة به.

هـ-مؤسسة أوقاف فقراء الأندلس:

أُسّست هذه المؤسسة عام991هـ/ 1584م، وهي تحتل المرتبة الرابعة من حيث الأهمية والمكانة بعد أوقاف الحرمين الشريفين، والجامع الأعظم، وسبل الخيرات[4]. وكان الهدف من تأسيس هذه الأوقاف هو تخفيف معاناة إخوانهم الذين فقدوا كل ما لديهم بعد أن تمّ طردهم من الأندلس. كما واجهتهم صعوبات أخرى، منها التهديد الإسباني للمدن الجزائرية الساحلية، واعتداءات البدو بالمدن الداخلية. وقد أدّى اختلاف ظروف معيشة هؤلاء عن ظروف عيش الجزائريين، إلى شعورهم بالعزلة، وبالتالي ابتعادهم ولمدة طويلة عن باقي فئات المجتمع الجزائري الأخرى. ولا ننسى أيضا أن تعامل بعض العائلات الأندلسية مع الحكام العثمانيين أكسبها بعض النفوذ والثروات الطائلة؛ بفعل ممارسة التجارة والصناعة، وتولي بعض المناصب الإدارية والعلمية والدينية. ولذلك سارع أفراد هذه العائلات إلى تخصيص أوقافٍ للإنفاق على الفقراء من أبناء جلدتهم، حتى يحافظوا على مكانتهم أمام بقية أفراد

(1) Albert Devoulx: **Notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieusc d'Alger**, in, R.A, 1859-1860, T 04, p28.

(2) ناصر الدين سعيدوني: **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة**،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2001م ،ص158.

(3) نفسه،ص-ص158-159.

(4) نفسه،ص241. ومحمد زاهي: "**مكانة مؤسسة أوقاف الأندلس بمدينة الجزائر العثمانية على ضوء وثائق المحاكم الشرعية 1520-1830م**"، في مجلة الخلدونية، 2015م،ع3،ص160.

المجتمع الجزائرية، وليثبتوا للسلطة العثمانية أنَّهم حلفاؤها في صراعها مع الإسبان، وفي محاولتها فرض السيطرة على البلاد[1].

و-أوقاف الجند والثكنات والمرافق العامة:

كان هناك عدد من الأوقاف، سواء داخل مدينة الجزائر أو خارجها، بحيث يُخصّص ريعها للإنفاق على المرافق العامة، كالطرق والآبار والعيون والسواقي والقنوات. وقد خُصِّصَت الكثير من هذه الأوقاف للإنفاق على المعوزين من الجُند وصيانة بعض الثكنات والحصون والأبراج[2]، وعُيّن لكل مصلحة من هذه المرافق وكيل يرعى شؤونها، مثل وكيل العيون والسواقي.

وعلى العموم، فقد تميّزت مؤسسة الأوقاف الإسلامية في الجزائر العثمانية بكثرتها وانتشارها في ربوع الوطن، خاصة في المدن الكبرى، مثل الجزائر وتلمسان وقسنطينة والبليدة والمدية ومعسكر ووهران، كما تعدى دورها من دعم الحياة العلمية، إلى دعم مختلف الهياكل ذات الخدمة الاجتماعية، ممّا أسهم في تنمية روح التضامن الاجتماعي، وتقوية الروابط بين مختلف الفئات والطبقات، وخاصة الأوقاف ذات الطابع الخيري، كوقف العيون ومحلات لإطعام الفقراء وعابري السبيل، ومساكن لإيواء ورعاية الأيتام، وأوقاف لصيانة الطرقات والمرافق العامة، وتوفير موارد مالية، مما ساعد على التقليل من البطالة والتخفيف من معاناة الفئات المعوزة.

ومجمل القول فإن المؤسسات الوقفية بالجزائر تعتبر أحد العوامل المتحكّمة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويتجلى ذلك من خلال ماتوفره من مصادر الدخل وما تساهم به من نفقات وما تضمنه من وظائف وخدمات.

(1)ناصر الدين سعيدوني: **دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي في الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1424هـ/ 2003م ، ص77.

(2)محمد بوشنافي: "**أوقاف الموظفين والجنود بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني**"، في المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية والمتوسطية، ع01، 2015،ص284.

المبحث الثالث–المؤسسات الثقافية في تونس:

أدّى دخول الأتراك العثمانيين إلى البلاد التونسية في النصف الثاني من القرن السادس عشر للميلاد إلى وضع حد فاصل لحالة الفوضى السياسية التي كانت سائدة آنذاك في البلاد، إذ بدأت معهم مرحلة جديدة من الاستقرار السياسي أنتجت نهضة اقتصاديَّة، كان لها تأثيرها المباشر على الحياة العلمية والثقافية[1]. كما كان للشخصيات العلمية التي وفدت سواء من المشرق أو الأندلس أو بقية بلدان المغرب دور مهم في تنشيط الحياة العلمية بما حملوه معهم من معارفَ ومؤلفاتٍ ضمَّتها خزائنُ الكتبِ المتعددةُ في البلاد.

ولا يجب أن نغفل جهود بعض الدايات والبايات في ذلك؛ حيث أنهم بنوا المؤسساتِ الدينيَّةَ التي غدت مراكز للإشعاع العلمي، على الرغم من أنها شُيِّدت خدمة للمذهب الحنفي[2]. ويمكن الحديث عن أهم المؤسسات الثقافية في تونس العثمانية من خلال ما يأتي:

أولا–المساجد:

بدأ تشييد المساجد في تونس مع مجيء الفتح الإسلامي إلى المنطقة، وأخذت أعدادها تتزايد بتعاقب الدول الإسلامية على تونس. وبعد مجيء الأتراك العثمانيين أيضا قاموا ببناء مساجد جديدة، ولكنهم في المقابل لم يهملوا المساجد، التي وجدت قبلهم بل رعوها واهتموا بها.

ولقد اهتم الأتراك العثمانيون ببناء المساجد والجوامع، وخاصة أنه لم يكن في تونس جوامع حنفية، رغم أنهم حاولوا في البداية جعل جامع الزيتونة خاصا بهم، إلا أنهم عدلوا عن ذلك ليتحولوا إلى جامع القصر قرب باب المنارة، الذي كان مالكيا لكن تعرض جزء منه للخراب نتيجة الاحتلال الإسباني فرمموه واتخذوه جامعا لهم. ثم قام "يوسف داي" بإنشاء جامع حنفي يتوسط جامع القصبة وجامع الزيتونة، أما في عهد "حمودة باشا المرادي" قام ببناء جامعه بجانب ضريح الشيخ "أحمد بن عروس" (1661م / 1071هـ) [3].

---

(1)أحمد الطويلي: **تاريخ مدينة تونس الثقافي والحضاري من الفتح إلى أواخر القرن التاسع عشر**، ط1، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس 2002م،ص60.و محمد خير فارس: المرجع السابق،ص109.

(2) أحمد الطويلي:المرجع نفسه.

(3) حياة الماجري: **من تعليم الصبيان إلى التعليم الابتدائي في مدينة تونس في العهد العثماني**، دار المناهل، تونس 2013م، ص 45.

أ–مساجد وجوامع مدينة تونس:

وصف الحسن الوزان جوامع هذه المدينة، بقوله:«...ولمدينة تونس جامع كبير في غاية الجمال والسعة كثير المستخدمين عظيم الموارد، وجوامع أخرى في المدينة وفي الأرباض أقل أهمية من الجامع الكبير..."[1].بينما يضيف محمد بيرم عددا آخر من المساجد التي بنيت في الفترات اللاحقة، وهي المساجد الحنفية بقوله: «...وتشتمل الحاضرة على سبعة جوامع خطب للحنفية، وأعظمها جامع محمد باي تجاه زاوية سيدي محرز بن خلف وبقية المساجد والجوامع البالغة نحو ثلاثمائة كلها مالكية وأعظمها جامع الزيتونة» [2].

وقبل بناء المساجد الحنفية، قام الأتراك العثمانيون بترميم الجامع الموحدي بالقصبة سنة 992 هـ/ 1584م. كما رمّموا جامع بني خرسان والذي كان يُعرف بجامع القصر سنة 1008هـ/ 1599م. وأدخل العثمانيون بعض العناصرِ الجديدةِ على هذين المعلمين خلال العهدين المرادي (النصف الثاني من القرن الحاديّ عشر للهجرة/ السابع عشر للميلاد) و الحسيني (القرن الثاني عشر للهجرة/ الثامن عشر للميلاد والقرن الثالث عشر للهجرة/ التاسع عشر للميلاد)؛ حيث أضيفت إليها مدارس، وقبر المؤسس والسبيل(الحبس) في آن واحد [3].

1–جامع يوسف داي:

شيَّده يوسف داي[4] – أحد أبرز دايات الأسرة المرادية بتونس– بأعلى سوق التركي في رمضان سنة 1021هـ/1612م، وعيَّن به أوَّل خطيبٍ وهو المفتي الشيخ رمضان أفندي، وأوَّل إمام به كان العالم

(1)المصدر السابق،ج2،ص76.

(2)محمد بيرم الخامس: المصدر السابق، مج4، ص346.

(3)محمد الباجي بن مامي: "**جوامع مدينة تونس في العهد العثماني دراسة تاريخية وفنية ومعمارية**"، في المجلة العلمية لجمعية الآثاريين العرب، الاتحاد العام للآثاريين العرب، مصر جانفي 2000م، ع1، ص116.

(4) تولى عرش البلاد بعد وفاة عثمان داي يوم 13 رجب 1019هـ/30 سبتمبر 1610م. وهو أحد عساكر طرابلس الغرب من الأتراك العثمانيين، وقد استقر بتونس وأخذ يترقى في المناصب، حيث أعجب به عثمان داي وقرّبه منه ووثق به إلى درجة أنه عزم على تزويجه ابنته. ولما أحس عثمان داي بدنو أجله نصح بأن يُوَلَّى من بعده. وبذلك تولى منصب الداي قبل أن يعقد قرانه بابنة الداي المتوفَّى. وهو ما لم يحصل إذ تزوج بعدها من ابنة أحد الأعلاج بتدبير من علي ثابت القريب من يوسف داي. بلغت إيالة تونس في عهد هذا الداي رخاء كبيراً بفعل الصرامة والتنظيم اللذين أبداهما في الحكم. وكانت وفاته يوم 23 رجب 1047هـ/30 نوفمبر 1652م. وتُشير بعض المصادر المحلية أنه توفي سنة 1046هـ/1637م وخلفه في الحكم أسطا مراد(1046هـ/1637-1049هـ/1640). ينظر: ألفونس روسو: **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**، نقلها عن الفرنسية إلى العربية وضبطها=

الشيخ أحمد أفندي[1].وأَلحق به وحداتٍ أخرى عديدةً ومتنوّعةً، من حيث الأغراض والعمارة تُكونُ كلُّها مجمَّعًا مندمجًا[2].

وبذلك يُعتَبر جامعُ يوسف داي المثالَ، الذي شُيِّدَت على نمطه كل الجوامع الكبرى، التي بناها فيما بعد المراديُّون ثمَّ الحسينيُّون بتونسَ، بل إننا نجد هذا المثال حتىَّ في مساجد القرمانليِّين في طرابلس[3].

2-جامع حمّودة باشا:

أسَّسه حمودة باشا[4]المرادي أحد أعظم البايات المراديّين سنة 1066 هـ/ 1655 م المعروف بمسجد سيدي ابن عروس[5]. وكان هذا المسجدُ على درجة كبيرة من الجمال دفعت ابن أبي دينار إلى القول بأنه«...في غاية الحسن والضَّخامة، بحيث لم يُرَ في المغرب أسرُّ منه...»[6] وأوقف عليه أحباسا جارية[7].

3-جامع الزيتونة:

يقع جامع الزيتونة العتيق في منتصف مدينة تونسَ القديمةَ. وقد أجمع كلُّ المؤرِّخينَ على التَّنويه بمكانته؛ إذ أنهم قالوا فيه ما نصّه:«.. ما ضاق صدر مهمومٍ ودخله إلَّا انفرج وفتَّحت له بلطيف عنايته أبوابُ الفرج...»[8].

=وقدّم لها: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامة قار يونس، بنغازي،(د.ت)، ص،ص119،115.و حسن حسني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، تق وتح: حمّادي السّاحلي، دار الجنوب للنشر، تونس 2015م ، ص116.

(1)أحمد بن أبي الضياف: المصدر السابق،ج2،ص37.

(2)أحمد السعداوي: **تونس عبر التاريخ؛ من العهد العربي الإسلامي إلى حركات الإصلاح**، جزآن، (د.ت) ،ج2،ص -ص 253-254.

(3)نفسه.

(4)هو حمودة باشا ابن مراد الأول وثاني البايات المراديين. اسمه الأصلي محمد وكنيته أبو عبد الله ، ولفظ حمودة تصغير في مقام تلطيف لاسم محمد ،وليس اسمه تصغيرا لكنيته كما تبادر لبعض المؤرخين الإفرنج فحسبوه رجلا آخر، ولذلك فأبو عبد الله محمد باشا هو نفسه حمودة باشا ابن مراد الأول. تولى الحكم بين عامي1041هـ/ 1631م و1077هـ/1666م وهي نفس السنة التي توفي فيها. ينظر: محمد ابن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**،تق وتح: حمّادي السّاحلي، والجيلاني بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986م، ص 53.

(5)شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م**،تع: محمد مزالي، والبشير بن سلامة، جزآن، الدار التونسية للنشر، تونس 1985م ،ج2،ص356.

(6)ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص240.

(7)حسَن حُسني عبد الوهاب: المرجع السابق،ص119.

(8)محمد بن الخوجة: **ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان**، تح. وتق: الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1395هـ/1945م،ص45.

ويعتبر جامع الزيتونة من أشهر مراكز التعليم في تونس والعالم الإسلامي، وقد اشتهر بمن درّس به من أعلام. وساهم الحسينيون في إعادة الاعتبار للجامع برفع عدد المدرسين به، ولم يكن ينافسه سوى جامع يوسف صاحب الطابع [1] .

أمّا عن العلوم التي كانت تُدرّس في جامع الزيتونة، فتشمل العلوم الدينية كالتفسير وعلوم القرآن ، والحديث، وعلم الكلام، والفقه الحنفي والمالكي، والفرائض، والتصوف، والميقات، والنحو والصرف، والمعاني والبيان والبديع، واللغة والآداب، والسير والتاريخ، والرسم والخط، والعروض والقوافي، والمنطق، وآداب البحث، والحساب والهندسة والمساحة والهيئة[2]. وكان جامع الزَّيتونة، منذ منتصف القرن الثالث عشر للهجرة/ التاسع عشر للميلاد بمثابة المؤسسة العلمية، التي تبثُّ العلومَ بنوعيها النقليَّةَ والعقليَّةَ ولها قوانينها ونواميسها وعاداتها وتقاليدها ومناهجها وإجازاتها، وتشدّ إليها الرحال ويؤمُّها الطَّلبةُ من مختلف أنحاء بلاد المغرب طلبا للعلم أو للاستزادة منه في غالب الأزمنة والأوقات[3].

وقد قال الورثيلاني عن جامع الزيتونة حينما نزل بمدينة تونس بعد عودته من الحج:«...فإن الجامع المذكور قد انتشرت عليه الأنوار، وانبسطت عليه الأضواء والمعارف والعلوم والأذكار، كاد أن يكون جامعا للفنون ومحتويا للعلوم فما أحسنه من جامع أكرم به الطلبة الباحثين فشمس أنوار الفهوم فيه مشرقة، وفوائده وعوائده محققة مدققة، فهو جنّة للعارفين وخلوة للمتعبدين الناسكين، ومزارة للراغبين المشتاقين...»[4]. ويُستشف من ذلك جوانب من الأحوال الثقافية السائدة في مدينة تونس آنذاك، والمكانة العلمية والدينية التي كان يحظى بها هذا الجامع العتيق، الذي أصبح قبلة لكل المشايخ وطلبة العلم من مختلف أرجاء بلاد المغارب.

وبعد عدّة سنواتٍ جُعِلَ التَّعليمُ بالجوامعِ والمدارسِ الحنفيَّةِ. ومع ذلك ظلَّت برامجُ التَّعليمِ بجامع الزَّيتونة غير مضبوطةٍ وأساتذتُه غير مرتَّبين على أساس كفاءاتهم العلمية. كما أن مرتَّبَاتِهم لم تكن محدَّدةً ولا منتظمةً، والموادَ التي يدرسونها غير مبرمجةٍ، وإنما يختارها المدرّسونَ على هواهم[5].

---

(1)محمد العزيز بن عاشور: **جامع الزيتونة المعلم ورجاله**، (ب ط)، دار سراس للنشر ،تونس 1991م، ص 93.

(2)محمد بن الخوجة: صفحات ...،المرجع السابق،ص296.

(3)رشاد الإمام: **الفكر الإصلاحي في تونس في القرن التاسع عشر إلى صدور قانون عهد الأمان**،ط1،دار سحنون للطباعة والنشر والتوزيع، تونس 2010م،ص183.

(4)الحسين الورثيلاني: المصدر السابق،ج2،ص763.

(5)نفسه.

ب-جوامع مدينة القيروان:

ونالت هي الأخرى حظّها الأوفر من العناية ببناء المساجد، ومن أهمِّها: جامع عقبة بن نافع (الجامع الأعظم)، الذي قال عنه الحسن الوزان:«...كما شيّد بها جامعا عظيما عجيبا قائما على أعمدة بهيجة من المرمر، اثنان منها قرب المحراب، ارتفاعهما لا يتصوره العقل، ولونهما أحمر قان مع نقط بيضاء كأنه رخام سماقي»[1]. وتحدّث عن هذا الجامع الأعظم أيضا الشيخ أبو راس الناصري المعسكري الجزائري(ت.1238هـ/1823م) في كتابه (نبأ الإيوان) بقوله:« ودخلت بجامعها الأعظم(17شعبان عام 1214هـ/13يناير1800م) وأنا ظمآن وتعبان، فوجدت من عجائب الدنيا مرفوعا على سواري من رخام ومرمر على عدد أيام العام، غير ما في الصحن والصومعة...ثم دخلت المقصورة التي كانت أمراء إفريقية تُصلي فيها الجمعة...وهي عن يمين المحراب» [2].وقد قدّم لنا الشيخ المذكور وصفاً دقيقاً تضمّن العديد من المعطيات الوصفية لعمارة الجامع التي تُفيد الباحث في تاريخ وتراث المعالم الدينية، ولم يغفل أيضاً ذكر المشايخ الذي تعاقبوا على مشيخة الجامع الأعظم.

وهناك جامع آخر يُدعى "جامع الباي" الذي بناه محمد باي المرادي لأتباع المذهب الحنفي، فكان هؤلاء يؤدُّون فيه الصَّلواتِ الخمس والجمعةَ والعيدينِ [3]. وقد بُنيَ هذا المسجدُ فوق مجموعةٍ من الأسواق، التي كانت قد أوقفت عليه، والواقعة في قلب مدينة القيروان القديمة، ونظرا لكونه بني فوق أسطح المحلَّاتِ التجاريَّة، فهو بذلك يشرف على معظم المدينة[4]

ثانيا- الزوايا:

برز أغلب الزوايا في تونس خلال العهد الحفصي، ومنذ ذلك العصر ما انفكَّت الزَّوايا تشغلُ مكانةً هامَّةً في الحياة الدينية للبلاد. ولقد ضمَّت مدينةُ تونسَ لوحدها في منتصف القرن الثاني عشر للهجرة/الثامن عشر للميلاد، حوالي اثنتين وتسعين زاويةً، سبعة عشر منها داخل المدينة وأربعٌ وأربعون داخل ربض باب السُّويقةَ وواحدٌ وثلاثون داخل ربض باب الجزيرة[5]. ومن أشهرها زاوية سيدي محرز،

---

(1)المصدر السابق،ج2،ص88.

(2)أبو راس محمد بن أحمد الناصري المعسكري الجزائري: **نبأُ الإيوان بجمع الدّيوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان**، تق وتع: محمد الحبيب العلاني وسهيل الحبيّب ، قدّم له بالفرنسية محمد علي الحبيّب، ط1،منشورات مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، القيروان2012م، ص83 وما بعدها.

(3)حسَن حُسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص122. نجوى عثمان: **مساجد القيروان**، مطبعة دار عكرمة، دمشق،2000م، ص-ص165-166.

(4) نجوى عثمان: المرجع السابق ، ص166.

(5) أحمد السعداوي: تونس عبر التاريخ...، المرجع السابق،ج2،ص250.

وزاوية أبي الحسن الشاذلي، وزاوية ابن عروس، وزاوية قاسم الجليزي الأندلسي[1]. بالإضافة إلى زوايا أخرى في بعض الحواضر التونسية، نذكر منها الآتي[2]:

زاوية الزّمّيت قرب كاف الغراب بين باجة وتونس. وهي من مآثر السلطان أبي عمرو عثمان الحفصي (1488-1535-م) ،جعل فيها جامعا للصلاة، والزاوية العوانية التي بناها الأمير حسين باي الأوّل(1705-1735م) وضمّت ضريح محمد العواني الشريف النّسب (ت. 1110هـ/1698م)، زاوية سيدي أحمد بن عروس الهوّاري (ت. 868هـ/1463م) التي يقع مقرّها بنهج سيّدي بن عروس بمدينة تونس، وهي محاذية لجامع حمّودة باشا المرادي. وكان بناءُ هذه الزاوية في عام 838هـ/1434م ،زاوية سيّدي البشير الشريف (ت. 1242هـ/1826م)، التي بناها الأمير حسين الثاني بن محمود (1824-1835م) وزاوية سيدي الكلاعي نسبة للولي الصّالح محمد الكلاعي ،الذي كان من أبرز علماء جامع الزيتونة. وقد تمّ بناء هذه الزّاوية سنة896هـ/1491م.... [3].

وفي هذا السياق، يقول محمد بيرم الخامس:"... وفي الحاضرة زوايا كثيرةٌ، منها ما به ضريح ساداتٍ من الصَّالحين ؛كزاوية سيدي محرز بن خلف عماد البلدة، وزاوية سيدي علي بن زياد من كبار أصحاب مالكٍ بن أنسٍ، وزاوية سيدي أحمد بن عروس وزاوية سيدي منصور وغيرهم وتبلغ أزيد من مائتي زاوية..."[4].

وحدث أن تراجع دور الزوايا في عهد آخر الحكام المراديين ،غير أنَّ حسين بن علي أعاد النشاط إليها، وأحدث زوايا جديدة في القيروان في عام 1133هـ/1720-1721م، وفي صفاقس ونفطة وسوسة نسبها إلى الولي سيدي عبد القادر الجيلاني. كما اهتم بإصلاح الزوايا التي أنشأها محمد باي المرادي بتوزر وقفصة وباجة وقابس[5].وزاوية الولي الصالح سيدي بومخلوف بأعلى مدينة الكاف. هذا بالإضافة

---

(1)أحمد السعداوي: تونس عبر التاريخ...، المرجع نفسه.

(2)محمد حسن: المرجع السابق، ص 311 وما يليها. محمد الحبيب الهيلة: الزاوية **وأثرها في المجتمع القيرواني**، في المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، السنة 12، 1975، ع 40-43،ص ص 97،132. التليلي العجيلي: **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي في تونس(1881-1939م)**،منشورات كلية الآداب بمنوبة- *بتونس* 1992م، ص، ص40،53.

(3)محمد حسن: المرجع السابق. محمد الحبيب الهيلة: المرجع السابق، ص،ص 97،132. التليلي العجيلي: المرجع السابق، ص، ص40،53.

(4)محمد بيرم الخامس: المصدر السابق،ج4،ص347.

(5) أحمد عبد السلام: المرجع السابق، ص75.

إلى زوايا أخرى، مثل زاوية سيدي إبراهيم الجمنّي(ت.1134هـ/1722م) بجربة التي كانت مخصّصة لدراسة الفقه المالكي ممّا جعلها مقصد طلبة إقليم الساحل[1].

ثالثا– المدارس:

انتشرت المدارس في العديد من مدن البلاد التونسية، وقد تميّزت بمستواها العلمي وببرامجها الراقية، نظرا لحفاظها على ثوابت الأمة وتقاليدها، وكذا اهتمام الحكام بها ورعايتهم للقائمين عليها[2]. وتميّزت مدينة تونس بوجود العديد من المدارس وقد أدّت دورا مهماً طوال مئات السنين ، فكانت مركزا لتعليم وإيواء الطلبة من المذهبين المالكي والحنفي[3]. ومعروف أن الأندلسيين الذين نزحوا إلى تونس لم يكونوا في معظمهم أصحاب مهن وحرف فقط، وإنما كان منهم المثقفون أيضا، ولذلك أسّس هؤلاء المدارس، ومن بينها المدرسة الواقعة بالقرب من مقام محرز بن خلف سنة 1034هـ/1625م ،والتي تصدى للتدريس فيها الشيخ شعبان الأندلسي وبعد وفاته خلفه العالم النحوي أبو الربيع سليمان[4].

وبداية من عهد يوسف داي أُنشِئَت المدارسُ الجديدةُ، ولعل أوَّلها المدرسة التي بناها هذا الدَّاي وألحقها بمجمَّعهِ المعماريّ. وقام الحكَّامُ العثمانيون بتوظيف هذه المدارس المحدَثة أو المجدَّدة لنشر المذهب الحنفيّ؛ حيث عيَّنوا للتَّدريس بها شيوخاً من الحنفية استقدموهم من اسطنبولَ وطرابلس الغرب ومصر. وفي نفس الوقت تواصل سير المدارس المالكيَّة، بل إنَّ البايات ساهموا في إنشاء بعضها بدايةً من عهد مراد الثاني(1076هـ/1666–1085هـ/1675م) الذي بنى المدرسةَ المراديَّةَ وخصَّصها لطلبة المذهب المالكي. وخلال العهد الحسينيّ اشتهر مؤسسُ الدَّولة الحسينية حسينٌ بن عليٍّ وخَلَفُه علي باشا بولعهما بالتَّعمير والتَّشييد، وخاصة المدارس الدينية التعليمية[5].

1–المدرسة اليوسفية:

بناها يوسف داي بالقرب من جامعه بسوق البشامقية، وعيّن عليها الشيخ رمضان أفندي مدرسا، وكان قد عيّنه من قبل إماما في جامعه ، ولذلك اعتبر أول مدرّس بالمدرسة اليوسفية، وأول من أفتى

(1)حسين خوجة: المصدر السابق،ص–ص49–50.

(2) أحمد ابن أبي الضياف: المصدر السابق،ج2،ص125.أحمد السعداوي: تونس عبر التاريخ...، المرجع السابق،ج2،ص251.

(3) أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي :**الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، ط1 ، مطبعة الدولة التونسية ، تونس 1287هـ،ص320.

(4)أحمد الطويلي: المرجع السابق، ص 92.

(5)أحمد السعداوي: تونس عبر التاريخ...،المرجع نفسه. أحمد الطويلي: المرجع السابق، ص–ص 107- 108.

أفتى فيها بمذهب الإمام أبي حنيفة، فعمل على تدريس الطلاب على حد ما جاء في كتاب الدرر[1].

2-المدرسة الشّمّاعية:

أنشأها السلطان الحفصي أبو زكرياء يحي الأول (625هـ/1228-646هـ/1249م) [2]. وتعتبر أولى المدارس العلمية التي تأسّست في بلاد المغرب، ويعود تاريخ تأسيسها إلى عام 633هـ/1237م[3].ومن أشهر تلاميذها العلاّمة عبد الرحمان بن خلدون. ويذكر أن هذه المدرسة فقدت بريقها العلمي نتيجة الاحتلال الإسباني الذي أدّى إلى تراجع هذه المدرسة وغيرها من المدارس العتيقة في البلاد التونسية. وبعد إلحاق تونس بالدولة العثمانية، قام الأتراك العثمانيون بترميمها في عام 1057هـ/1647م[4].

3-المدرسة المرادية:

توجد هذه المدرسة بسوق القماش بمدينة تونس، وقد بناها الباي مراد الثاني سنة1085هـ/1674م. وتُعد أوّل مدرسةٍ بناها حاكم عثماني في البلاد التونسية مع تخصّصها في المذهب المالكي، ذلك أنه بعد مرور قرن من انضواء تونسَ تحت لواء الخلافة العثمانية جرت "المصالحة" بين المذهبين الحنفي والمالكي[5]. ويذكر ابن أبي دينار القيرواني أنها كانت تعرف بمدرسة التوبة، " لأنها كانت مسكنا للأجناد قبل بنائها ويقع فيها الفجور فغيّر اسمها الأول... وخصّص لها إمام ومدرس وعدّة بيوت للقاطنين بها، ومرتبات وأوقف عليها حوانيت"[6].

أمَّا مخطَّط بناء هذه المدرسةِ، فكان تقليديًّا؛ إذ يصل المرء عن طريق سقيفتين إلى صحنٍ مبلَّطٍ شبهِ مربَّعٍ تحيط به أكثرُ من عشرين غرفةً مخصَّصةً للطَّلبة، ومسجدٌ يمتدُ على الجهة الغربية. تتقدَّم المسجدَ والغرفَ على طابقين أروقةٌ تنتصب على أعمدةٍ منحوتةٍ تعلوها تيجانٌ حفصيَّةٌ. كما تحتوي

---

(1) أبو عبد الله محمد بن عثمان السنوسي:**مسامرات الظريف بحسن التعريف**،تح. وتع: محمد الشاذلي النّيفر،4 أجزاء،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1994م ،ج2،ص8. أحمد بن أبي الضياف: المصدر السابق، ج2، ص55.

(2) Lucien. Golvin **: La madrasa médiévale: architecture musulmane**, Aix-en-Provence, Paris, 1995 ,p175.

(3)أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الشماع: المصدر السابق، ص56، هامش رقم 3.

(4)محمد الباجي بن مامي: **مدارس مدينة تونس من العهد الحفصي إلى العهد الحسيني**، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، تونس 2006م، ص، ص 75،138.

(5) محمد بن عثمان السنوسي: المصدر السابق، ص 90. أحمد بن أبي الضياف: المصدر السابق، ج2،ص55.

(6) ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق، ص 235.

على طابقٍ علويٍّ وهذا أمرٌ نادرٌ في مدارس مدينة تونسَ. بالإضافة إلى استخدام البلاطات الخزفيَّةِ لتحلية السَّقائفِ والجدران المطلَّة على الصَّحنِ[1].

وكان ينعقد بهذه المدرسة ختم صحيح البخاري وبقية الأسانيد الستة ليلتا السابع عشر والسابع العشرين من شهر رمضان[2]. وقد خصّصها الباي مراد باي الثاني لتلاوة كتاب الله وإلقاء الدروس في شتى العلوم، وخصّص بها بيوتا لإقامة الطلبة، وأوقف عليها حبسا مهما. كما جعل لهذه المدرسة أيضا وقفا على سُكنى الطلبة الواردين عليها من الآفاق، والذين لم يكن لهم بمدينة تونس أهل ولا مسكن يؤوون إليه. ومن مشاهير أساتذتها السيد محمد زيتونة، الذي اختص بالمناظرة العلمية[3].

4- مدارس أخرى:

من أبرزها مدرسة سيدي علي النوري بصفاقس، ومدارس سوسة، والقيروان، والمهدية، ونابل، وقابس، وقفصة، وتوزر، والكاف، وباجة، وتستور، مدرسة بير الحجار ومدرسة القائد مراد بن عبد الله التي أُسِّست بحومة حوانيت عاشور [4]،ومدرسة حسين باي بنفطة التي بناها حسين بأي، وسمَّاها باسم العالم الشَّيخ سيدي عبد القادر الجيلاني، وأوقف عليها الكثير من الأوقاف، وخصَّص لكل المدرِّسين والعاملين بها والطَّلبة مرتَّباتٍ على حسب مراتبهم العلميَّة ودرجاتهم[5].وكل هذا مخصّص لطلبة المذهب المالكي. ومن الإنشاءات العلمية التي بناها حسين باي في مدينة تونس، المدرسة الحسينيّة ومدارس أخرى بسوسة والقيروان وصفاقس[6].

رابعا-خزائن الكتب والمكتبات:

سبقت الإشارة إلى القول، بأن الأحوال الثقافية في تونس خلال العهد الحفصي، كانت على مستوى من الازدهار، إلا أنه في أواخر هذه الفترة عرفت تدهورا كبيراً، بل حتى على مختلف الأصعدة في البلاد، وذلك بفعل احتلال الإسبان للمناطق الساحلية، وتخريبهم للكثير من المؤسسات الثقافية، وإتلاف محتويات خزائنها.

(1) أحمد السعداوي: تونس عبر التاريخ...،المرجع السابق، ج2، ص 251.

(2) ابن أبي دينا القيرواني: المصدر السابق، ص 298.

(3)حسَن حُسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص119.

(4) أحمد بن أبي الضياف: المصدر نفسه،ص98.

(5)حسين خوجة: المصدر السابق،ص141.

(6) حسَن حُسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص127.

وقد اهتم حكام تونس العثمانيون بالثقافة ولاسيما البايات الحسينيون، وعلى رأسهم الباي حسين بن علي(1116هـ/1705-1147هـ/1735م) الذي شرع في بناء المدارس ونسخ الكتب؛ لا سيَّما كتب الفقه التي كوَّن منها خزانةً معتبرةً وقفها على المحكمة الشَّرعيَّة بمدينة تونس[1].

وقد سار على نهجه حفيده علي بن محمد (1147هـ/1735-1169هـ/1756م)،الذي أرسل إلى الأستانة مفتي دولته الشَّيخَ حسين البارودي لاقتناء ما أمكنه من الكتب وأجملِها خطًّا وتنميقًا وتذهيبًا، وكان من بينها حواشي الكشَّاف، التي لم تكن موجودة قبل ذلك في تونس ووضعت بمسجد بيت الباشا بقصر باردو[2].كما أسَّس هذا الباي خزائن أخرى في المدارس مخصَّصةً للمعلِّمين والطلبةِ، غير أن الكثير من هذه الكتب فُقِدَ في أثناء النزاع ،الذي حصل بين علي باي وابني عمِّه محمَّدٍ الرشيد وعلي باي، اللذان تمكّنا من استرجاع عرش أبيهما بقوَّةٍ سنة 1169هـ/1755م. وقد قُدِّر عدد المجلدات في هذه الخزانة سنة 1230هـ/1814م حوالي ألفان وسبعمائة وستة وعشرون مجلدا(2726)[3].

وقد سار الوزراء على خُطى البايات أيضًا في تأسيس خزائن للمخطوطات و الكتب، من ذلك أنَّ يوسف صاحب الطَّابع قد ألحق بالجامع، الذي بناه بالحلفاوين خزانة زوّدها بأنفس الكتب في مختلف ميادين العلم، و كان الشيخ إبراهيم الرِّياحيّ من جملة من استفادوا من هذه الكتب[4].

ومن مؤسسات جامع الزيتونة مكتبة الصادقية، التي تعرف اصطلاحا بالمكتبة العبدلية. ويعود تأسيسها إلى أوائل المائة العاشرة على يد عبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعود .وتوجد بالرواق الشرقي للجامع[5].

إلى جانب ذلك، توجد المكتبة الأحمدية التي تضم نفائس كتب المشرق والمغرب. كما اشتملت على كتب الوزير حسين خوجة باشا مملوك. بالإضافة إلى كناشات شيخ الاسلام أحمد كريم وديوان شعره، وكذا في شرحه في الفقه الحنفي، وكذا كتاب الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي، والعديد من الكتب الأخرى للكثير من المؤلفين والعلماء، وأغلب محتويات هذه المكتبة مخطوطة باليد[6].

(1) أحمد عبد السلام: المرجع السابق، ص103.

(2) حَسن حُسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص127.

(3)محمد بن الخوجة: المرجع السابق، ص- ص299-300.

(4)نفسه،ص300.

(5) محمد بن الخوجة: المرجع نفسه،ص، ص294،306.

(6) محمد بن الخوجة : المرجع نفسه،ص، ص 303،305.

خامسا- دور الأوقاف في تمويل المؤسسات الثقافية.

كانت الأحباس منتشرة في مختلف أنحاء البلاد التونسية خلال العهد العثماني، سواء في الأرياف أو في المدن، وعملت على استمرار عمل المؤسسات التعليمية آنذاك، وفي حصول العاملين أو المتمدرسين فيها على دفع منحهم أو مستحقاتهم. ويمكن الحديث عن الأنواع التالية من الأوقاف في تونس:

أ–أحباس الحرمين الشريفين والحجيج: كانت هناك أحباس خاصة في دفاتر الأحباس التونسية، تسمى "أحباس الحرمين الشريفين" (مكة والمدينة)، وتضم عقارات وأراضي ومزارع ومتاجر في العديد من المدن التونسية خصّصها أصحابها ابتغاء الثواب والأجر من الله لصرف جميع مداخيلها حصراً على الحرمين الشريفين، بحيث تجمع أموالها وترسل إلى مستحقيها في مكة والمدينة كل سنة، أي في كل موسم الحج. ويُصرف جانب من هذه الأموال في تونس على الوافدين على البلاد من أهل مكة والمدينة، وعلى من يستقر منهم في تونس جرايات شهرية من أوقاف الحرمين. [1].

ب–أحباس وصدقات مختلفة: وهي أحباس وصدقات صغيرة الحجم ومحلية، ولكنها ذات بُعد حضاري وإنساني عميق، تهتم بنواح عديدة من شؤون الحياة، فتشمل الاعتناء بالحيوانات الأليفة، كالقطط والحمام والحيوانات الهرمة التي عجزت عن الرعي بنفسها وتُدعى البكمة[2].

ج–أحباس الأختام أو الأحزاب: وهي كثيرة؛ وتعني الحبس على من يقرأ القرآن الكريم أو الحديث ويختم السلكة (قراءة ستين حزبا) بالمساجد أو الأضرحة. ويدفع القائم على تنفيذ الحبس أجر القارئ. كما يعطى القُراء الخبز والفطائر ليلة الجمعة من رمضان، وهو ما كان معمولا به في جامع الشيخ سيدي بلَّحسن الكرَّاي(ت.1105هـ/1693م) بمدينة صفاقس[3].

د–حبس العصيدة في المولد النَّبويّ: أوقف بعضهم على زاوية الشِّيخ سيدي عبد المؤمن الواقعة بالقرب من درب العسَّال خارج باب سويقة؛ لتشتري بما يتحصل من استغلال الرِّيع المذكور قمحًا وطحينا،

(1) فتحي المرزوقي: **بعض المؤسسات الدينية ومكانتها الاقتصادية بتونس في القرن التاسع عشر**، شهادة الكفاءة في البحث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة التونسية، تونس، سبتمبر 1984م،ص20.

(2) الشيباني بنبلغيث: **فصول في تاريخ الأوقاف في تونس من منتصف القرن التاسع عشر إلى 1914م**، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس 2004م، ص23.

(3)نفسه.

ويصنع منه عصيدة في أيام موسم المولد النبوي الشريف، و عسل طيّب و زيت صاف، يصنع منه طعاما للفقراء والمساكين وغيرهم من الواردين على الزَّاوية المذكورة من زوَّار ومقيمين[1].

هـ-إطعام الهررة(القطط): وكان يُصرف ريعه على شراء أغذية للقطط، وغالبا مايكون من البقايا المكونة من الأحشاء[2].

وفي هذا الصدد يقول محمد السنوسي(ت.1900م):« ومن تقصى أحوال الأملاك التونسية، وطالع الكثير من صكوكها...،ورأى ما بقي من آثار الأحباس العامة التي اجتمعت بقيتها لإدارة جمعية الأوقاف، يمكن له أن يجزم بأن قسما عظيما من عقار المملكة (البلاد) جالت فيه يد الحبس في عصر من العصور، وذلك لما كان عليه الأهالي من الميل إلى تحبيس أملاكهم، إما لقصد إقامة وجه من البرّ، أو لإقامة مصلحة عامة، كالجوامع والمساجد والزوايا والمدارس والمكاتب والكتب والدروس والأحزاب والتّكايا للسكنى والإطعام والسّقايا والجسور وإعانة الحجّاج، وختان الصبيان ،ومداواة المرضى وإقامة الأسوار والحصون، إلى غير ذلك من الوجوه المرعية في سالف العصور، وهاته الأوقاف كانت تُسمى أوقافا عامة، لأن نفعها يرجع للعموم، وبهذه الأسباب (وغيرها) صار إلى الحبسية معظم العقار التونسي...»[3].

---

(1) الشيباني بنبلغيث: المرجع نفسه.

(2) نفسه.

(3)الشيباني بنبلغيث: **جمعية الأوقاف والاستعمار الفرنسي في تونس،1914 – 1943** م،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، تونس 2005م،ص 5 .

خلاصة الفصل:

ومما تقدّم يمكن القول:

– يُلاحظ كثرة المؤسّسات التعليمية في كل من الجزائر وتونس خلال العهد العثماني بمختلف أطوارها. وكان يرتادها العديد من الطلبة والأساتذة، على الرغم مما وجه لها من انتقادات حول مستوى التعليم ونوعيته. كما حرص بعض الحكام والموسرين على تأدية المؤسّسات الثقافية (التعليمية) لدورها من خلال إيجاد الموظفين وتوفير الموارد المالية لتأمين جميع المتطلبات. ولذلك كان الاهتمام بالأوقاف كبيرا. ولم يقتصر دور الأوقاف على تلبية متطلبات المساجد والمؤسّسات الدينية الأخرى، بل إن عائداتها وُجِّهت أيضاً للإنفاق على المؤسّسات التعليمية والمعلّمين.

– أدّت مؤسّسة الأوقاف دوراً أساسياً في دعم التعليم الديني، وفي إحياء التراث الثقافي واستمراريته، وبذلك قامت الثقافة العلمية بمختلف مؤسساتها على سواعد أفراد المجتمع الذين كان في اعتقادهم أن التعليم أساس الدين.

– كانت الكتاتيب المقر المخصّص لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم مبادئ القراءة والكتابة، وشيء من أصول الشريعة الإسلامية، مما لا يستغني عنه متعلم مهما كانت ثقافته .وهي من أقدم المؤسسات التعليمية والدينية بالبلدين ، وقد أدّت دوراً تعليمياً كبيراً ، فهي أول درجات السلم التعليمي؛ حيث كانت تتراوح أعمار الدارسين بها بين الخامسة والسادسة عند الالتحاق بالدراسة ، ويستمرون في الدراسة من أربع إلى خمس سنوات ، يتعلمون خلالها القراءة ، والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم على أيدي فقهاء ومعلمين تفرغوا لهذا العمل.

– كانت الزوايا من المراكز العلمية المهمة بالبلدين. كما كانت مجانية، لذلك نجد أن روادها كانوا من طلاب العلم، والفقراء والغرباء، فهي تؤوي المتجولين وتطعم المسافرين. وبذلك يتفرغ الطلاب لطلب العلم. ويرجع الفضل للزوايا في تزود البلدين بمختلف الشرائح التي ساهمت في نشر الثقافة الدينية ونحوها، وقد كان لهذه الزوايا برنامجها التعليمي الخاص، فالتعليم فيها يعتبر امتداداً للتعليم في الكتاب، فهي المرحلة الثانية في السلم التعليمي. أما نظام التعليم في الزوايا، فقد كان يقوم علي الحلقات التي تدار في المسجد الملحق بالزاوية، أو المستراح المخصّص للدراسة، حيث يجلس الشيخ ويتحلق حوله الطلاب ليدونوا ما يمليه عليهم، أو ما يأخذونه منه في أثناء الشرح.

– اقتصار مناهج التدريس في البلدين على العلوم الدينية التي تشمل الفقه وعلوم القران الكريم والحديث، على حساب العلوم الأخرى.

–كثرة خزائن الكتب والمكتبات، التي كان يملكها العلماء وطلبة العلم خاصة، ذلك أن هؤلاء كانوا يحصلون عليها في الغالب عن طريق الهدايا أو النسخ أو الشراء.

– تأثّرت الكثير من المؤسّسات الثقافية بالأحداث السياسية التي عرفها البلدان، ابتداء من الغزو الإسباني، الذي دمّر بعض المؤسّسات الثقافية، وحوّل بعضها الآخر إلى كنائس. وكذا الحملات الأوروبية، التي تسبّبت هي الأخرى في دمار بعضها الآخر.

الفصل الثالث

الحياة التعليمية في البلدين.

المبحث الأول: مناهج وأساليب التعليم.

المبحث الثاني: المراسلات والفتاوى العلمية ومكانتها في الترابط.

المبحث الثالث: المشاركة العلمية في البلدين.

الفصل الثالث: الحياة التعليمية في البلدين

كانت غاية التعليم في البلدين كما هو الشأن في سائر البلدان الإسلامية بثّ القواعد والمعلومات التي تمكّن المتعلم من تدعيم عقيدته واكتساب لغة كتاب الله العزيز، فالتعليم هو دراسة قواعد الدين الإسلامي، والعلوم الدينية والشرعية التي تشمل علم القراءات، علم الحديث، أصول الفقه، علم الكلام ... الخ ، وكذلك العلوم المساعدة؛ كالعلوم اللغوية ، والأدبية ، والفلك، والتاريخ ، والحساب، والهندسة وغيرها، وكان هذا التعليم يعتمد على القراءة وحفظ الكتب والدواوين التي وضعها السلف الصالح . وقد كان التمكين من التعليم يتحقّق بوجود عالم وطالبي العلم، فلا يحتاج التعليم إلى معاهد معيّنة ولا يخضع إلى قوانين مسطّرة ولا إلى برامج، كما لا يتقيّد بمراقبة من طرف السلطة السياسية. وقد ترتّب على ذلك استقلال تام من نواحٍ متعددة، ولم يكن المقصود الأصلي في التدريس تحصيل الشهادات لتكون وسيلة للارتزاق.

المبحث الأول: مناهج وأساليب التعليم في الجزائر وتونس.

كان التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني قائما على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية، مع مساهمة رجال الدولة ولكن بشكل فردي[1].وعلى الرغم من أنه لم يكن في الجزائر ما يدل على وجود نظام تعليمي رسمي قائم؛ حيث كان يغلب عليه الطابع الذاتي الحر ويخضع لموروث تقليدي يضم المؤسسات سابقة الذكر، وهي المساجد ،الزوايا ،الكتاتيب[2]، إلا أن التعليمَ كان مزدهرًا والأميةَ نادرةً بين السكان[3].

وهذا الاتساع في مراكز التعليم والعبادة، هي التي أوصلت القراءة والكتابة إلى الجميع، وحاربت انتشار الأمية، وهو ما أكّدته الباحثة الفرنسية إيفون توران عندما تحدثت عن وضعية التعليم في بدايات الاحتلال من حيث الانتشار، وليس بالضرورة من حيث المستوى، حيث تقول:«...إن التعليم الابتدائي كان أكثر انتشارا في الجزائر أكثر مما كان يُتصور عموماً، إن اتصالاتنا بأهالي العمالات (الولايات) الثلاث كشف بأن معدّل الذكور الذين يحسنون القراءة والكتابة مساوٍ على الأقل لما ذكرته الإحصائيات العَمَاليّة التي جرت في الأرياف الفرنسية. إنهم نحو أربعين بالمائة (40٪)من الأطفال حتى وإن لم يتعلموا جميعهم القراءة والكتابة، إلاّ أنهم جميعا دخلوا المدارس ويستطيعون تأدية الصلاة، وقراءة القرآن، وإن كل القبائل والمداشر والتجمّعات السكّانية والقرى كان لها معلّموها ومدرّسوها قبل الاحتلال الفرنسي [4]».

والملاحظ أن التعليم، في ذلك الحين، كان يشتمل على ثلاث مراحل، وهي:

-المرحلة الابتدائية، وفيها يدخل التلميذ الذي تتراوح سنه مابين الرابعة والسادسة إلى الكتاب، ويتعلم مبادئ القراءة والكتابة ويحفظ القرآن الكريم تحت إشراف معلمين يختارهم أعيان القرية أو الحي، وتدفع أجورهم مما تدره الأحباس، إلى جانب الهدايا التي تمنح لهم في المناسبات من قبل أولياء التلاميذ[5].

---

(1)أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،ج1،ص 330.

(2)آسيا بلحسين رحوي: "**وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي**"، في مجلة دراسات نفسية وتربوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ديسمبر 2011م،ع7،ص59.

(3) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق،ج1،ص274.

(4) Yvonne Turin: **Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale** , Écoles, médecines, religions, 1830-1880, Ouvrage publié avec le concours du C.N.R.S., Paris, 1971, p127.

(5) جيمس لندر كاثكارت: **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، تر: اسماعيل العربي، د.م.ج، الجزائر 1982م ، ص98.

– المرحلة الثانوية، وتتم في المساجد[1]، وفيها يتلقى الطالب مبادئ الفقه واللغة والنحو والصرف والميراث والحساب، وغيرها من العلوم.

– المرحلة العالية، وخصّصت للعلوم الدينية؛ كالفقه والتفسير والتوحيد وغيرها. وتكون في المدارس والمساجد الكبيرة والجوامع العتيقة بالحواضر الكبرى؛ كقسنطينة والجزائر ومازونة وتلمسان، وأحيانا يسافر إلى الحواضر العلمية في الخارج، مثل جامع الأزهر بمصر، وجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين في فاس. ولا يدخلها إلا المتفوقون من الطلبة.

وكان التعليم في المرحلة الابتدائية يقتصر على تعليم القراءة والكتابة وإتقانها؛ تمهيدا لحفظ القرآن الكريم، فيتعلم الطفل المبادئ الأساسية والأولية للحساب. وكانت طريقة التدريس بسيطة بساطة التعليم نفسه، فالمؤدب يجلس في صدر الكتاب متربعا على حصير مسندا ظهره إلى الجدار وبيده عصا طويلة يستعين بها لحفظ النظام ولإثارة انتباه الطلبة [2]. وعند الإملاء يملي المؤدب بصوت عال على التلاميذ. وكان هؤلاء يتحلقون حول المؤدب في نصف دائرة وبيد كل واحد لوح خشبي مربع مصقول، مطلي بالصلصال الأبيض، يمكن الكتابة عليه باستعمال أقلام مصنوعة من القصب، ومحو ما كتب بسهولة. وعلى كل لوح تكتب بوضوح سورة من القرآن الكريم، ثم يقوم بقية التلاميذ بنقلها بعناية كل على لوحته بالتوالي، والتلميذ الذي يتعلم معنى الكلمة وطريقة كتابتها يقوم بتعليم ذلك لبقية التلاميذ الآخرين[3].

وتقسّم العملية التعليمية إلى حصتين، تمتد لأربع ساعات عادة؛ ففي الفترة الأولى الصباحية يقوم الطفل بمراجعة ما تمّ تعلمه في الحصص السابقة ، وكتابة الآيات الجديدة على اللوح الخشبي، وفي الفترة المسائية يتم استظهار ودراسة المواد التكميلية ؛كتعلم الحروف والخط مع بعض الدروس الفقهية البسيطة والحساب وحفظ المتون[4]؛ حيث يجلس المعلم على الأرض في مواجهة المتعلمين الذين يجلسون أمامه في صفوف منتظمة على شكل حلقات يختلف حجم الواحدة منها عن الأخرى، فيتجمع التلاميذ المبتدئون على مسافة قريبة من المعلم؛ حيث يقوم مساعد له بإرشادهم في التلاوة ، بينما يكون التلاميذ الآخرون مع المعلم نفسه ،والذي يعين لتلميذ سورة أو مجموعة من السور لقراءتها

(1) Nouschi André :"**Constantine à la veille de la conquête**", in C.T, 1955,n 11 ,pp385-386.

(2) ويليام شالر: المصدر السابق، ص57.

(3)جيمس لندر كاثكارت: المصدر السابق.

(4)أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق،ج1، ص339 وما يليها.

خلال ذلك اليوم ويتلوها مرة أولى أمامه، ويحاول عند تلاوة المعلم تتبع تلاوته بالإشارة إلى الكلمات في النص الموجود أمامه. وبعدما ينتهي المعلم من التلاوة يذهب التلميذ إلى مكانه ليقرأ سورته تلك مرارا وتكرارا، وبين الحين والآخر ينادي عليه المعلم ليعيد عليه ما قرأ ويصحح له أخطاءه إذا ما دعت الحاجة لذلك. وغالبا ما يعتمد التحفيظ على وسائل معروفة، من ألواح خشبية وأقلام، وعندما ينتهي التلميذ من حفظ ما كتب يؤذن له بمحو ما كان قد كتب، ثم يكتب شيئا جديدا[1].

وكان للمعلم الحرية المطلقة في التصرف في تربية وتأديب تلاميذه، وذلك ناتج كما قلنا سابقا عن الثقة الكاملة في تربية المعلم وفقهه وعلمه. وعندما يلاحظ المعلم بعض التلاميذ غير المنتبهين فإنه يحذرهم أولا، فإن لم يُجد التحذير والعتاب؛ كانت العصا هي العلاج، فيضربهم على ظهورهم فيتعلم التلاميذ من أخطائهم السابقة حتى لا يقعوا فيها خوفا من العقاب. وكذلك في حال تأخر التلميذ في الحفظ أو تهاونه في ذلك، فإنه يعرض نفسه للعقاب بالضرب أو باستبقائه في المسجد أو الكتّاب وقتاً من الأوقات[2].

وكانت طرق التعليم جيدة ومناسبة، مع بساطة التعليم ومادته الثقافية، بحيث تراعي تطور قدرات التلميذ على القراءة والكتابة، لأنها تجعله يتعلم الطريقتين في آن واحد، ويعترف القنصل الأمريكي شالر نفسه بجدية هذه الطريقة ، نظرا لوجود الوحدة فيها وجمال خطها العربي[3].

وتعتمد العملية التعليمية على طريقة الحفظ والتلقين والتخزين اللفظي، ورغم ذلك فإن كل مرحلة تعليم تتميز ببعض الخصوصية في أساليبها، ولو أن الهدف النهائي للعملية التربوية آنذاك، كان مقتصرا على تعميم القراءة والكتابة ومحو الأمية، بما يصل إلى حدود 90% من سكان البلاد، بينما لم تتعد نسبة من يحوزون ثقافة متوسطة المستوى منهم نسبة60%[4].

ولم تكن حلقات الدرس في هذه المرحلة موّحدة أو خاضعة لمقررات معيّنة، وإنما تتميز بحرية تحديد الكتب التي يختارها المدرس، وما على الطالب إلا أن يحدد رغبته في الجلوس لحلقة الدرس هذه

(1)جيمس لندر كاثكارت: المصدر السابق.

(2)أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع نفسه،ج1، ص341.

(3)نفسه،ج1، ص339 وما يليها.

(4)كلثوم بن أعراب: **خطاب الإصلاح والنهضة في القرن التاسع عشر؛ حمدان بن عثمان خوجة ورفاعة الطهطاوي نموذجا**، مذكرة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ ، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2002-2003م،ص50.

أو تلك، ولو أنها لم تكن تخرج عن أمهات الكتب في مختلف العلوم الدينية واللغوية. والزاوية أو المسجد له كامل الصلاحيات في اعتماد أي برنامج دراسي يراه شيوخها مناسبا لتلامذتهم[1].

أما في مرحلة التعليم التكميلي والعالي، فإن الاعتماد على طريقة التخزين اللفظي تخف لصالح أسلوب التلقين القائم على الشرح والإملاء؛ حيث يختار الشيخ مقررا في فن من الفنون، ويطالب التلميذ (الطالب) بالاطلاع عليه، وفي الحلقة يقوم الطالب بقراءة نص أو جزء أو عنصر من الكتاب، ثم يقوم الشيخ بشرح النص فقرة بفقرة، مع التوسع في دقائق الأمور بالاستعانة بعلوم أخرى[2]. وهنا تتّضح قدرة المدرس على فتح الأقواس، وتوضيح الغريب من المسائل، وتعميق الشروح والتوسع فيها، والاستشهاد بالمنقول والمعقول بناء على كفاءته وقدراته العلمية. وبعد الانتهاء من شرح الجزئية يقوم بإملائها، ثم يفتح باب النقاش والتعقيب وطرح السؤال[3]. ويُرافق هذه العملية قيام الشيخ أو من يُكلفه بوضع حواشي لتقييد تعاليق وملاحظات الطلبة، مما أسهم في حركة التدوين والتأليف، أو ما سيُعرف بظاهرة الشروح والحواشي.

وكان المشايخ في مدرسة مازونة مثلا يسمحون بالأسئلة والمناظرة وبطرح القضايا، وكانوا على استعداد للرد على رغبات طلبتهم، ويقدّمون الجواب المقنع، ويمزجون في تدريسهم بين الجدّ بالهزل للترويح على النفس وتخفيف الجوّ. و كانوا يستعملون النكتة التي تسحر الألباب، كما لاحظ ذلك أبو راس الناصري[4]. فلا غرابة إذا كانت الروابط بين الشيوخ والطلبة متينة والنتائج مرضية.

وكان التعليم منتشرا في أغلب جهات البلاد، وكان أغلب الجزائريين في أواخر العهد العثماني يحسنون القراءة والكتابة، غير أن طرق التدريس لم تتطور منذ مئات السنين، بل ظلّت تقليدية. وعليه، فإن طرق التدريس وأساليب التكوين، هي نفسها التي طبعت العلوم الإسلامية منذ العهد الزياني، حيث اقتصرت على فهم وحفظ القرآن الكريم والعلوم المرتبطة به، مثل مرويات الحديث وأصول العقائد وشروح الفقه وأصوله، وغيرها من العلوم الدينية؛ باستثناء الفلسفة . وكان لسان حالهم؛ قول

(1) يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا...، المرجع السابق.

(2) عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق،ص122.

(3)نفسه.

(4) محمد أبو راس الناصري الجزائري: فتح الإله ومنّته ...المصدر السابق، ص46 وما يليها.

أحد علماء العصر الشيخ عبد القادر الراشدي القسنطيني(ت.1194هـ/1780م) الذي أنشد قائلا[1]:

كَـافِرٌ بِالَّذِي قَضَتْهُ العُقُـــولُ ---- خَبِّرَا عَـــنِّي المرِيـد بأَنِّي

ين بَلِ الدِّينُ مَا حَوَتْهُ النُّقُـولُ------ مَا قَضَتْهُ العُقُولُ لَيْسَ مِنَ الدِّ

ومن الأمور التي تؤخذ على هذا المنهج، قيامه على وسائل تقليدية تقوم على الحفظ دون الفهم والممارسة، مما يُقيم قطيعة بين تلاوة القرآن الكريم وتدبره، ويلغي البُعد العملي في تعاليم الإسلام، ويهمل أبعادا متعددة من كيان المتعلم كلها، كالبُعد النفسي والاجتماعي والاقتصادي، بالإضافة إلى النقص الملاحظ في تنوع المواد المدرّسة، فالنص القرآني وحده لا يكفي لتحقيق تكوين شامل ومتوازن لدى الناشئة.

أولا–أصناف المعلمين: ويمكن تقسيم المعلمين في الجزائر إلى صنفين: معلمو المدن، ومعلمو الأرياف. وفي هذين الصنفين أيضا توجد ثلاث درجات، الأولى مؤدّب الصبيان إذا كان يعلِّم التلاميذَ من سن صغيرة إلى سن المراهقة، أما في الثانية؛ فهو معلم إذا كان يعلم التلاميذ، الذين تتراوح أعمارهم من سن المراهقة إلى سن العشرين، وأخيرا يكون المدرس أستاذا أو شيخا، إذا كان سن التلاميذ الذين يدرسهم يفوق العشرين. وكان اختيار المعلم يتم من طرف الواقفين أو أهل الحي، وأحيانا كانت العائلة تختار المعلم الذي يقوم بتعليم أبنائها، وبذلك كان لهؤلاء الحق في إعفاء المدرس من وظيفته وتنصيب مدرّس آخر بدلا عنه. كما كان في إمكان الأولياء نقل أبنائهم من كتّاب إلى آخر، إذا وجدوا أن المعلم لا يؤدي دوره كما يجب[2].

وكان تعيين المدرسين في هذه الوظيفة يتمُّ من قبل الحكام، فإذا كانوا في عاصمة البلاد، فالتَّعيين يتم من قبل الباشا أو خليفته، وإذا كانوا في بقية الأقاليم، فمن طرف البايات أو قائد الدار (حاكم المدينة). ويضمن التَّعيين الرَّسمي للمدرِّس أجرا ثابتا، مصدره الأوقاف والهدايا والعطايا، التي يتم الحصول عليها خلال مناسبات معيّنة، بالإضافة إلى جزء من الغنائم. ولهذا السبب كان التنافس كبيرا للحصول على هذا المنصب، مع استعمال بعض الطرق الملتوية في بعض الأحيان. غير أن الاستمرار في هذه الوظيفة لم يكن مضمونا لارتباطه بمجموعة من العوامل منها سمعة المعلم بين الناس والظروف

(1)محمد بن ميمون الجزائري: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تق. وتح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، ط1،ش.و.ن.ت،الجزائر1981م، ص47.

(2) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق،ج1،ص–ص322-323.

السياسية السائدة ووفرة الوقف، بينما كان المدرسون في الريف أكثر حظا من غيرهم في الاستمرار في الوظيفة، لأنهم لم يكونوا يخضعون لتسمية رسمية؛ لذلك لم يكن استمرارهم في المنصب خاضعا للهدايا والأوقاف وغيرها. وأحيانا يشترك معهم في هذه الخاصية بعض معلمي الزوايا في المدن[1].

وتوجد بعض الاختلافات بين المؤدّب في الريف ومثيله في المدن، ذلك أن سكان الأرياف كانوا يطلبون إليه الفتوى ويستكتبونه العقود ويقصدونه لحل مشاكلهم الاجتماعية و الاقتصادية، كما يؤمهم في الصلاة وكل هذه المهام لم تكن توكل إلى المدرس في المدن.وكان بعض المفتين والقضاة، يقومون بالتدريس، فيصبحون بذلك من كبار الأساتذة؛ باعتبارهم من ذوي الخبرة والتبحر في المسائل العلمية، وتُعد دروسهم نوعا من دروس التعليم العالي. كما كانت أيضا مقصد الطلبة والعلماء الآخرين الراغبين في زيادة معارفهم العلمية ونيل الإجازات بعد الانتهاء من البرنامج الدراسي. وكانت براعة الأستاذ في تخصّصه وفصاحة لسانه هي التي تجلب له الأعداد الغفيرة من الطلبة، وبذلك يغطي على بعض زملائه ويسكّت خصومه. أما مكان تقديم هذه الدروس فكان الجامع الكبير في كل مدينة[2].

ثانيا– أجورُ المعلمين: اتفق كثير من الباحثين على أن المصدر الوحيد لأجور المعلمين هو الأوقاف فقط. بينما أكّد آخرون على أن نفقات التعليم الابتدائي كانت زهيدة جدا، ذلك أن الدولة والأولياء كانوا يدفعون مبالغ مالية هيّنة للمعلمين. وذهبت آراء أخرى إلى القول بأن التعليم في تلك الفترة كان مجانيا. وبالعودة إلى الأوقاف، فإنها نصَّت على تخصيص مرتباتٍ للمعلِّمين وتوفيرِ سكنٍ للفقراء من الطلبة. وقد يخصّص أحد البايات أو الدايات مرتبا خاصا للأساتذة، مثلما فعل صالح باي عندما خصّص مبلغا شهريا للمدرسين في مدرسته بقسنطينة قُدِّر بثلاثينَ ريالاً، بينما قُدِّر راتبُ الأستاذِ الذي يدرِّس في المدرسة الملحقة بالجامع الكبير بقسنطينة دائمًا بثمانيةٍ وأربعين ريالاً[3].

ويذكر أن الباي محمد الكبير قام بتخصيص رواتب شهرية من ميزانية الدولة للمدرسين والمسمعين والطلبة في جامعه ومدرسته في معسكر [4].بالإضافة إلى ذلك، كان المدرِّسون يتلقَّون مبالغ مالية أخرى في شكل هدايا أو عطايا في مناسبات معيَّنة، وهي شهر رمضان والعيدان(الفطر والأضحى). فقد ذكر في التشريفات أن الطلبة العلماء كانوا يتلقَّون في الحفلات حوالي مائة

(1) أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع نفسه،ج1،ص323.

(2) نفسه،ج1،ص-ص323-324.

(3)نفسه.

(4)نفسه،ج1،ص328.

محبوب.كما جاء في إحدى الوقفيات وهي وقفية زاوية شيخ البلاد، أن يشتري وكيلها في نهاية كل شهر ربع قنطار من الزلابية لتوزيعها على موظفي الجامع وعلى الطلبة الساكنين بالزاوية وتخصيص ريال دراهم صغار شهريا لمساعدة الأستاذ المكلّف بالتدريس في جامع الزاوية .وكان الباي محمد الكبير يُوزّع على الأئمة والخطباء والمدرسين والمؤدبين أثناء المواسم والأعياد بعض المال اهتماما بهم. وكان هذا المال يتراوح بين الدينار الواحد والثلاثة دنانير لكل منهم[1]. وكان من حق العلماء والطلبة أيضا الحصول على سكن وامتيازات أخرى تابعة له؛ فحين بنى صالح باي مدرسة بقسنطينة جعل وقفها ينص على تخصيص خمس غرف للطلبة والأساتذة. وكانت زاوية الجامع الكبير بالعاصمة تحتوي على طابقين من الغرف المخصّصة لسُكنى العلماء والفقراء والغرباء. وكانت الوقفيات تنص على شراء الزيت للإضاءة وتوفير الماء للشرب والطهارة وتخصيص أجرة للمنظفين، وغير ذلك من توابع السكن.

وكانت زاوية شيخ البلاد تحتوي أيضا على خمسِ غرفٍ لسكنى الطلبة والمدرسين، وإلى جانبها جامعٌ للصلاة وبئرٌ للشُّرب وميضآتٌ وغيرُ ذلك.وكان بعض المدرسين يتولَّون وظائف أخرى كوكالة الوقف والإمامة والخطابة والقضاء فكانوا يجنون من ذلك أموالا هامَّة. كما كان معظم المدرسين والأساتذة يحصلون على الحلوىَ يوميًّا في شهر رمضانَ والملابسِ للعيد. وبذلك تتراوح رواتبهم السنوية من الأوقاف بين مائة ومائتي فرنك[2].

أما أجور المؤدِّبين، فمن المؤكّد أن أغلبها يدفعه أولياء التلاميذ. وبناء على بعض التقديرات كان المؤدّب يأخذ حوالي ثلاثين فرنكا شهريا عن كل طفل، موزَّعة كما يلي: أربعة عشر(14) فرنكا أجرته، خمسة(05) فرنكات في شكل هدايا في الأعياد، أحد عشر(11) فرنكا كعطايا خلال مناسبات تخصّ الطفل، مثل مناسبة حفظه القرآن الكريم ،يضاف إلى ذلك المنح الاستثنائية. ورغم ما ذكر سابقا، إلا أننا لا نستطيع تحديد أجور المؤدبين على وجه الدقة، لأن الأمر يختلف من فترة إلى أخرى، لارتباطه بالوضع المادي لأسرة الغنى والفقر ومكانتها[3].

ولم تنحصر أجور المؤدِّبين في النقود التي كانوا يتقاضونها أسبوعيًّا أو شهريًّا؛ فقد كان الأولياء يرسلون إليهم(أي المؤدِّبين) أشياء أخرى غير المالِ، كالثيابِ والحطبِ والزيتِ والحلوياتِ والقمحِ واللحمِ والزيتونِ...وهذا أيضًا يتوقف على وضع العائلة ومكانتها في الريف أو المدينة. وأحيانا تكون إلى جانب ذلك أشياءُ أخرى بين المؤدب و الأولياء لا يعلمها إلا الله عز وجل وأصحابها؛ فبعض

(1) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ،المرجع نفسه،ج1،ص-ص328-329.

(2)نفسه،ج1،ص329.

(3)نفسه،ج1،ص330.

الناس كانوا يَعُولُون المؤدِّبين خفية محتسبين ذلك عند الله، فيرسلون إليهم العشاء كل ليلة ويدفعون إليهم مالا كلَّ يومٍ جمعةٍ أو آخرَ كلِّ شهرٍ[1].

ثالثا– مناهج وأساليب التعليم في تونس: لم تختلف في عمومها عما كان سائدا في الحواضر الجزائرية آنذاك، فقد كان الطفل يتلقى تعليمه الأول في الكتّاب الذي يحفظ فيه القرآن الكريم والمبادئ الأولية للغة العربية وبعض المتون، ويقوم المؤدّب بتربية تلاميذته وتهذيب سلوكهم وتلقينهم المبادئ الإسلامية. وكانت الكتاتيب نوعان؛ نوع يشارك فيه عامة الناس بمقابل زهيد يدفعه الأولياء للمؤدّب، والنوع الثاني خاص ببعض البيوتات؛ حيث يمنح المؤدب جراية من صاحب البيت، وتقوم ربّة البيت بجميع الشؤون المتعلقة به؛ من مشرب وملبس ومأكل، ويقتصر التدريس على أبناء صاحب البيت فقط، إلا من أذِن له صاحب المحل من بعض الأقارب أو الجوار. وفي المرحلة الثانية، يقتحم المتعلم دروس الجامع الأعظم، وكان سن المتعلمين يتفاوت من شخص لآخر، فنجد سن المشاركين من مدينة تونس في حدود الخامسة عشر؛ في حين نجد أعمار بعض المشاركين من خارجها، قد يتجاوز العشرين سنة من أعمارهم[2].

ويتّبع المؤدّب طريقة تقليدية في تعليم الصبية القرآن الكريم أو في تعليمهم القراءة والكتابة، بالإضافة إلى تعليم مبادئ اللغة، إما بطريقة مباشرة، أو عن طريق أحد قدماء تلاميذه؛ فيردّدون بأصوات عالية:أليف لاشَيء عليه. الباء وَحْدة من أسفل. التاء اثنين من فوق...وهكذا..الخ[3].

وتعتبر الألواح الخشبية من الأدوات المستعملة، حيث يقوم المتعلم بطلائها كل مساء بعد عرض ما حفظه على مؤدّبه[4].وفي المرحلة الثانية، يتم شرح المتون لمن أراد الارتقاء في تعليمه، وذلك بحضور الدروس التي تلقى في جامع الزيتونة والجوامع الأخرى ، كدروس النحو والصرف والبلاغة والفقه وعلم الكلام وأصول الدين وتفسير الحديث والمنطق، وبهذا يُمنح الطالب صفة المشاركة في العلوم المذكورة ، وقد يُضاف إليها الحساب والفرائض والتصوف، وصفة المشاركة التي تمنح للطالب لا تعني أنه أصبح على معرفة واسعة، لأن هذه المعارف المكتسبة لا تكون معمّقة، نظرا لأن الأساتذة

(1) أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع نفسه،ج1، ص، ص330،331.

(2) محمد العزيز بن عاشور:" **التعليم الزيتوني من ترتيب المشير أحمد باي إلى تأسيس مشيخة الجامع الأعظم وفروعه (1842– 1935م)**"،في م. ت. م، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل، جوان 1986م، ع 42/41 ص95.

(3) أحمد قاسم: قاسم : **إيالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى ابن عظوم (1574–1600م)** ، تق :عبد الجليل التميمي ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس2004م ، ص145.

(4)نفسه.

كانوا لضيق الوقت أو لقصور منهم؛ لا يكملون قراءة الكتب،لذا كان على المشارك أن يعتمد على جُهده الخاص لإكمالها[1].

ويبدو أن طرق التعليم كانت تقليدية؛ تعتمد بالأساس على الذاكرة وأهملت العقل، ورغم هذا فقد كانت هناك محاولة استحداث طرق تعليمية ومواد حديثة للتعليم، في عهد حمّودة باشا بمبادرة من العالم إبراهيم الرياحي (ت.1266هـ/1850م)، الذي استحدث طريقة في التدريس، التي تقوم بنقل الدرس كما ورد في الكتاب المقرر ويمليه من حفظه، بعد ذلك يقرّر ما يظهر له،ثم يسرد كلام المصنّف على كيفية تبعث النشاط في النفس، واتخذ العديد من العلماء عنه هذه الطريقة حتى بلغت البلاد المصرية. كما قام العلاّمة حسن الشريف (ت.1234هـ/1819م) إمام جامع دار الباشا، باستحداث طريقة تعتمد على خلق جو من الفكاهة مع تلاميذه أثناء الدرس خشية سآمتهم، وإذا بحث أحدهم بحثاً، فإنه يصغي إليه ويطلب من الطلبة مناقشته. أما بالنسبة للمواد التي أضيفت في عهد حمّودة باشا، فهي علوم الطبيعة والموسيقى وعلوم المساحة والهندسة [2].

أما الدراسات التي كان يرجى من ورائها تأدية بعض المناصب، فهي تتمثل في الكتب التطبيقية، مثل كتب النوازل بالنسبة للمهتمين بالقضاء، وكتب الفرائض والتوثيق بالنسبة إلى العدول، وكان هذا غالبا يتم بتوجيه الأساتذة للطلبة[3]. أما كتب الفقه، فكانت المصدر الأساسي لتولي الخطط الشرعية. وعليه فقد كانت مقدّمة على جميع العلوم، وخصّصت له أفضل أوقات اليوم، أما علم الكلام والأصول والمنطق، فقد كانت دراستهم محدودة بسبب الخوف من تشويش أفكار الطلبة. أما الأدب فاقتصروا على تعليم سرد القواعد والإنشاء، دون التمرن على تطبيقها، وهناك من اعتبر الأدب لهوا ولعبا مقارنة بالعلوم الأخرى، أما دروس القرآن والحديث، فكانت تُلقَّن بشكل يومي. لكن أغلبها لم تتجاوز التلاوة المصحوبة بشرح بسيط للألفاظ، وعليه كانت دروس القراءات أكثر من دروس التفسير، وهذا راجع إلى تعدّد مناصب القراء في المساجد[4].

---

(1)أحمد عبد السلام: المؤرخون التونسيون...،المرجع السابق، ص84.

(2)رشاد الامام: **سياسة حمودة باشا في تونس 1782–1814**، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1980م، ص، ص 333، 335.

(3) كمال مايدي: **السلطة والمجتمع بأيالة تونس خلال العهد الحسيني 1705–1814م، مقاربة سياسية اجتماعية**، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، السنة الجامعية 2017-2018م، ص- ص 316- 317.

(4)أحمد عبد السلام: المؤرخون التونسيون...، المرجع السابق، ص85. كمال مايدي: المرجع السابق.

كما اتخذ الباي حسين بن علي على عاتقه رفع شأن العلم ورجاله، فأجرى المرتبات للمدرسين من مال الجزية وريع الأوقاف. وواصل هذه السياسة من جاء بعده من البايات والوزراء، مثل الوزير يوسف صاحب الطابع [1] ، فمنح البابات للمؤدبين دخلا محترما وأوقفوا لهم أوقافا خاصة بهم، بالإضافة إلى أن المؤدب كان يتلقى أجره من أولياء التلاميذ، وتتمثل جرايته فيما يدفع له شهريا في المدن او أسبوعيا في القرى والمداشر، ونادرا ما يحدد مقدارها، وقد يتأخر الدفع من الأولياء نتيجة الاحتياج مما يجعل أمين المؤدبين يشتكي للسلطة[2]،كما انتفع المؤدبون في الزوايا والأرياف والمدرسون في المدن بعائدات الأملاك المحبسة من طرف أهل الخير أو التي حبسها الباي[3].

أ-الحياة التعليمية:

اتسمت الحياة التعليمية في تونس خلال العهد الحسيني وإلى غاية بداية القرن التاسع عشر للميلاد بالصبغة الدينية والتمسك بعلوم الأوائل.وكانت الدروس التي تلقى في الجوامع والمدارس لا تخرج عن العلوم الدينية وعلوم العربية والبيان[4].

وإلى من يؤم الناس ويقضي بين الجنود العثمانيين على مذهب أبي حنيفة. ولذلك عين قاض تركي، يتم إيفاده من اسطنبول إلى بلاد المغرب (الجزائر وتونس) لمدة معيّنة، ثم يستبدل بآخر. ولكن الدايات والجند حرصوا على أن يستوطن البلاد أو ينشأ بها جيل من الفقهاء الأحناف، وذلك لحاجة البلاد إليهم، ولهذا السبب عمل الدايات على إغراء الفقهاء الأحناف بعدم الرجوع إلى اسطنبول بعد نهاية فترة خدمتهم، وذلك لمواصلة الإمامة والإفتاء. وقد وفد على تونس إلى جانب هؤلاء، فقهاء أحناف آخرون من أصول تركية كانوا قد نشؤوا وتعلموا بطرابلس أو القاهرة[5].

ففي تونس مثلا، تخرج على أيدي هؤلاء الفقهاء، تلاميذ ولدوا بتونس من آباء وفدوا إليها مع الجيش العثماني. وكان هؤلاء يدرسون العلوم المشتركة، على غرار اللغة والنحو وعلوم القرآن والحديث مع تلاميذ المذهب المالكي وعلى أيدي أساتذة مالكيين محليين(أبناء تونس). وبهذا الشكل تكون

---

(1) محمد العزيز بن عاشور :" **التعليم الزيتوني من ترتيب المشير أحمد باي إلى تأسيس مشيخة الجامع الاعظم وفروعه (1842- 1935)**"،في م. ت. م، ع 42/41، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل جوان 1986م ، ص7.

(2)أحمد قاسم: المرجع السابق، ص، ص149، 152. كمال مايدي: المرجع السابق، ص 317.

(3)المختار باي: **حسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية** ، تر: البشير سلامة ، ط1، دار الأطلسية للنشر، تونس 2009م ، ص546. كمال مايدي: المرجع نفسه.

(4)رشاد الإمام: المرجع السابق،ص170.

(5) أحمد عبد السلام: المؤرخون التونسيون...، المرجع السابق، ص- ص 28-29.

عدد من الفقهاء الحنفية، الذين أصبحوا قادرين بدورهم على أداء مختلف الوظائف الشرعية والعلمية، وبالدور الديني والاجتماعي الذي يتناسب ومكانة الحنفية (الأتراك) في الحياة السياسية والعسكرية للبلاد. وأصبحت الكتب التي ألّفها العلماء الأتراك معروفة بالقطر التونسي تقرأ وتدرّس، وصار للمذهب الحنفي منزلة كبيرة في إقامة الشعائر الدينية وفي التعليم؛ فنتج عن ذلك تنافس محمود بين العلماء الحنفية والمالكية، وقد اضطر هؤلاء حتى يحافظوا على مكانتهم إلى توسيع معارفهم حول المذهب الحنفي عن طريق الاطلاع على المصنّفات المشهورة بين علماء الحنفية، الذين اضطروا بدورهم إلى تبرير تقدّمهم بالكفاءة العلمية لا بالسياسة وحدها [1].

وقد أصبحت الكتب الدينية غير مفهومة حق الفهم؛ فصحيح البخاري مثلا لم يزل يقرأ، ولكن قراءته لم تكن إلا للتبرك، بل أصبحت في عهد الدايات والبايات عادة اجتماعية ظلت متداولة منذ أيام الحفصيين، الذين كانوا قد ورثوها عن الموحدين. ففي كل المدارس التي أسسها الحفصيون انشئوا دروسا يومية للحديث، كما نظم أبو فارس في جامع الزيتونة درسا لصحيح البخاري بين صلاتي الظهر والعصر من كل يوم. وجرت المحافظة على هذه الدروس، لكنها لم تكن في القرن السابع عشر للميلاد تتطلب مجهودا فكريا لأنها كانت مجرد رواية لا تهتم بالدراية، ولا يصحبها شرح في غالب الأحيان[2].

وقد كان الأتراك الذين نزلوا بتونس ساذجي الثقافة غالبا، ولم يكن إلا القيل منهم يحسنون العربية نطقا أو كتابة. ومع ذلك كان من الضروري أن تنظم من أجلهم إدارة خاضعة للقوانين العثمانية، وأن تقام الشعائر الدينية على مقتضى المذهب الحنفي في بعض المساجد، بعد أن كان يصلى فيها على المذهب المالكي. فكانت الحاجة ملحة إلى من يؤم الناس ويقضي بين الجنود على مذهب أبي حنيفة. وقد عين من أول الفتح قاض عثماني يأتي من اسطنبول إلى تونس مدة ويقيم بها ثم يعوض بغيره. لكن الجند والدايات حرصوا على أن يستوطن البلاد وينشا بها جيل من فقهاء الحنفية لتأكد حاجة البلاد إليهم ،فمنع بعض القضاة من الرجوع إلى اسطنبول بعد إتمامهم لمأموريتهم وأغروا بالبقاء في تونس للقيام بالإفتاء أو إمامة الناس. وبجانب القضاة وأصحاب الوظائف الدينية الذين جاءوا من اسطنبول وفد على تونس في تلك المدة أيضا فقهاء من الحنفية كانوا من أصل تركي ولكنهم ولدوا ونشئوا في طرابلس أو القاهرة[3].

(1) أحمد عبد السلام: المؤرخون التونسيون...، المرجع نفسه، ص ،ص29،91.
(2) نفسه، ص- ص23-24.
(3) نفسه، ص ص28-29.

وقد مُنيت البلاد في هذه الفترة، علاوة على الحروب التي تمّ ذكرها بمصائب توصف عادة بأنها طبيعية، كالجدب والمجاعة و انتشار جراد. واكتسح الطاعون تونس ثلاث مرات على أقل تقدير في أربعين سنة، نذكر منها سنوات 1604م، واستمر في سنة1620م، وفي سنوات 1642-1644م. ودام في المرة الأخيرة سبع سنوات وأهلك مئات الآلاف من النفوس ولم تسلم منه طبقة اجتماعية، فمات به الكثير من رجال الشرع والعلماء والفقهاء[1]. لكن النشاط العلمي عاد إلى الظهور في النصف الثاني من القرن السابع عشر للميلاد بصورة أقوى مما كان عليه في النصف الأول من نفس القرن المذكور. وبصورة عامة قد كان تلافي أثار الأزمات في ذلك القرن سريعا. وقد أصبحت حال البلاد أحسن مما كانت في القرن السادس عشر. وهو أمر لا نستغربه لأننا نعلم أن الخروج من الفوضى إلى استتباب الحكم ينعش الاقتصاد[2].

أما المدرسون، فقد كانت جراياتهم (رواتبهم) تختلف حسب الأماكن التي كانت تلقى فيها دروسهم والأحباس الموقوفة على تلك الدروس. وقد كان المشايخ المدرسون محل إكبار واحترام من قبل تلامذتهم ومحبيهم، ولكن جرايات التدريس كانت غالبا لا تكفي لسد حاجاتهم، فكانوا يطلبون فضلا من الرزق بالتوثيق والانتظام في سلك العدول أو بالقيام بتجارة أو صناعة محترمة تتناسب مع مقامهم العلمي، كصناعة الشاشية والعطور. وقد كانوا يعفون غالبا من الضرائب وتأتيهم أحيانا هدايا الباي أو هدايا الكبراء وهدايا الموسرين من تلامذتهم[3].

أما عن برامج الدراسة في مساجد الجزيرة بجربة التونسية، فلقد اهتم نظام العزابة بالعلم وطلبته وكان اهتمامه به عظيما؛ فأنشأ مدراس في كامل الجزيرة، حيث بلغت عشرين مدرسة. وكان يشترط في دخولها حفظ القرآن الكريم حفظا جيّدا مع السيرة الحسنة. وكان عتماد المدرسين كبيرا على كتاب العقيدة ،وهو متن في أصول الدين به مائتا سطر منسوب إلى العلامة الشيخ أبي حفص عمر بن جميع الذي تولى إبداله من لسان البربرية إلى لسان العربية، وهو المعتمد كذلك في مدارس نفوسة ومدارس وادي ميزاب[4].

(1) أحمد عبد السلام: المؤرخون التونسيون...، المرجع نفسه،ص33.

(2) نفسه.

(3) نفسه، ص37.

(4)صالح بن عمر أسماوي: **نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية بوادي ميزاب**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمّقة في التاريخ الإسلامي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1986-1987م، ص13 وما يليها.

وقد غدت الحياة الثقافية بالبلاد التونسية في النصف الثاني من القرن السابع عشر للميلاد مختلفة بعض الشيء عما كانت عليه في مطلع القرن المذكور، لأن النخبة المثقفة أصبحت أكثر عددا بالعاصمة والمدن الكبيرة الأخرى. وكان غالب المقبلين على التعلم مدفوعين بدافع الرغبة في الوظيفة، إلا أن حب التعلم لذاته لم يكن مفقودا. ومن الناس من كان يجمع الكتب النادرة، فتكونت لدى بعض الأمراء وبعض العلماء مكتبات يغلب على الظن أنها كانت صغيرة، لكنها كانت نواة لنشاط اتسع في القرن الموالي. وإن كان الجهل مسيطرا على قسم من الحكام والرعية، فقد حافظ أولئك على ما اعتادته المجتمعات الإسلامية من احترام للعلم(1).

وكان ذلك الاحترام في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر الميلاديين ضربا من التقديس للعلماء تخالطه نزعة إلى التبرك بهم والخوف من غضبهم ومن دعائهم، ثم تطور شيئا فشيئا إلى تشجيع للتدريس وتقدير حقيقي للمواهب والمعرفة والقدرة على الإلقاء. ولم يبق المشايخ المدرسون معرضين للفقر والحاجة وتوفرت بين أيديهم الكتب، وبذلت لهم أحيانا الإعانات والصِّلاَة فأقبل على التأليف من أنس في نفسه المقدرة؛ فحرروا الكتب المختلفة، ولم يقتصروا على تصنيف كتب الفتاوى كما فعل فقهاء القرن السابق. وأُلِّفت في القرن السابع عشر كتب متعددة الأجزاء...وتاقت النفوس إلى معرفة أخبار الماضين فوقع الاهتمام من جديد على كتب التاريخ قراءة وتصفحا. كما أصبح الأدباء من جديد يجدون اللذة والمتعة في تذاكر أخبار وأساطير الأولين وطبائع الأمم والملوك وأخلاقهم في القديم والحديث. فالثقافة التونسية قد أعادت في القرن السابع عشر للميلاد الصلة بماضيها، إلا أن حلقاتٍ هامةً بقيت مفقودة ،كما بقي التكوين العلمي يشكو نقصا واضحا ولم يتميز المشايخ والعلماء في القرن السابع عشر – حسب ما يُستَمد من شهادة تلامذتهم – بجمال التعبير والتحرير، فلم يظهر بلغاء من التونسيين إلا بعد ذلك بجيل أو جيلين (2).

وقد كان الطلبة في الليل يقومون بتحضير دروس الغد، فيطلعون في مختصر خليل على درس العبادات في أول الليل، وعلى درس المعاملات في الفجر، بحيث يُعين المتقدّمون في ذلك المبتدئين وينامون بين الحصتين حتى يوقظهم المشايخ ويستمعون في النهار إلى إقراء أستاذين لكل درس بالاعتماد على شرح الخرشي، ثم على شرح عبد الباقي، وهكذا يكون كل درس قد قرئ ثلاث مرات. ويقع ختم الكتاب في تسعة أشهر، إلا أن الطلبة لا يغادرون الزاوية إلا بعد سنوات. وبعد تمكّنهم من الفقه المالكي حتى يكونا قادرين على حمل مواطنيهم على العمل بمقتضاه. وأثناء مدّة

(1)أحمد عبد السلام: المؤرخون التونسيون...، المرجع السابق،ص54.

(2)نفسه،ص-ص56-57.

إقامتهم بالزاوية يتنقلون من درجة المبتدئين في السنوات الأولى إلى درجة المتقدّمين في السنوات الأخيرة[1].

إن ما بذله البايات الذين حكموا تونس في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلاديين لفائدة التعليم وطلبة العلم كان دون ما بذله أسلافهم الأقربون، ولكنهم برغم ذلك لازموا سيرة هؤلاء الأسلاف في احترام العلماء ورجال الدين وفي تمكينهم من الحياة الكريمة بتخصيصهم وظائف هامة لهم بمراعاة حرمة الأوقاف التي كان ريعها مخصصا لهم[2].

ومن ناحية أخرى، نلاحظ أن كثيرا من الآباء ما كانوا يحثون أبناءهم على تحصيل غير المعارف الأولية؛ ونقصد هنا الآباء الذين تمتعوا بسعة من الرزق. أما غيرهم فقد كانوا يدفعون أبنائهم في غالب الأحيان إلى البحث باكرا عن شغل يضمن لهم العيش فيبقى هؤلاء الأبناء أميين أو على درجة قريبة من الأمية ولا يُستَثنى من هذا الوضع إلا أُسر العلماء التي كان الأبناء فيها يستفيدون من سُنَّة متوارثة تدعوهم إلى طلب العلم. ومما ثبت هذه السنة في أُسر علماء الحنفية أن الفقهاء من أبنائها كانوا يتقاضون الرواتب[3].

وكان أهل ذلك العصر يعتبرون النجاح في العلم ضربا من خوارق العادات وسارت بينهم حكايات غريبة؛ مفادها أن تحصيل العلم يتم أحيانا بتدخل ولي أو عالم صالح، يُمنح الطالبَ بسقيه بعض المشروبات أو بإطعامه بعض الأطعمة.فكان لطالب العلم من الصبر الطويل وكان عليه أن يحفظ القران بالتردد على كتّاب من الكتاتيب أو زاوية من الزوايا وهو يتعلم في نفس الوقت القراءة والكتابة وقليلا من الفقه والنحو والحساب أحيانا. ويزيد النجباء على ذلك، حفظ بعض المتون دون فهمها في غالب الأوقات فهما تاما. لكن يسارعون بحفظها والفهم ما زال يانعا والذاكرة مازالت فتية وقوية، ثم تُشرَح لهم تلك المتون في مرحلة ثانية من الدروس يرتقي إليها من كان يطلب أكثر من المبادئ ومن كان يطمح.

إلى أن يصبح عدلا أو قاضيا أو مفتيا أو مدرسا فيحضر هؤلاء الدروس التي كانت تلقى في جوامع المدن الكبرى، وخاصة في جامع الزيتونة بتونس، أو في إحدى مدارس هذه المدينة[4].

---

(1)أحمد عبد السلام: المؤرخون التونسيون...،المرجع نفسه،ص76.

(2)نفسه.

(3) نفسه،ص83.

(4) نفسه،ص84.

وكانت مطالعات الطلبة مقتصرة في غالب الأحيان على ما يفيدهم في خططهم، فكانوا يبحثون عن التوجيهات التطبيقية في كتب النوازل بالنسبة إلى القضاة، وفي كتب التوثيق والفرائض بالنسبة إلى العدول.وكان المشايخ أنفسهم لا يغفلون في دروسهم ونصائحهم لطلبتهم عن هذه الناحية العلمية. وكان الفقه هو الذي يُحتاج إليه في الخطط الشرعية؛ فاحتل المكانة العليا في العلوم، فالفقه كان مقدّما على جميع العلوم الأخرى، وكانت أفضل أوقات اليوم مخصّصة له. وكان تعليم المنطق والأصول والكلام محدودا لخوف الأساتذة من إدخال البلبلة إلى أفكار الطلبة أو لضعف زاد المشايخ من هذه العلوم. واعْتُبِر الأدب لهواً ولعباً، واقتصر في تعليم اللغة على سرد القواعد دون التمرّن على تطبيقها وعلى الإنشاء. وكانت دروس القرآن والحديث في ذلك العصر غير قليلة، إلا أن غالبها كان لا يتجاوز التلاوة المصحوبة بشرح الألفاظ شرحاً بسيطاً، وفيما يخصّ القرآن كانت دروس[1].

ولم يكن هناك حسب الظاهر ما يمنع الراغب في التدريس من أن يلقي دروسا في جامع الزيتونة أو في غيره من المساجد في مدينة تونس، أو في غيرها من المدن. وبهذه الطريقة يمكن للقادرين على التدريس أن يشتهروا بالعلم بين الناس وأن يلفتوا نظر الباي فيقر هذا الأميرُ المدرِّسَ الجديدَ ويسند إليه درسا ويعين لذلك مرتبا أو نصيبا من ريع وقف من الأوقاف.هذا واختصت بعض الأسر ببعض المدارس تتوارث مشيختها دون كبير اعتبار للسن أو العلم ، كما كانت مدارس أخرى تُسند إلى أصحاب المناصب الشرعية العليا فتمكِّنهم من تحصيل مداخيل هامة، خصوصاً إذا ما اجتمعت لهم مدارس متعدّدة يوكلون مهامها مباشرة إلى نواب أو خلفاء[2].

وقد أسهم اهتمام البايات الحسينين بالتعليم والعلماء، في بعث حركة علمية نشيطة أدّت إلى بروز طبقة من العلماء المتبحرين في العلوم المتعارف عليها في ذلك العصر، بالإضافة إلى الدور الذي لعبه جامع الزيتونة، الذي كان قبلة المتعلمين من مختلف البلاد التونسية، وبلاد المغارب والعالم الإسلامي عموما[3]، فعادت المناظرات العلمية من جديد، وكثرت الإجازات العلمية ، وتبادلها علماء الزيتونة المراسلات مع علماء الأستانة، والجزائر والمغرب الأقصى، بالرغم من أن الإنتاج الفكري لعلماء القرن الثامن عشر للميلاد، لم يتعد في بعض الأحيان الشروح والحواشي والتعاليق.

(1)أحمد عبد السلام: المؤرخون التونسيون...،المرجع نفسه،ص85.

(2)نفسه.

(3)حمودة الغزي الهادي: **الأدب التونسي في العهد الحسيني(1705– 1881م)**، الدار التونسية للنشر، تونس 1973م، ص، ص 22،26.

المبحث الثاني: المقررات الدراسية والإجازات العلمية المتبادلة .

غلبت الثقافة الدينية على الإنتاج الثقافي؛ حيث اهتم علماء الجزائر وتونس، على غرار نظرائهم في بلاد المغرب وفي المشرق بالعلوم الدينية، وكادت العلوم الأخرى تندثر تماماً، ولم يكن هذا الشيء غريبا في حضارة تميّزت بالتأثر الديني على الحياة الفكرية؛ حيث كان يتم ربط معظم العلوم بالكتاب والسنة؛ بما في ذلك الطب والفلك والصيدلة. وقد زاد شيوع ظاهرة التصوف في العصر الحديث تعميق هذه الخصوصية، ومن ثم كانت المقررات الدراسية ترتكز على أمّهات المصادر الدينية.

أولا-المقررات الدراسية:

عرفت المقررات الدراسية تنوّعا ضمن إطار المعارف الدينية، ويمكن تحديد أهم هذه المقررات الدراسية التي كان يتحصل فيها الطالب على إجازة التخرج في البلدين، نذكر على سبيل المثال: في التفسير وعلوم القرآن: الذي يأتي في مقدّمة العلوم الأساسية للتكوين،ويعتمد على مجموعة من المؤلفات أهمّها: تفسير ابن عطية وابن الجوزي والثعالبي، والشاطبية في القراءات، وتفسير السيوطي، وشرح القاضي على الجزرية لشمس الدين الجزري، شرح الباجوري على الجوهرة، الدُّرر اللوامع لإبن بري بشرح المارغني. بينما يأتي علم الحديث ومصطلحه في المرتبة الثانية، حيث يعتمد في تدريسه على موطأ الإمام مالك، وصحيحي البخاري ومسلم، ومتن البيقونية، وتذكرة القرطبي؛ وكتاب الشفاء للقاضي عياض، وألفية العراقي في مصطلح الحديث، وكتاب أبي جمرة[1]. ويعتمد في الفقه وأصوله أساسا على متن وشروح وحواشي مختصر خليل، ومتن ابن عاشر، وابن الحاجب، ورسالة أبي زيد القيرواني، وجمع الجوامع للسبكي، والميارة الصغرى على ابن عاشر[2]؛ وفي أصول الفقه على كتاب شرح الورقات في علم أصول الفقه للإمام الحطاب ؛وفي الرسم: عنوان النجابة في علم الكتابة.

أما في علم التصوف والتوحيد، فقد كان المرجع فيه مصنّفات ابن عطاء الله، ورسالة القشيري، وعقائد السنوسي بشروحها الثلاثة، والإحياء لأبي حامد الغزالي، شرح الباجوري على الجوهر؛ وفي علم الكلام: المقاصد وشرحها لسعد الدين التفتازاني، والعقائد النفيسة والإبراهيمية للسنوسي.

---

(1)أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق،ج1،ص- ص 122-123. ناصر الدين سعيدوني: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية(الجزائر – تونس – طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري(من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ميلادي**، في ح.أ. ع. إ، قسم التاريخ، كلية الآدب، جامعة الكويت 2010م، ع318ص72.

(2)محمود بوعياد: **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 09هـ/15م**، ش.و.ن.ت، الجزائر 1981م،ص،ص 72،122.ناصر الدين سعيدوني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ...، المرجع السابق، ص72.

وفي علوم اللغة العربية وقواعدها، فكان يعتمد في التدريس على المقدمة الآجُرُّومية في مبادئ علم العربية لإبن عبد الله محمد بن عبد الله بن داود الصنهاجي، الذي يُعرف بابن آجُرُّوم؛ وهو عُمدة الدراسات الصرفية والنحوية، إضافة إلى ألفية ابن مالك في النحو بشروح عقيل والماكودي والأشموني، واللامية لابن مالك في الصرف، ومتن الكافي في العروض، وقطر الندى لابن هشام؛ وفي الأدب على مقامات الحريري، العمدة لابن رشيق، والمعلقات السبع، شرد ابن هشام على قصيدة بانت سعاد، البردة بشرح عاشور أو الجامي ؛ وفي الحساب والفلك والمنطق، فيعتمد في التدريس على أرجوزة التلمساني في علم علم الفرائض، وفي المنطق على كتاب الجمل للخونجي، ومختصر السنوسي، والسلم المرونق للأخضري. أما التاريخ، فإنه لم يحظ بالاهتمام، وكان مقتصرا على التراجم والسير ولم يكن يدرس من باب التخصّص، بل من المعارف العامة، بينما أهملت بقية العلوم التجريبية، وعلى رأسها الطب والرياضيات والفلك، التي أصبحت مُلحقة بالسحر والشعوذة.ولذلك لم يبق من هذه العلوم سوى نفحات من العهدين الحفصي والزياني.

ثانيا– نظام الاجازات العلمية.

كانت الإجازة[1] أحد الأهداف التي يسعى إليها طلبة العلم من خلال القيام برحلات علمية؛ فلم يكن طلبة العلم ليكتفوا بتحصيل العلم، وإنما عملوا على الحصول على إجازة من قبل عالم أو شيخ في البلاد التي قصدوها حتى يكون ما يروونه بعد عودتهم إلى بلادهم موثوقا، ليس هذا فحسب، بل لأن الإجازة تمكّنهم من تلقين المعارف، التي تلقوها لطلبة العلم الآخرين، الذين ما يزالون في طور التحصيل العلمي.

أما عن الإجازات، فهي الإذن والتَّسويغ. وهي إذن ورخصة تتضمن المادة العلمية الصادرة من أجلها، يمنحها الشيخ لمن يبيح له رواية المادة المذكورة فيها عنه، ولذلك تكون الإجازة بهذا المعنى

(1)في اللغة: جاءت الإجازة من لفظ جَاز وجَوْزاً وجؤوزا وجوازا وجازا وجاز به وجاوزه جِوازا:أي سار فيه وخلفه.والمجتاز هو السالك ومجتاز الطريق.وأجاز له سوغ له، وأجاز رأيه: أنفذه، والمجاز:الطريق إذا قطع من أحد جانبيه إلى الآخر.ينظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي:**القاموس المحيط**،تح: محمد نعيم العرقسوسي،ط8،مؤسسة الرسالة،بيروت1436هـ/2005م ،ص506. ويُرجع بعضهم أصلها إلى إجوازة تحركت الواو وتوهم انفتاح ما قبلها فانقلبت ألفا وحذفت إحدى الألفين. أما الزائدة أو الأصلية لالتقاء الساكنين فصارت إجازة.وفي رواية أخرى أنها مشتقة من التجوز، وهو التعدي فكأنه عدى روايته حتى أوصلها للراوي عنه. شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي الشافعي:**فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**،دراسة وتح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير،ومحمد بن عبد الله بن فهيد آل فهيد،5 مجلدات،ط1،مكتبة دار المنهاج،الرياض 1426هـ،مج 2،ص-ص389-390.

طريقة من طرق نقل الحديث وتحمُّله، من الشَّيخ إلى من أباح له نقل الحديث عنه[1]. وهي كذلك إذن يمنحه المحدّث للطالب يخوله فيه بأن يروي عنه كتابا من كتب الحديث أو غيره من العلوم دون أن يسمع منه أو يقرأ عليه. وحتى يصل طالب العلم إلى هذه المرحلة، وجب عليه مجالسة العلماء مدّة طويلة، يثبت من خلالها جدارته في الحصول على الإجازة[2].

وحتى يحظى الدارس بثقة أهله ومواطنيه بعد العودة إلى بلاده، لابد له من بيان يثبت أنه درس على علماء أجلاء، وأنه أتقن أصنافا من العلوم، وأنه اغترفها من أمهات الكتب، وأنه حفظ متونا كلاسيكية ترفع من شأن الفائز[3] .

وبالجملة، فإن الإجازات هي شهادات على الكفاءة العلمية، وتقابل اليوم شهادات التخرج التي تمنح في مختلف مراحل التعليم ، وهي شهادة من الشيخ لطالبه على تمكّنه من علم أو فن أو عدّة علوم، وعلى اطلاعه واستيعابه لأهم الكتب وحفظه للمتون، وهي شهادة تسمح لحاملها حق الرواية وتلقين المعارف على الصورة التي تلقاها، كما تسمح لحاملها بالانضمام لسوق العمل المرتبط بالعلم الديني؛ كالتدريس والخطابة والإفتاء والقضاء[4].

وهيكل نص الإجازة يكاد يكون واحدا، حيث يبدأ الأستاذ المجيز بالحمد والصلاة والدعاء وقد تطول الديباجة أو تقصر، ثم ينتقل الأستاذ إلى ذكر المحصل على الإجازة؛ فيصف مواهبه واجتهاده والمدة التي قضاها بجانبه والنتيجة في النهاية هي غزارة المعارف والإذن له بأن ينشرها ويرويها عنه[5].

وتُمنَحُ الإجازةُ لطالبها بطريقتين: الأولى عن طرق المشافهة، والثّانية عن طريق التّحرير. والمعلوم أنّ الإجازة الشفهية أقدم في التداول من الإجازة التحريرية. ومن أقدم الإجازات الشّفهية[6]، ما رواه بشير بن نهيك حين قال: «كتبت عن أبي هريرة كتابا فلما أردت أن أفارقه قلت يا أبا هريرة إنيّ

(1)عبد الله فياض: **الإجازات العلمية عند المسلمين**،ط1، مطبعة الإرشاد، بغداد 1967م، ص21.

(2)عبد الكريم بناهض: "**التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربي من خلال الرحلة العياشية (ماء الموائد)**"،في مجلة الذاكرة، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، جانفي 2018م،ع10،ص62.

(3) مولاي بلحميسي:**الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**،ش.و.ن.ت،الجزائر1981م،ص34.

(4)نفسه، ص34. محفوظ رموم:" **سوق العمل أو الوظائف الإدارية والعلمية في الجزائر خلال العهد العثماني**"، في مجلة المؤرخ العربي، يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، مارس2009م، ع 17،ص، ص244،231.

(5)مولاي بلحميسي: المرجع السابق،ص34.

(6)عبد الله فياض: المرجع السابق، ص23.

كتبت عنك كتابا، فأرويه عنك. قال: نعم اروه عني ». أمّا الإجازة التحريرية، فبالرغم من أنّها أحدث عهدا، إلاّ أنه وجد منها ما يعود إلى القرن الثّالث الهجري[1] .

وقد اعتاد الشيوخ أن يكتبوا إجازاتهم على الكتاب، الذي درسه عليهم أحد التلاميذ، أو أباحوا له روايته دون أن يدرسه عليهم[2].وتكون الإجازات التي تكتب على ظهور الكتب عادة مختصرة،لا تحتوي في بعض الأحيان طرق الرواية، ولا أسماء الشيوخ الذين تلقى الشيخ المجيز معلوماته عنهم، ولعل السبب في ذلك عائد إلى عدم وجود مساحة كافية على ظهر الكتاب، الذي تكتب عليه الإجازة[3].

أما الإجازات التحريرية المستقلة عن الكتاب، أو الكتب التي درسها الشيخ، أو أباح روايتها دون تدريسها، فعادة ما تكون مفصَّلة، فضلا عن كونها مشتملة على طرق الرواية التي تلقى عنها الشيخ المجيز معلوماته، التي أجاز روايتها لتلميذه. وللإجازة أشكال عديدة أهمها:الإجازة لمعين في معين، والإجازة لمعين في غير معين، والإجازة لغير معين، والإجازة للمجهول أو بالمجهول،والمناولة[4].

وقد حفلت مصادر فترة الدراسة بعشرات الإجازات التي أوردها أصحابها ، وهي تعطينا صورة صادقة عن العلوم والمقررات التي كانت تعتمد آنذاك، وأهم المعارف المحصّل عليها، كما تحدد له المستوى الذي بلغه المجاز وأهم رحلاته في طلب العلم وأماكن ترحاله، ثم تختم بجملة من النصائح والمواعظ التي يقدّمها الشيخ لطالبه لتكون له نبراسا تمكّنه من الارتقاء في سلم طالب العلم[5].

ومع مرور الوقت لم يعد المجيزون يتحقّقون من كفاءة المجازين ومدى تحصيلهم للعلوم، ولا حتى من أخلاقهم وسلوكهم. كما أصبح المجيزون يمنحون الإجازات عن طريق المراسلة فقط،ولم تقتصر على الجزء المقروء فقط من الكتاب بل اتسعت لتشمل كامل الكتاب حتى لو لم يقرأه التلميذ.ونظرا لهذه العوامل لم يعد بعض طلاب العلم يقطعون المسافات للقاء الأساتذة والشيوخ[6].

كما أخذ عامل آخر يتحكم في منح الإجازة وهو المجاملة، فيرسل الطالب للمجيز رسالة أو أبياتا شعرية يطلب فيها الإجازة منه، فيغرقه في المدح ويضفي عليه ألقابا على غرار البحر، المحيط،

---

(1)عبد الله فياض:المرجع نفسه، ص23.

(2)نفسه،ص24.

(3)نفسه.

(4) نفسه،ص27.

(5) ينظر على سبيل المثال لا الحصر إجازة الشيخ أحمد الورززي التيطواني لعبد الرزاق بن حمادوش ضمن كتابه: ابن حمادوش: المصدر السابق، ص37.

(6) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ج2، ص، ص39،41.

الكوكب وغيرها. وقد يمتنع المجيز عن منح الإجازة بحجة عدم تخصصه في هذا العلم، ولكنه في الأخير يمنح الإجازة مع إطلاق ألقاب على هذا المجاز مثل: الشاب الأريب[1]، وعنوان النجابة وغيرها[2].

أما أسلوب الإجازات، فكان يغلب عليه الطابع الأدبي على الرغم من أن موضوعاتها ليست أدبية في الغالب، وذلك راجع إلى أن أصحابها كانوا من الأدباء المهرة فيصبغونها بأسلوبهم، وتغدو بذلك قطعة من الأدب[3].

ثالثا–الإجازات العلمية المتبادلة:

يُعد تبادل الإجازات العلمية من الوجوه الأخرى للتواصل الثقافي بين البلدين، وهي شهادات يمنحها العلماء للطلبة الذين تلقوا عنهم أي نوع من أنواع المعرفة وهي براءة علمية وتفويض للإنابة في أي علم أو كتاب ، وعندما يجيز الشيخ أي طالب معني ذلك أنه تأكد كل التأكد من إتقانه لما سيجيزه عنه من علوم ، ويذكر الشيخ المجيز الكتب التي درسها عنه الطالب وعدد مرات العرض ، كما يذكر المجيز سنده في تدريس هذه العلوم ، وتتنوع الإجازات ، فهناك الإجازة الخاصة أو المنفردة، وهي التي يجيز فيها الشيخ تلميذه في علم واحد يتقنه ، كأن يجيزه في علم التفسير ، أو علم الحديث، أو الفقه مثلاً ، وهناك الإجازة العامة أو الشاملة ، وتكون فيما قرأه الطالب وحصله جملة من علوم الشريعة أو علوم اللغة مرفوعة بالسند المتصل إلى شيوخه إلى أن ينتهي ذلك إلى أحد علماء الأمة الكبار وتمنح الإجازة شفهياً للحضور من الطلبة ، وبعض الإجازات ليست عن طريق حلقة الدرس وإنما عن طريق المكاتبة و إهداء بعض المؤلفات ، ليتمكن المجيز من تقييم هذا التأليف وإجازة مؤلفه . ومن أمثلة هذه الإجازات التي كانت متبادلة بين علماء ومشايخ البلدين نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر ما حظي علماء تونس على غرار علماء المغرب بإجازات من علماء الجزائر، ومنها:

أ– **إجازة الشيخ أحمد المقَّري للشيخ محمد تاج العارفين** الذي تولى الإمامة بجامع الزيتونة، والذي وصفه ابن أبي دينار حين قال أن مجلسه من أجل المجالس يحضرها نخبة من العلماء[4]، فقد انفرد الشيخ بالرواية والدراية في علم الحديث في العهد العثماني.وعندما حلّ المقري بمدينة سوسة في أثناء رحلته

(1) أرُب أرابة وإربا كان ذا دهاء وفطنة؛ فهو أريب. ينظر: مجمع اللغة العربية: مكتبة الشروق الدولية، القاهرة 1425هـ/2004 م ، ص11.

(2)أبو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي...،المرجع السابق،ج2،ص40.

(3)نفسه، ج2، ص ص182-183.

(4)المصدر السابق، ص299.

الحجازية، سمع تاج العارفين بقدومه، فكتب إليه من مدينة تونس طالبا منه الإجازة، ثم وفد إليه في سوسة فأجازه في ثلاثة وأربعين بيتاً عام 1028هـ/1619م[1]، وممّا جاء فيها[2]:

أرقــت لبرق شمت من جانب الخضرا ... أضاء فأذكى الشوق في كبدي جمــرا
واذكــرني العهد القـديم وطــالما ... تثيــر جوى المشتاق للمعهد الذكرى
ولم أنس عهد الطاغيــــن وغادروا ... متيم هيمان لم يملك الصبرا

ثم عبّر له عن حسرته الشديدة على العهد الذي سبق العهد العثماني، والذي كان فيه العلم والثقافة أكثر ازدهارا من الفترة التي يعيشها المؤلف:

هل الزمن الماضي بتونس راجع ... فأقضي من حق الخليل بها نذرا
لم انس تاج العارفين وليلة ... بمغناه وراقت منظرا وذكت نشرا
عميد ذوي العلياء محمد الرضى ... وحيد أولي التقوى بتونس الخضرا

بعد ذلك يشير إلى طلب تاج العارفين للإجازة منه، على الرغم من أنه لا يرى نفسه أهلاً لذلك، ولكنه يقبل مرغماً، لأنه لم يستطع ردّ هذا الطلب:

يروم عن العبد الجهول رواية ... ويطلب أمرا من إجازته أمرا
ولست بأهل أن أجاز فكيف أن أجيز ... فكان العجز عن ذاك بي أجرا
ولكن رأيت الأمر يبعد رده فلم ... يك بد من إجابته قسرا
ولولا رجائي منه نفع دعائه ... لما كتبت يمناي في طرسه[3] سطرا
فيا واحدا حاز المفاخر جملة ... حنانيك سامح هفوتي واقبل العذرا
وها أنا ذا قد قلت قول مقصر ... عن أمر جليل ما أحطت به خبرا
أجزتك تاج العارفين جميع مارويت ... عن أعلام الهدى قلا أو كثرا
مجازا ومقروا وإذنا بشرطه ... وكل الذي لفقته نظما أو نثرا
وفهرسة الشيخ ابن غازي كفيلة ... بأشياء من مطلوبكم تثلج الصدرا

(1)فوزية لزغم: **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518–1830م**،مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال أفريقيا ،وهران، (د.ت)،ص197.

(2) أحمد المقري: **رحلة المقري إلى المغرب والمشرق**، تح: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 1425هـ /2004م ، ص153.

(3) هو الصحيفة أو الكتاب الذي محي ثم كُتب. والجمع أطراس وطروس. ينظر: مجمع اللغة العربية: المرجع السابق،ص554.

وفي الأخير يذكر اسمه، وتاريخ الإجازة، ومكانها، وعزمه على ركوب البحر والسير إلى الحج[1]:

وكاتب هذا المقري مؤمل من الله ... جلّ العون والفوز واليسرا
وفي صفر من عام عشرين وبعدها ... ثمان وألف من سني هجرة ترا
وفي سوسة قد كان رقم برودها ... وقد وقع التصميم أن أركب البحرا
فلا تغفلونا من دعائكم عسى نرى ... عن قريب روضة المصطفى الغرا
عليه صلاة الله ثم سلامه ... وآل وصحب قد غدوا أنجما زهرا
مدى الدهر ما سار الحجيج لمكة وما ... شيم برق الأنس من جانب الخضرا

ب– إجازة أحمد بن عمار لتلميذه ابراهيم السيّالة التونسي(كان حيا بعد 1204هـ/1790م):

ابراهيم بن عبد الله السيالة الصفاقسي، هو أحد تلاميذ الشيخ أحمد بن عمار الجزائري[2]،ترك من المؤلفات: محاسن الأزهار ودوحة الأخيار وهو كتاب في التاريخ، مقسم إلى مقدمة وأربعة أقسام، يتناول القسم الأول منها سيرة الرسول(صلى الله عليه وسلم) وحياة الخلفاء الراشدين، والقسم الثاني يتناول سيرة حياة الخلفاء الأمويين والعباسيين، و السلاطين العثمانيين، بينما يتناول الجزء الثالث تاريخ المغرب والأندلس، أما الجزء الرابع والأخير فمخصص لتاريخ افريقية[3].

أما إجازة ابن عمار لإبراهيم السيالة، فجاءت بعد جمع هذا الأخير لإجازات شيخه ومروياته فبلغت تقريبا في حدود الستين كراسا، وسمّاها منتخب الأسانيد في وصل المصنّفات والأجزاء والمسانيد وفي سنة 1204هـ/1790م ،اطّلع عليها ابن عمار أجازه بها ووضع عليها خطوطه وختمه[4].

ج–إجازة المقَّري للشيخ أبي القاسم بن جمال الدين المسراتي القيرواني: هو محمد جمال الدين بن أبي القاسم خلف بن أحمد بن علي بن محمد بن أبي القاسم المسراتي[5]التجيبي. ينسب إلى قرية التجيبيين وهي إحدى قرى القيروان، أما تاريخ مولده فغير معلوم[6].

ومن شيوخه الذين تتلمذ عليهم: جده العالم الصوفي أبو القاسم أحمد بن علي في القيروان، والشيخ سعيد المحجوز في تونس. بعد ذلك سافر إلى المشرق للاستزادة من علمائه الذين درس عليهم،

(1)أحمد المقري: المصدر السابق،ص154.

(2)محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، 8 أجزاء،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982م،ج3،ص95.

(3)نفسه،ص96.

(4) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق،ج1،ص35.

(5)حسن حسني عبد الوهاب:**كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مراجعة وإكمال :محمد العروسي المطوي، وبشير البكوش، جزآن، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990م،ج2،ص530.

(6)محمد محفوظ:المرجع السابق،ج4،ص320.

ومنهم الشيخ محمد بن علي البكري الصديقي بمصر،ويحي بن محمد الخطاب وعلي بن ظهيرة المعروف بجار الله المخزومي بمكة، والحافظ الرحالة أحمد المقري التلمساني، وغيرهم من العلماء[1].

عاد المسراتي بعد ذلك إلى القيروان أين تولى وظيفتي التدريس، والفتوى. توفي سنة1065 هـ/ 1654م عندما كان عائدا من الحج[2].ومن مؤلفاته[3]:

-بلوغ السول في الصلاة والسلام على الرسول.

-رسالة في زيارة الصالحين.

-الرسالة الكافية لمن له واعية.

أما عن إجازة المقَّري له، فإنه أجازه عن جميع مروياته ومؤلّفاته في قصيدة من ثمانية أبيات[4]، هي[5]:

أقول وحمد الله قدّمته رعيا لما جاء فيه قد أجزت بلا...

أبا القاسم نجل الجمال الذي سمت بأرجاء قطر القيروان به...

جميع الذي أرويه عمن لقيته من العلماء العارفين ذوي العليا

وكل تصانيفي ونثري وإن وهي ونظمي وإن حاز الفهامة و...

وقد خط هذا أحمد بن محمد هو المقري زكى الإله له سعيا

وبلغه الآمال من قصد مكة وطيبة دار المصطفى صاحب الرؤيا

عليه من الرحمن أزكى تحية تسح غواديها بروضة سقيا

وال وأصحاب كرام وعترة بهم يرتجى الإسعاد في الدين والدنيا.

وعلى ضوء ذلك، فهناك مؤلفات تونسية كانت قد عُرفت وتداولها علماء الجزائر والعكس، وقد تنوعت هذه المؤلفات، فكانت منها الدينية، والتاريخية، والجغرافية، واللغوية وغيرها، وهو ما شكّل حركة نقدية ساهمت في تطور الحركة الثقافية في البلدين، مما ساهم في وجود علاقات ثقافية متميّزة بين البلدين.

(1)حسن حسني عبد الوهاب: كتاب العمر...،المرجع السابق،ص530.

(2)نفسه.

(3)محمد محفوظ: المرجع السابق.

(4) فوزية لزغم: الإجازات العلمية...،المرجع السابق.

(5)أحمد المقري: المصدر السابق، ص176.

المبحث الثالث: المشاركة العلمية في البلدين.

وإضافة إلى انتقال العلماء والطلاب والمتصوفين في رحلات علمية وما ينشأ عن ذلك من علاقات شخصية ومعرفية وتبادل الإجازات العلمية، والرسائل، والتساؤلات المختلفة بين العلماء، فضلاً عن الدراسات اللغوية، والفقهية، والتاريخية المتعقبة للمؤلفات السابقة والتي ظهرت علي شكل حواش وتذييلات ، واستدراكات ، واختصارات ، وشروح من قبل مؤلفين علي غيرهم في هذه البلاد أو تلك، وكذلك ظهور المؤلفات العلمية وانتقالها من بلد إلى آخر. وقد تنوعت هذه المؤلّفات، فكانت منها الدينية، والتاريخية، والجغرافية، واللغوية وغيرها، وهو ما شكّل حركة نقدية ساهمت في تطور الحركة الثقافية في البلدين، مما ساهم في وجود علاقات ثقافية متميزة بينهما.

وكانت المناظرات من النشاطات المحببة للعلماء؛ إذ يسألون بعضهم البعض عن مسائل فقهية أو علمية، وتبدأ المناظرات في محاولة من كل طرف أن يثبت صحة رأيه. ووجدت مظاهر أخرى ساهمت في تنشيط حركة التواصل وهي بعض الفنون الشعرية، التي استخدمت لأغراض متعددة على غرار مدح شاعر أو تقريظ مصنف من مصنفاته، أو التباحث حول لغز كنوع من أنواع التسلية واختباراً للذكاء والفطنة. ومن هنا يمكن طرح السؤال الآتي: كيف ساهمت هذه النشاطات في تدعيم أواصر التواصل الثقافي بين علماء البلدين؟

أولا– المراسلات والفتاوى العلمية بين علماء البلدين ومكانتها في الترابط.

اشتهر علماء الجزائر وتونس برسائلهم العديدة التي تناولت عدّة مواضيع اجتماعية وقضايا فقهية، إلاّ أن هذه الرسائل في أغلبها لا تحمل تاريخ كتابتها، وقد جاءت متفاوتة في عدد صفحاتها عن عشرة أو أكثر، وتميّزت بأنواعها المختلفة الأدبية، والشرعية، والعلمية؛ بالإضافة إلى فن الخطابة، حيث تطورت بشكل ملفت للانتباه؛ نتيجة جملة من العوامل نُجملها فيما يأتي:

- اتساع رقعة البلدين وتباعد مناطقهما؛ مما جعل ذلك يتطلب الاتصال الدائم بين رؤساء القبائل، وأعيان المدن لاطلاع الهيئة الحاكمة في البلدين؛ خصوصاً قضاة الجماعة للفصل في القضايا العالقة.
- الضرورة الدينية التي أوجدها الإسلام في مجتمعاته تتطلب معرفة الحدود والأحكام الشرعية، والتكّيف مع المواقف والمستجدات، السياسية والاقتصادية والحضارية، التي فرضتها طبيعة التواصل بين الحواضر العلمية في البلدين.
- أصبحت بلاد المغرب منذ القرن العاشر للهجرة/ السادس عشر للميلاد تَعُجُّ بالزوايا؛ هذا ما جعل رواد العلوم الدينية والأدبية في حاجة إلى إيصال أفكارهم، وحقائقهم العلمية إلى المجتمع،

فضمّنوها في قالب نثري علمي الطابع يعتمد على عنصري الفكرة واللفظ. ومن هذا المنظور، ظهرت خلال تلك الفترة شخصيات بارزة جمعت بين فنون الأدب برمَّتها، ومن أهم تلك الرسائل، نذكر منها:

أ-الرسائل الإخوانية.

يمثل تبادل الرسائل الإخوانية بين الأدباء والأصدقاء أو الأقارب في البلدين خلال العهد العثماني عنصراً مهماً في الحياة الأدبية، فيحرص الأديب بأسلوب يتّسم بالإكثار من السجع وحشر الغريب وتضمين الأمثال والتوريات اللطيفة على التعبير نحو مراسله عن لواعج الحنين ومشاعر التوق وعواطف الود والإخاء والوفاء.

كانت العلاقات قائمة بين بعض الأدباء، حركة أدبية نشيطة؛ إذ كانت المراسلات متواصلة بينهم، ومن حسن الحظ أن بقي لنا جانب منها محفوظاً في عدد من المصادر. وقد شغل هذا النوع الأدبي على مرّ الأزمنة جانبا كبيرا من اهتمام الأفراد، سواء كانوا موظفين أو أدباء، شعراء، علماء أو حتى الأشخاص العاديون.

وبالحديث عن الرسائل المتبادلة بين علماء كل من الجزائر وتونس، فنقول بأنها مظهر آخر من مظاهر التواصل العلمي والثقافي بين البلدين، ووسيلة لتمتين الروابط الثقافية بينهما.

وتتمحور موضوعات الرسائل الإخوانية غالباً في: المديح والمودة، والعتاب والاعتذار، والتهنئة والشكوى، والرثاء والتعازي، والشفاعات والوصايا بالسهولة والوضوح والإبتعاد عن صعب الألفاظ وغريبها، ومن الأمثلة عن ذلك الرسائل المتبادلة بين الشيخ عبد الكريم الفكون والعالم التونسي محمد تاج العارفين.

وقبل الخوض في مناسبة هذه الرسالة ومضمونها، لا بد من التعريف أولا بالعالم محمد تاج العارفين.

1-محمد تاج العارفين(كان حيا سنة 1037هـ/1628م):

هو محمد تاج العارفين بن أبي بكر بن أحمد البكري العثماني، ينحدر من سلالة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه [1]. تولى إمامة جامع الزيتونة في حدود سنة 1034هـ/1624م أو السنة التي تلتها وكان ذلك باقتراح من شيخه أبي يحي بن القاسم الرصاع. وقد استمرت الإمامة في بيته أي بين أولاده وأحفاده حوالي المائة والثلاثة والسبعين سنة [2].

(1)محمد محفوظ:المرجع السابق،ج5،ص116.

(2)محمد بن عثمان السنوسي: **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، تح وتع محمد الشاذلي النّيفر،4 أجزاء،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1994م ،ج1،ص219.

وقد وصف ابن أبي دينار مدى تبحر تاج العارفين في العلم ،وانفراده برواية الحديث في العهد العثماني قائلا: ولم يكن بالديار التونسية يوم حل بها العسكر العثماني من يتعاطى الرواية والدراية إلا الشيخ العلم الرباني أبو عبد الله محمد تاج العارفين العثماني سقى الله ثراه بالرحمة والرضوان وكان مجلسه بالجامع الأعظم من أجل المجالس ،ويحضره الأجلاء من أهل العلم وتدور بينهم المباحث الجميلة، ولا يخلو مجلسه من فوائد في الثلاثة أشهر: رجب شعبان ورمضان إلى يوم الختم وهو يوم السادس والعشرون من رمضان[1]. ومن أهم مؤلفاته، نذكر: إعمال النظر الفكري في تحرير الصاع النبوي التونسي لتؤدى به زكاة الفطر[2].

وقد جرت مراسلات بينه وبين صديقه الشيخ عبد الكريم الفكون، وأولاها جرت سنة 1037هـ/1628م أثناء مجيء وفد تونسي إلى منطقة قصر جابر لعقد الصلح مع وفد الجزائر، الذي كان المذكوران أعلاه بالإضافة إلى أحمد بن الحاجة[3]، صديق الفكون من بين أعضائه[4].

وقد أنهى هذا الصلح الحرب التي وقعت بين الجزائر وتونس، والمعروفة بواقعة الستارة، في محاولة كل واحدة من البلدين ترسيم حدودهما، بعد أن أغرى المدعو عثمان بن شنوف المسيطر على الكاف، حسين باشا الجزائري[5] بالبدء بهذه المناوشات[6]. وكان قد سبق هذا الصلح إبرام اتفاقية بين الطرفين لنفس الغرض سنة 1022هـ/1614م، أوضحت أن وادي سراط هو الحد الفاصل بين البلدين؛ فما يقع غربه هو للجزائر، بينما يكون نصيب تونس ما يقع شرقه. ولكن وبعد مرور خمس عشرة سنة تم خرق هذه الاتفاقية، بسبب عدم احترام بعض القبائل الحدودية لهذا الحد الفاصل، ولإقامة حامية عسكرية عند مجرى هذا الوادي، وبذلك نشبت الحرب بين الطرفين، والتي ربحت الجولة

---

(1) ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص299.

(2) محمد محفوظ: المرجع السابق،ج5،ص117.

(3)هو أبو العباس أحمد أما ابن الحاجة فهو لقبه. تولى القضاء في مسقط رأسه ميلة، ثم تولاه بعد ذلك في قسنطينة. ينظر: عبد الكريم الفكون: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تح: أبو القاسم سعد الله، ط1 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987م ، ص213.

أبو القاسم سعد الله: **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت1406هـ/1986م، (4)ص105.

(5)تولى الحكم للمرة الأولى سنة 1022هـ/1612م بعد مصطفى باشا، وحبس بعد سنتين من توليه الباشاوية.ثم افرج عنه وتولى الباشاوية للمرة الثانية سنة 1037هـ/1627م،بعد ذلك عزل ثم اعتلى سدة الحكم للمرة الأخيرة سنة 1042هـ/1632م.ينظر:ابن المفتي حسين بن رجب شاوش: **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، دراسة وتح: فارس كعوان،ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر 2009م ، ص،ص48،50.

(6)أحمد بن أبي الضياف: المصدر السابق،ج2،ص39.

الأولى فيها المحلة التونسية. فلما رأى الجزائريون ذلك طلبوا الصلح، ولكنهم بعد ذلك انتصروا في الجولة الثانية في ما يعرف بواقعة السطارة بتاريخ 13 رمضان 1037هـ الموافق ل 17 ماي 1628م بعد أن ساعدتهم قبائل أولاد سعيد التونسية. ولذلك اضطر التونسيون إلى طلب الصلح، وأرسلوا الوفد المشكل من[1]:تاج العارفين السابق الذكر، ابراهيم الغرياني، سيدي محمد العامري، سيدي علي الشرقي، سيدي محمد الأندلسي، وسيدي الحاج عون الله[2].

وبالعودة إلى رسائل تاج العارفين وصديقه الفكون، فنقول بأنها رسائل إخوانية على غرار الرسائل التي تتبادل بين العلماء في مناسبات كثيرة، وموضوعها مثلما يبدو من محتواها هو إعراب تاج العارفين عن محبته للفكون، ومدى شوقه إليه،على الرغم من أن الباعث عليها سبب سياسي.

ويعود الفضل في بدء هذه المراسلات لأحمد بن الحاجة، الذي كان يجل عبد الكريم الفكون، ولذلك عرّف أعضاء الوفد التونسي بالشيخ عبد الكريم الفكون، وحدّثهم عن علمه ومكانته في بلده، فما كان منهما إلا أن أرسلا إليه برسالتين كانتا في منتهى الفصاحة والبلاغة[3].

وبدأت الرسالة بالحمد والشكر لله عز وجل أن أوجد عالما جليلا مثل عبد الكريم الفكون، مشبها إياه بالشمس التي تشرق فيعم نورها العالم من بعد الظلام، وفي ذلك تاج العارفين: «الحمد لله الذي أطلع شمس الطلعة الفكونية من الأفق الغربي ويا عجبا من طلوع الشمس منه أمانا للعالم. وجمع فيها ما افترق من أشتات العلوم في كل نحرير[4] عالم. وأزاح بها سحب الأشكال ،وأراح بها من سحب الجهالة المخدرة لوجوه المعاني والأشكال، وقيدها شوارد العلوم، وقرن بها على طريقة التحقيق بين المنطوق منها والمفهوم»[5].

ثم يواصل شكره لله عز وجل ويصلي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويثني عليه قائلا: «أحمده حمد من رغب في استصواب الصواب، وأشكره شكر من علم أن شكره سبحانه، هو غاية المرغوب والثواب. وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد محقق في إيمانه،مخلص في

(1)ألفونص روسو:المرجع السابق،ص117.

(2)عبد الكريم الفكون: المصدر السابق،ص217.

(3)نفسه،ص ص214-215.

(4)ويلقب أيضا بالنحر، وهو الحاذق العاقل الماهر المجرب. وقيل هو الرجل الفطن المتقن البصير في كل شيء، وجمعه نحارير. ينظر: جمال الدين بن منظور: المصدر السابق،م6،ج48،ص4365.

(5)عبد الكريم الفكون: المصدر السابق،ص215.

عرفانه وإيقانه. ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذي أوتي من الكلم جوامعه...اللهم صل وسلم عليه وعلى اله أولي الجد والتحقيق...»[1].

ثم يوجّه تاج العارفين سلامه إلى الفكون في مجموعة من الأبيات الشعرية[2]:

أهدي إليك سَلاماً يفاوح النَّد[3] نَشْرُه

يلقاك من كل فج إذ تلقاك بشره

بعد ذلك يعبر تاج العارفين عن مدى خجله من صديقه الفكون وخوفه من عدم إتمام الصلح، ثم يعرب عن تفاؤله بالمكان الذي اختير مقرا لعقد للصلح راجيا من الله عز وجل أن يتم الصلح بين الطرفين(أي الجزائر وتونس) ويزيل كل الأحقاد الموجودة بينهما ويبعد عنهما كيد الكائدين، وفي ذلك يقول: «...هذا واعلم أيها الصديق الحميم،أذاقنا الله وإياك برد الرضى والتسليم.إنه رقمته والخجل في الوجنات يُبدي حمرته...وقد تفاءلنا باسمه جابر،وقد طاب منه مشربه الرائق الزاهر ،منزل جبر الله فيه القلوب،ويسر كل مرغوب ومطلوب من إصلاح الله سبحانه بين عباده،ورد سيف المعاند والكائد في أغماده»[4].

بعد ذلك يثني على أعضاء الوفد الذين خرجوا بغرض عقد الصلح، وعلى رأسهم أحمد بن الحاجة، وتداولهم لأخبار عبد الكريم الفكون والإفاضة في الحديث عن مكانته وعلمه، وفي ذلك يقول:«...إن السيد الفقيه المشارك الوجيه سيدي أبي العباس أحمد بن الحاجة، جعل الله حسناته في أسواق القبول رائجة ،هو ومن معه من السادات الفقهاء الأعيان شنفوا أسماع الفقير...من محاسن أخباركم...وكرروا علينا عائدها...وقد قلت في ذلك:

شغفت بكم لما تشنف مسمعي وعشق الفتى بالسمع مرتبة أخرى

لا جرم كاتبناكم وأيدي الأشواق تتلقف حبات القلوب. وقد شب عمرها عن الطوق وكفى أن علم ذلك علام الغيوب»[5].

ويختم تاج العارفين رسالته بإعلام الفكون بأنه دائم الدعاء لهذا الأخير ويطلب منه أن لا ينساه بدوره لا من الدعاء ولا من الرسائل، فيقول: «وأعلمكم أني لا أنساكم من الدعاء كما أطلب ذلك

(1)عبد الكريم الفكون: المصدر نفسه.

(2)نفسه،ص216.

(3) هو نوع من النبات يستعمل عوده للبخور. ينظر:مجمع اللغة العربية: المرجع السابق، ص910.

(4)عبد الكريم الفكون: المصدر السابق.

(5)نفسه، ص217.

منكم، لا سيما بإصلاح الدعاء بظاهر الغيب مستجاب...ولا تنسنا من مكاتباتكم مع الواردين، كما أنها ترد إليكم منا مع الصادرين. سقاكم الله رحيق الود في كاسات الإخلاص، وأورد صحائفكم مبيضة الوجوه مع زمرة صحائف أهل الاختصاص، ومن معنا من الجماعة...»[1].

وبالمقابل ردَّ الشيخ عبد الكريم الفكون، برسالة تشبه في مضمونها الرسالة التي تلقاها؛ إذ بدأ هو الآخر بمدح تاج العارفين ومنزلته العالمية، فقال:«أشرف من تشرق شجرة آل عثمان نورا يتلألأ. وأولى على القاصي والداني فأحي به البلاد، وأنعم على العباد يمينا وشمالا...فأثمرت من سنا ثمارها ما جعل للدين تاجا، وللمعارف معراجا، وللمكارم بحرا لجاجا، واكتسى ثوب العز جلالة وإجلالا، فجمع من أزهار الأدب وورد الفقه وشقائق الكلام ونسرين الحكمة وعظا وأمثالا»[2].

2-رسالة إبراهيم الغرياني القيرواني لعبد الكريم الفكون: وهذا نصّها:

" الحمد لله وصلى الله على أكرم خلق، وعلى آله وصحبه الكرام الأجلّة. يقول العبد الفقير إلى الله تعالى ابراهيم بن عبد اللطيف الغرياني، لما دعاني داعي الحب والتودّد إلى سيدي عبد الكريم الفقون وطلب الدعاء لي منه ولأولادي، أردت أن أكتب له هذه العجالة، وأسأل المولى أن يجود علينا نواله، وهي هذه كما ترى ،وذلك بعد أن ألهمني إلى ذلك الحبيب الصديق سيدي أحمد بن الحاجة، جزاه الله عني خيرا دنيا وأخرى، لأنه محب صديق، وكان لي في غربتي رفيق، وعلي شفيق[3].

...وبعد فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن سيدي عبد اللطيف الغرياني القيرواني، خديم الزاوية الشريفة ذات المعاني، المعمورة لبث العلوم والحديث وإقراء كتاب الله والسبع المثاني، إن أحسن الاعتقاد وطلب الوداد أغراني أن أتطفل على ساحة الشيخ الإمام الرباني، سيدي عبد الكريم الفكون الخطيب الحقاني، وأكتب له أبياتا تكون راسخة للوداد وتبلغني بدعائه غاية المراد، بفضل الملاك الجواد، وأسأله أن ينظرها بعين الرضى، وأن يسدل عليها ذيل الإغضا، لأني كتبتها وأنا مشوش البال بالسفر، وأنا عند نفسي أقصر وأصغر، وقد قدمتها مقدمة مهملة الحروف، مصليا ومسلما على النبي الرؤوف وعلى آله وأصحابه ذوي الخيرات والمعروف. وكان فيها حال الإقامة بمكان يقال له قصر جابر، حين قدومنا للصلح بين السادة الجيشين الأكابر، صحبة مولانا وسيدنا أبي العز تاج

(1) عبد الكريم الفكون: المصدر نفسه،ص200.

(2)نفسه.

(3)نفسه،ص218.

العارفين...في غرة قعدة الحرام، من عام سبعة وثلاثين (وألف)من هجرة خير الأنام، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام"[1].

وقد أتبع الغرياني رسالته بقصيدة نظمها في عبد الكريم الفكون، هذه بعض أبياتها[2]:

شيخ فقيه ولي عالم علم به افتخاري وعهدي عنه لم يحل
سألته ينظرن دهرا فهولني عسى بذا دائما أبدي له كسلي
ربي ينيل مراد انني لهج في قربه ومرادي نلتقي وأملي
لأنه فاضل فاق المناظر في كل المكارم من جار ومرتحل
في دهرنا هو عز اللائذين به ولم يعول بدنياه على رجل
فان نحى ببيان جل منطقه وإن تكلم في التوحيد قل وسل
مؤرخ فاضل بالفقه متزر محدث بحديث صح في الأُصُل
وهو الذي تبرئ الأسقام دعوته وينعش الروح بالآيات عن عجل
وفضله شاع بين الناس مشتهرا كالبدر يعلو لنا لكن بلا أفل

ثم يقول:

يا هل ترى ألتقي من عذب مورده شربا يسوغ سريعا تشتفي عللي
وإن تباعدت الأجسام يجمعها وصل القلوب وهذا غاية الأمل

ثم يقول:

بالله لا تنسني فوق المنابر من دعائكم إنني في غاية الوجل
لأن فضلكم قد شاع في زمن أهواله كثرت والحال يشهد لي

...ووصلي لك مقيم وإن جفوتني فالجفاء من حامل لا من محمول، ومن عائل لا من معول، فهذا هو الواقع في الوجود، وإن لم يظهر بعض أفراده للشهود، ولولا زعم خلوص الوداد ما أفصحي عن المراد، والله ينفعنا يوم المعاد، والصلاة والسلام الأكملان على سيد العباد[3].

ومن الخصائص الفنية لأسلوب الشيخ الفكون اللجوء إلى المحسنات البديعية والمعنوية المختلفة، وخاصة السجع، إذ يجد الباحث أن جميع رسائله مبنية على السجع الجميل القائم على تنويع الفواصل، وقصر الفقرات.

(1)عبد الكريم الفكون : المصدر نفسه ،ص219.

(2)نفسه، ص221.

(3)نفسه،ص – ص222-223.

ب–مراسلات تقريظ[1].

تُعد التقاريظ أحد أشكال النثر الأدبي. وتغلب فيها الروح الإخوانية على الأسلوب ، وبذلك تظهر ثقافة الكاتب اللغوية والأدبية، وتتعدد مواضيعها ما بين الفقه والأدب أو غيرها. وعادة ما يمزج المقرظ في أسلوبه ما بين النثر والشعر[2]. وبالتالي فإن طبيعة الموضوع هي التي تفرض نوع الرسالة؛ فهي تختلف باختلاف الموضوع المراد إيصاله للمرسل إليه. وسنورد فيما سيأتي بعض النماذج من التقاريظ التي كان يتناولها علماء وأدباء البلدين على السواء.

1–تقريظ أحمد بن عمّار لكتاب تلميذه حمودة بن عبد العزيز:

ومن أبرز مؤرّخي البلاط في البلاد التونسية خلال القرن الثامن عشر للميلاد، نجد الشاعر المؤرخ والوزير حمودة بن محمد بن عبد العزيز أبو محمد. ولد بتونس حوالي سنة 1146هـ/1734م[3]. أخذ العلم عن والده، وعن غيره من الشيوخ من أمثال: المفتي أبي عبد الله محمد المكودي ،والمفتي أبي الفضل قاسم المحجوب، والمفتي الأكبر أبي عبد الله محمد بن حسين بيرم، وأحمد بن عمار وغيرهم[4].

تقلد في بادئ الأمر وظيفة التدريس فتخرج على يديه مجموعة من الطلبة، اشتهروا في ما بعد بالعلم والصلاح ،ومنهم: المفتي أبي عبد الله محمد بيرم الثاني، والفقيهين المالكيين أبي عبد الله محمد المحجوب وأخيه أبي حفص عمر وغيرهم كثير[5].وعلى غرار كثير من علماء ذلك العصر، عرض عليه علي باي الحسيني أن يوظفه في ديوان الإنشاء ولكنه رفض، ولما أرسل إليه بالطلب عن طريق المفتي أبي عبد الله محمد بن حسين البارودي قبل الوظيفة، وبذلك أصبح مقربا من علي باي الذي أصبح

---

(1) التقريظ: مدحُ الإنسانِ وهو حيّ، والتأبين مدحه ميتًا. قرّظه تقريظًا :مدَحه وأثنى عليه. مأخوذ من تقريظ الأديم (الجلد) يُبالغ في دباغه بالقَرَظ. والقرَظ: شجر يُدبغ به. وقيل: هو ورق السَّلَم يُدبغ به الأدم .يتقارظان الثناء أو المدح: يمدح كل منهما الآخر. ومثله: يتقارضان، بالضاد بدل الظاء. لكن التقارظ (بالظاء) في المدح، والتقارض (بالضاد) في المدح والذمّ. فالمقارظة غير المقارضة،و قرّظ الكتاب: وصف محاسنه ومزاياه، دون أن يصف مساوئه وعيوبه. قَرِظَ فلان: ساد بعد هوان. هذا ما تذكره معاجم اللغة في التقريظ. وقد جاء في الحديث: لا تقرّظوني كما قرّظت النصارى عيسى بن مريم. ينظر: جمال الدين بن منظور:المصدر السابق، مج7، ص455.

(2)أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق،ج2،ص182.

(3)محمد محفوظ: المرجع السابق،ج3،ص330.

(4)أحمد بن أبي الضياف: المصدر السابق،ج7،ص22.

(5)نفسه،ج7،ص23.

يستعين به في قضاء أمور الدولة، منها إرساله ممثلا عنه إلى مدينتي قسنطينة والجزائر. توفي سنة 1202هـ/1787م أو 1788م[1].. ومن أهم آثاره العلمية نذكر[2]:

- رسالة في القبلة؛

- حاشية على الوسطى في علم الكلام؛

- الكتاب الباشي: وموضوعه هو استعراض لسيرة حياة حمودة باشا، حيث أشار إلى تفاصيل هامة عن الوضع السياسي للبلاد التونسية، منذ قيام النظام الحسيني إلى غاية حمّودة باشا الحسيني، كما تطرق إلى بعض تفاصيل العلاقات الخارجية لتونس في فترة علي باشا وحمّودة باشا الحسيني، وأخيرا أفرد جانبا للحديث عن الجانب القضائي والحياة العلمية في عهد علي باي.

أما عن ما كتبه أحمد بن عمّار سنة 1196هـ/1781م؛ كتقريظ لكتاب ألّفه حمّودة بن عبد العزيز التونسي. وقد جاء التقريظ في صفحتين ونصف من الحجم الكبير كتبها صاحبها وختمها بختمه، وذكر فيه أن حمّودة بن عبد العزيز قد وفق كل التوفيق في أجوبته على الأسئلة التي كان قد وجّهها له بعض علماء قسنطينة وأشاد به لأنه من أهل السنة. ومما جاء فيها قوله: " وقد أطلعني على الرسالة المحبرة، المنقحة المحررة التي لهذا التاريخ أملاها، وأولاها من باهر التحقيق والتدقيق ما أولاها، وضمَّنها أجوبة على أسئلة كلامية وردت-كما ذكر- أعزه الله - على الحضرة، ذات البهجة والنضرة، فنظرتها بعين المنة والإنصاف، مجانبا للتعصب والتعسف شيمة سليمي الصدر كاملي الأوصاف، فرأيتها قد حازت قصب السبق في مضمار الإجادة وميدان الإصابة، وانتظمت هي ومؤلفها مع شيوخ أهل السنة ومؤلفاتهم المحررة في تلك العصابة، وشهدت له-أدامه الله وأدام النفع به-برسوخ القدم في المعرف وسعة الاطلاع، وكمال التملي من العلوم...وقوة الاضطلاع، فالله جل جلاله يبقيه زينة لهذه الايالة السعيدة، وهذه الدولة تصول به ويصول بها على الدول وكتابها أعظم صولة، فإن مثله-أعزه الله-لخليق أن يباهى به وأين مثله حتى يباهى به ويفتخر؟ ولعمري لقد خبأه الدهر الى هذا العصر وادّخر...إيه أيها الساري ولا رفيق، إلا التوفيق، ويا أيها الشاري خذ أحرار النفوس فكل لذلك الطبع الرقيق رقيق، هكذا هكذا ،وفي عين الشاني القذى ،أطلع شموس معارفك وعوارفك في أفلاك البداعة والإتقان ،وزين سماء رئاستك وسياستك من فضائلك وفواضلك بأبهى النجوم الزاهرة والزبرقان[3]، جادل عن الملة الحنيفية بلسانها، وجالد بسيف السنة ودافع

(1) أحمد بن أبي الضياف: المصدر نفسه.

(2)نفسه، ج7،ص24.

(3) هو البدر ليلة تمامه. ينظر: مجمع اللغة العربية: المرجع السابق، ص388.

بإحسانها...وافخر وجر رداء العز والسؤدد فأنت زينة المصر بالعصر، واهصر أغصان الرئاسة بالدولة الحسينية واجن ثمارها فأنت أهل لذلك العصر، كما قرّظ ابن عمّار هذا الكتاب بأبيات شعرية ، ومما جاء فيها[1]:

شَمْسٌ تجلّت فما أسنى تجلّيها ... لاَحَت على غرة الدنيا تحليهَا
أَبْدَتْ مطالعها أسنى طوالعها ... من أين للشمس تجلي مَجَالِيهَا
قَوي بها عضد التَوحيد منشئها ... فالسعيد يكتبها والفخر يجليها

2-تقريظ محمد بيرم الرابع لكتاب ابن العنابي:

بدأ محمد بيرم تقريظه للكتاب بقوله بأن ابن العنابي قد طلب منه ذلك جريا على العادة، التي يسير عليها العلماء منذ زمن بعيد، ثم حمد الله عز وجل وصلى على خير الأنام عليه أزكى الصلاة والسلام وصحبه أجمعين، بعد ذلك أخذ في مدح الكتاب قائلا: «أما بعد فقد أجلت الفكر في بدائع هذا الشرح الشريف، المنعوت بحسن الترتيب والتأليف، فوقفت منه على ساحل البحر المحيط، وخلاصة كل وجيز وبسيط. وتحرير يذعن له من التزم شريعة الإنصاف وسلمت سجيته من وصمتي التعسف والاعتساف...فهو الجامع الكبير الموصوف بالإحكام والتحرير نتيجة فكر العلم النحرير...أخينا أبي عبد الله سيدي محمد ابن محمود بن محمد بن حسين الحنفي الجزائري، من بيت علم دعائمه أعز وأطول، وأساسه أحكم وأكمل... » ويختم في الأخير بالدعاء، وذكر تاريخ هذا التقريظ وهو العشرون من محرم عام 1245هـ/1829م[2].

ويواصل محمد بيرم تقريظه لابن العنابي، ولكن في هذه المرة في مجموعة من الأبيات الشعرية يقول في مطلعها[3]:

أكوكب لاح أم بدر التمام بدا ... أم لامع الحق في أفق الهدى صعدا
يا منصفا ومزايا الفضل ديدنه ... طروس شرح غدا في الفقه معتمدا
تلك البدائع أيات بها ظهرت ... وبارق الصدق في أرجائها اطردا

ثم يواصل:

(1)حمودة بن محمد بن عبد العزيز: **الكتاب الباشي**،تح: محمد ماضور،جزآن،الدار التونسية للنشر،تونس1970م ،ج1،ص-ص19-20

(2)أبو القاسم سعد الله: **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1410هـ/1990م،ص-ص124-125.

(3)نفسه.

محمد المرتضى ليث العرين ومن يهدي لمسترشد من علمه رشدا
يعطيك ما شئت من فقه ومن سنن بحيث يغنيك عن تحريرها أبدا
له مهابة علم جل منظرها يلقى به من يراه الضيغم الأسدا
دام مآثرهم ما قال مبصرهم أكوكب لا أم بدر التمام بدا

ومن خلال هذه النماذج، يتبيّن لنا مدى الترابط والتكامل الثقافي والتجاوب العلمي الذي كان سائداً بين علماء البلدين.

ثانيا– المناقشات والمناظرات الفكرية والدينية بين علماء البلدين.

كانت المناظرات من النشاطات الفكرية المحبّبة للمثقفين والعلماء؛ إذ كانوا يسألون بعضهم البعض عن مسائل فقهية أو علمية، وتبدأ المناظرات في محاولة من كل طرف أن يثبت صحة رأيه. والمناظرة فن قديم ضارب في التاريخ، ذلك أن الإنسان معروف بميله لعرض أفكاره على غيره. وفي هذا الإطار اشتهر الإغريق بفن المناظرة، وعلى رأسهم أفلاطون وأرسطو، اللذان أوجدا طريقة للحوار سماها العرب طوبيقا. ومع مجيء الإسلام أرسى القرآن الكريم قواعد هذا الفن باعتباره وسيلة من وسائل الإقناع[1].

ولذلك انتشرت المناظرات بين العلماء المسلمين في مختلف الفترات، فشكّلت بذلك وسيلة للتعبير عن الآراء العلمية والدفاع عنها وإثباتها من قبل طرف ونقضها من قبل طرف أو أطراف أخرى، وطريقة لتلقين الدروس المختلفة[2].

أ –مناظرة بين عبد الكريم الفكون، وإبراهيم الفلاري التونسي:

كان الفقيه أبو اسحاق ابراهيم الفلاري، قد جاء إلى قسنطينة بغرض الزيارة، فنزل عند جماعة من الأعيان، وكان إلى جانب تأدبه مع الفقهاء والعلماء، يقابل رفاقه من أهل البلد بشيء من اللهو والمداعبات والفكاهة. ولكنه كان يدعي الإلمام بعلم النحو، وفي المقابل كان أهل قسنطينة يعظمونه لقوة قريحته[3].

وبينما الفكون عائد ذات يوم من الكتاب إلى البيت، ناداه الفلاري وكان جالسا في مجلس العالم

(1)سعاد لبصير:"**التفاعل الثقافي والعلمي بين الرحالة الجزائريين ونظرائهم من بلاد المشرق خلال العهد العثماني**"،في مجلة قضايا تاريخية ،1439هـ/2017م، ع8،ص106.

(2)نفسه.

(3)عبد الكريم الفكون: المصدر السابق،ص110.

أبي زكرياء المحجوب- وكان يروي الحكايات ويلقي المداعبات لأهل المجلس-وسأله عن نقاط التشابه بين قوله عز وجل:فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا[1] وبين قول الشاعر:

كانت حنيفة أثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها

ولكن ابن الفكون لم يعرف الجواب نظرا لصغر سنه وقلة معارفه، مما وضعه في حرج شديد أمام الفلاري، خاصة وأن الأخير أخذ يوبخه ويمعن في تحقيره ولم يراع في ذلك العوامل المتقدمة الذكر.ومع ذلك لم يستسلم الفكون لهزيمته المؤقتة؛ إذ أنه بعد العودة إلى البيت قام بتصفح كتاب مغني اللبيب[2] عله يجد بين ثناياه الجواب، فوقعت عيناه على بيت شعري هو الآتي:

إن هند المليحة الحسناء وأي من أضمرت لخل وفاء[3].

ولذلك حفظ ابن الفكون البيت وإعرابه وتفسيره،وانتظر حتى صادف وجود الفلاري في مجلس أبي زكريا مع كل الحضور الذين صادف وجودهم في المرة الماضية أو أغلبهم. فلما رآه بادره بالاستهزاء به وبأنه لا يعرف شيئا ما دام لم يجب عن السؤال. ولكن الفكون طلب منه تفسير البيت السابق الذكر. وهنا انعقد لسان الفلاري عن الجواب ولم يدر ما يقول. وبعد مدة قصد بيت الفكون، وطيّب خاطره معترفا له بعلمه قائلا له بأنه أحسن من جميع فقهاء قسنطينة، وأن ما فعله كان امتحانا منه لمعرفة حجم معارفه وطريقة تفكيره، كما أخبره الفكون عن مصدر البيت وتفسيره وإعرابه، وبذلك انعقدت الألفة بينهما، ومن يومها احتدمت بينهما المناظرات [4].

وخلاصة القول:

- كانت غاية التعليم في البلدين كما هو الشأن في سائر البلدان الإسلامية بث القواعد والمعلومات التي تمكّن المتعلم من تدعيم عقيدته واكتساب لغة كتاب الله العزيز، فالتعليم هو دراسة قواعد الدين الإسلامي، والعلوم الدينية والشرعية، وكذلك العلوم المساعدة كالعلوم اللغوية والأدبية، الفلك، التاريخ، الحساب والهندسة وغيرها.
- أن التعليم في الجزائر وتونس أو غيرهما من الأقطار العربية الإسلامية، كان يغلب عليها الطابع الديني، ومهما كان مستواه؛ فإنه حفظ بعض النتائج الإيجابية المتمثلة في تلقين شريحة واسعة من المجتمع القراءة والكتابة. كما أن معارف الجزائر وتونس خلال هذه الفترة غلب عليها طابع العلوم

(1)سورة آل عمران الآية رقم 97.

(2) عنوانه الكامل: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لصاحبه جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت. 761هـ/1360م).

(3) عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص ص110-111.

(4)نفسه، ص-ص111-112.

الدينية، كما أن علماء البلدين احتلوا مكانة مميّزة في المجتمعين، رغم أنهم لم يشكّلوا فيما بينهم فئة اجتماعية متلاحمة.

- كانت غاية طالبي العلم في البلدين لتحصيل العلم ورفع الجهل والتعمق في الدين، وإن لم يمنع هذا أن كثيراً من الوظائف كانت متوقفة على من تتوفر فيه هذه الكفاءات العلمية، مثل الشهادة والتوثيق والخطط الشرعية، ومن بينهم من كان سبب تحصيله هو الذي بوأه بعض المناصب الأولية كالكتابة؛ إن هذا التعليم وإن لم يكن مرتباً منظماً فقد قام بشيء من حاجيات المجتمع في هذه المرحلة. ولم تقتصر الحركة الثقافية في البلدين على الحواضر؛ بل تعدتها إلى كافة النواحي والأقاليم؛ فبالرغم من تلك الظروف الصعبة التي مرت بها الحياة العامة خلال هذه الفترة فإننا لا نعدم من اهتم بالعلم وصرف جهده لتحمل مسئوليته الوطنية والدينية، وقد وجدت العديد من المؤسسات والمراكز التعليمية والثقافية كالكتاتيب، والزوايا والمساجد.

- اتبع الفقهاء والمعلمون في الكتاتيب أسلوب التكرار والنسخ على الألواح والحفظ في تعليم الصبيان، واليوم الدراسي في الكتاتيب يبدأ من الصباح الباكر حتى الظهر ، مع منح الطلبة وقتاً للراحة لتناول وجبة الغذاء ، ثم يعودون للدراسة حتى آذان العصر ، وتستمر الدراسة كل أيام الأسبوع بهذا الشكل ، عدا يوم الخميس الذي تكون الدراسة فيه حتى وقت الظهر فقط ، وتعطل الدراسة يوم الجمعة وفي الأعياد والمناسبات الدينية ، أما أجرة الفقيه فهي غير ثابتة ، وتختلف من أسرة إلى أخرى وفقاً لإمكانياتها، وقد ساهمت كتاتيب البلدين بدور مهم في الحياة الثقافية فيهما، ومن العلامات البارزة في نظام الكتاتيب أنها تحمل طابعاً إسلامياً واحداً في البلدين.

- إن تبادل الإجازات والمناظرات والمراسلات بين علماء الجزائر وتونس؛ على الرغم من قلّتها قد نشّطت الحياة الفكرية بين علماء البلدين، بل ووطدت العلاقات الحميمية بينهما؛ إذ كثيرا ما كان العلماء من بلد يطلبون ويلحون بشدة من علماء البلد الآخر لمنحهم الإجازات برغم أن بعضا من هؤلاء العلماء كان يتهرب من تقديم الإجازة لطالبها، ليس تكبرا منه، وإنما تواضعا. ولكنه في الأخير يرضى ويمنحه الإجازة، مما كان يشكّل فخرا كبيرا لمن طلبها.

- لاحظت الباحثة بأن المناظرات والمناقشات الفكرية عملت على توثيق الصلات والروابط الثقافية بين علماء البلدين، نظرا لكونها سبيلا يتعلم منه المتناظرون شيئا جديدا أو يصحّحون مفهوما، أو يتعلمون حل مسألة مستغلقة. بالإضافة إلى أنها تبيّن المكانة الحقيقية والرصيد العلمي للمتناظرين، على الرغم من أنها تخلق بعض العداء بينهم. ولا يمكن أن نغفل كذلك المراسلات التي كان السبب من ورائها في كثير من الأحيان سياسيا؛ فيسعى العلماء لحل المشكلة السياسية الواقعة

بين حكام البلدين. ولم تكن هذه المراسلات بطبيعة الحال تخلو من مشاعر صادقة يعبر العلماء من خلالها عن مدى محبّتهم وشوقهم للقاء بعضهم البعض وهو ما يحدث فعلا، وكأن هذه المشكلة السياسية؛ على الرغم مما قد تُسبّبه من معارك بين الطرفين المتخاصمين، إلا أنها تكون فرصة للقاء العلماء، الذين لم يكونوا ليلتقوا بعضهم البعض في أثناء السلم والاستقرار.

الفصل الرابع: مظاهر التواصل العلمي والروحي بين علماء البلدين.

المبحث الأول: حركة انتقال العلماء وطُلاّب العلم بين البلدين.

المبحث الثاني: الطرق الصوفية ودُورها في التواصل الرّوحي بين البلدين.

ظل التواصل الثقافي قائما طيلة العهد العثماني بين الجزائر وتونس، وقد ساعدت عدّة عوامل على نمو هذا التواصل، نذكر منها الجوار بين البلدين وامتدادهما الطبيعي المتجاور؛ فضلاً عن وحدة الأصل والدين واللغة، والتاريخ المشترك، والتحرك المستمر للقوافل التجارية بينهما، والهجرات المتبادلة، مما أفسح المجال إلى جانب عوامل أخري أمام تعزيز التبادل الثقافي، وإرساء قواعد حياة وعلاقات ثقافية تجسدت في عدة مظاهر وشواهد عبر العصور. ولم تنقطع العلاقات الثقافية بين الشعبين وحافظت على استمرارها عبر العصور.

كما أدّى ركب الحجاج المغاربة دورا كبيرا في ربط هذا التواصل عن طريق الاتصال المباشر الذي كان يتم بين هؤلاء الحجاج وسكان المناطق التي يمر بها ركب الحج، خاصة في الفترة مجال الدراسة. كما ساهم العلماء والرحالة في ربط هذا التواصل بما كانوا يقدّمونه من خلال تدوين رحلاتهم، وخاصة أثناء تنظيمهم لمختلف الحلقات العلمية التي كان يتم فيها الأخذ والعطاء بين مختلف العلماء؛ بغرض الاستفادة ونقل هاته العلوم إلى بلدانهم وتلقينها لتلامذتهم. ناهيك عن ظهور العديد من الطرق الصوفية في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، والتي كان لها الأثر البارز في التقريب بين سكان هاته الحواضر، وذلك من خلال ما حملته الطرق الصوفية من مبادئ أخلاقية أثرت في المجتمعات المغاربية. وهذه الأخيرة حظيت باهتمام حكام هذه الأقطار من خلال منحهم امتيازات؛ كإلغاء دفع الضرائب وما إلى ذلك.

وعليه؛ فإن حركة العلماء والطرق الصوفية كانت لهما أدوار هامة في تاريخ بلاد المغارب؛ وهي إحدى مظاهر التبادل الثقافي بين علماء بلاد المغارب ومثقفيها، والتي يمكن أن نستشفها من خلال ما سيتم عرضه في هذا الفصل.

المبحث الأول: حركة انتقال العلماء وطلاب العلم بين البلدين.

عرفت بلاد المغرب العديد من الرحلات العلمية بين علماء حواضرها في الفترة موضوع الدراسة، وهذا بهدف تكوين صلات ثقافية فيما بين علمائها والاستفادة من العلوم والخبرات المتوفرة فيها، خاصة مدينة تونس وقسنطينة والجزائر وتلمسان وفاس التي شكّلت محطة عبور جل العلماء على أراضيها للاتصال بعلمائها للأخذ من منابع العلم. ولا يسعنا أن نغفل على حركة الهجرة المضادة من خلال اتجاه بعض من علماء تونس إلى الجزائر للأخذ من خيرة علمائها.

وتُعد الرحلة في طلب العلم بين الجزائر وتونس مظهرًا من مظاهر التواصل الثقافي بينهما؛ ذلك أنَّ العلماء الجزائريين لم يكتفوا بتبادل الرَّسائلِ والإجازات مع نظرائهم في تونس، كما لم يكتفِ بعض طلبة العلم في الجزائر، بما حصّلوه في بلادهم، وإنَّما فضَّلوا الانتقال نحو تونس للالتقاء بعلمائها والاستزادة منهم.

وعلى الرَّغم من تردّي العلاقات السياسية بين البلدين في بعض الأحيان، إلا أن ذلك لم يؤثر في حركة انتقال الأفراد والجماعات نحو تونس واستقرار العلماء وطلبة العلم بها، بل وانشغالهم بالتدريس فيها وتقلّدهم بعض الوظائف الهامة؛ كالإفتاء والقضاء. وبالإضافة إلى ذلك، فقد أدّى هؤلاء أدوارا هامة في رسم الصورة الثقافية والاجتماعية وحتى السياسية لتونس. والتساؤل الذي يتبادر إلى أذهاننا عن كنه هذه الرحلات العلمية لطلبة العلم أوهجرة العلماء الجزائريين إلى تونس؟ هل كانت بفعل التقارب السياسي والثقافي بين البلدين؟ أم يرجع ذلك إلى تسهيلات الحكام في هذا البلد أو ذاك لنشاطات العلماء وتقريبهم لهم؟ أم هي مجرد تطلعات من هؤلاء العلماء لما هو أفضل لهم في حياتهم الخاصة؟

أولا–دوافع هجرة العلماء الجزائريين إلى الخارج خلال العهد العثماني:

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني (1519–1830م) هجرة في صفوف علمائها إلى الدول العربية والإسلامية، وخاصة نحو المغرب الأقصى وتونس وبلدان المشرق العربي، ممّا أدى إلى تدهور الحياة الثقافية في قسنطينة وغيرها من الحواضر الجزائرية آنذاك [1].

وقد استقطبت الإيالة التونسية خلال العهد العثماني العديد من الطلبة والعلماء الجزائريين؛ لأسباب عديدة ومتنوعة، دفعت بهؤلاء العلماء إلى المغادرة، ومن بينها تراجع الحركة العلمية وتدهور التعليم في تلك المرحلة، وهذه الظاهرة مسّت معظم العالم الإسلامي. وبالرجوع إلى كتب الرحالة الجزائريين في هذه

(1)محمد بوشنافي: "**هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني (1520–1830م)**"، في مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة معسكر،2009م، مج04، ع01، ص99.

الفترة، نلاحظ بأن الكثير منهم قصد تونس؛ إما مرورا عليها في طريقه إلى الحج، أو للاستقرار فيها مدة من الزمن. ولحركة العلماء وطالبي العلم دوافع عديدة، والتي يمكن حصرها في النقاط الآتية:

أ-الدافع الديني (أداء فريضة الحج):

لقد كان شغف الجزائريين بالرحلة نحو البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج كبيرا جدا، إلى درجة أن الحجاج وبمجرد انتهائهم من أداء مناسك الحج، واستعدادهم للعودة إلى موطنهم، نجدهم يشتاقون مجددا إلى أداء المناسك ولذلك تعدّدت كتب الرحلات الحجازية[1] التي تحدّثت عن الجزائر خلال العهد العثماني، والتي ترك لنا أصحابها تراثا مهما وصفوا لنا فيه رحلاتهم، التي ضمّنوها مُشاهداتهم وسجّلوا بها ما صادفهم في طريقهم وفي المراكز التي أقاموا بها، انطلاقا من خروجهم من مدن الجزائر، حتى وصولهم إلى الحجاز. كما أودعوها أسماء المشايخ الذين لاقوهم وأخذوا عنهم من العلماء والصلحاء الذين التقوا بهم أو زاروا أضرحتهم[2]، بل وحتى أسماء الكتب التي قرأوها ودرسوها، وهم بذلك يضعون حلقات جديدة في سلاسل توثيق السند العلمي، ويحافظون على السنن الحميدة في نقل المعرفة، هذه السنن التي كانت من مميزات حضارتنا.

ونظرا لأن الإيالة التونسية-بحكم موقعها-كانت طريقا يمر من خلاله الحجاج، فكان ذلك حافزا للقيام برحلة في هذه البلاد ولقاء علمائها وخوض مناظرات علمية معهم، وزيارة المساجد الشهيرة في البلاد، وليس هذا فقط، بل منهم من زار قبور الأولياء والصلحاء في بعض مدن الايالة التونسية، مثلما فعل أبو راس الناصري، عندما زار مدينة القيروان سنة 1214هـ/1799م؛ حيث زار أضرحة صلحاء المدينة في غضون أربعة أيام ودوّن كل ذلك في رحلته[3].

ب-الدافع العلمي (طلب العلم):

قد يتشابه هذا الدافع مع الدافع السابق؛ حيث أن إيالة تونس كانت دائما محطة يتوقف عندها

---

(1)أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء ...،المرجع السابق،ج1،ص177. ولم يقتصر التأليف في الرحلة الحجازية، على المغاربة والعرب المشارقة ، بل ألّف علماء شعوب إسلامية كثيرة في هذ النوع من الكتابة، نذكر منهم بعض الأتراك، مثل أوليا جلبي (حج عام 1631م)، ويوسف نابي (حج سنة 1678م)، وعبد الرحمن حبري، ومحمد أديب الذي حج سنة 1779م).للمزيد ينظر: عبد الرحيم بنحادة: **العثمانيون المؤسسات والاقتصاد والثقافة**، ط1،مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب1429هـ-2008م، ص، ص 245، 250.

(2)صالح بوسليم،و محمد الزين:"**ملامح من الحياة العامة بالجزائر في بعض كتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني**"، في مجلة الحوار المتوسطي، سبتمبر2015م، ع 10/9ص-ص84-85.

(3) أبو راس محمد بن احمد الناصري المعسكري الجزائري: نبأ الإيوان ...المصدر السابق،ص12.

العابرون نحو بلاد المشرق، سواء لأداء فريضة الحج، أو للقيام برحلة علمية إلى تلك البلاد. وقد تنوعت الدوافع، التي كانت تحدو بهم إلى القيام برحلاتهم، فكان منها الحرص على لقاء الشيوخ والاستفادة منهم واستجازتهم والرواية عنهم [1].

كما تميّز العلماء الجزائريون عامة، بكثرة رحلاتهم إلى منابع الفكر والثقافة، لإثراء معارفهم وتحصيل العلم ونيل الإجازات. لذا فقد تغرَّبوا عن الوطن، للقاء العلماء في الأقطار المشرقية والمغاربية والأخذ عنهم، فتركوا لنا بموجب ذلك رحلات علمية تتحدث عن المسائل العلمية التي كانت شائعة وقتها، والمناظرات والمناقشات، التي اشتركوا فيها أو التي حضروها دون أن يكون لهم فيها أي تدخل [2]. وبعد التحصيل، يعود العلماء والمشايخ إلى بلدانهم لنشر علومهم ومعارفهم بين أبناء بلدهم. وهناك من كان يفضل الاستقرار في تلك البلدان، بعد أن يكون قد تقلّد منصباً معيّنا، مثل التدريس، والإفتاء، والقضاء، وغيرها[3].

أما العلوم التي كانت تحوز على اهتمام الرحالة، فهي في الغالب العلوم الدينية وتليها العلوم اللغوية، بينما لم نجد اهتماما كبيرا في هذه الرحلات بالعلوم العقلية، كالفلك والرياضيات والطب وغيرها، اللهم إلا في رحلة ابن حمادوش الجزائري، الذي تعرَّض لها بشكل واضح [4].

ولا يغيب عن أذهاننا أيضا بأن جامع الزيتونة، الذي كان جامعة علمية استحق أن يقصده القاصي والداني، للأخذ عن علمائه. وقد ساعدهم في ذلك ترحيب الحكام والسكان والعلماء [5]

ج- الدافع السياسي(الهجرة الإجبارية):

استمر الصراع بين الأتراك العثمانيين وبعض الدول الأجنبية، وخاصة إسبانيا ردحا من الزمن، ذلك أنّ الدول الأجنبية سعت إلى إخضاع الجزائر بدعوى أنها وكر للقراصنة، وبموجب ذلك هوجمت الجزائر مرات عديدة، مما أدّى إلى شيوع الاضطراب في البلاد وانعدام الأمن.

---

(1) صالح بوسليم، و محمد الزين: المرجع السابق، ص 84.

(2) الطاهر حسيني: **الرحلة الجزائرية في العهد العثماني بناؤها الفني أنواعها وخصائصها**، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب العربي، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، السنة الجامعية 1434-1435هـ/2013-2014م، ص85.

(3)أرزقي شويتام: :"**العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية (الفترة العثمانية)**"، في م.د.ت، جانفي2011، مج09، ع13،ص82.

(4)عبد الرزاق بن حمادوش: المصدر السابق.

(5) احميدة اعميراوي: **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر 1426هـ /2005م، ص60.

بالإضافة إلى ذلك، نجد أن بعض العلماء اضطروا إلى مغادرة بلدانهم للاستقرار في إحدى البلاد العربية أو الإسلامية. وقد تعود أسباب هجرتهم إلى معارضتهم لبعض رجال السلطة، مما كان يُعرِّضهم للمضايقات والاضطهاد[1]. كما أدّت هذه الظروف ببعض العلماء الجزائريين إلى القيام برحلات نحو تونس وغيرها من البلدان، هروبا من هذه الأوضاع المضطربة، وبحثا عن الأمن والأمان.

ثانيا– أنواع الرحلة: يمكن تصنيف الرِّحلات بحسب الأسباب إلى ما يأتي:

أ– الرِّحلة الحجازية:

شكّلت الرحلات الحجازية جسراً للتواصل الثقافي بين البقاع المقدسة وأطراف العالم الإسلامي خلال العهد العثماني. وهي الرحلة التي يشدُّ فيها المسلمون الرحال نحو البقاع المقدسة، استجابةً لأمر الله عزَّ وجل. وبذلك كان الرحَّالة يسافرون إلى الحجاز وكلهم شوق لأداء فريضة الحج، وفي الوقت نفسه يحرص البعض منهم على تدوين ملاحظاتهم التي شاهدوها، سواء في مكَّة أو أثناء السَّفر إليها[2].

كما مثَّلت الحواضر العلمية في تونس أول محطة علمية يقصدُها حجاج الركب الجزائري، بغرض الاستراحة أو لزيارة أضرحة الأولياء والصلحاء للتبرك بها، أو لزيارة علمائها المشهورين. ويذكر الرحالة الورتيلاني أنه قد تناهى إلى علم الحجاج الجزائريين في الركب بأن أحد علماء تونس تعرَّض لشرح مختصر الشيخ سيدي خليل في الفقه المالكي، فأقبلوا على زيارته أثناء تواجدهم في البقاع المقدسة بالحجاز وفي الديار المصرية[3]. وكان حجاج الركب الجزائري لايتخلفون في الغالب عن التردّد على حلقات العلم والتدريس أينما حلوا وارتحلوا، بل إنهم كانوا في كثير من الأحيان يُزاحمون طلبتَها وكذا الطلبة الوافدين عليها من مختلف الأمصار والبلدان [4].

هكذا إذن، تزايدت صلات أدباء وعلماء بلاد المغارب بإخوانهم في المشرق عن طريق رحلات ركب الحجاج المنتظم سنويا، وما نتج عن هذه الصلات المتزايدة من إنتاجات فكرية معرفية، نتيجة الأخذ والعطاء، والتأثير والتأثر.

---

(1) أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص83.

(2) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص387.

(3)الحسين الورثلاني: المصدر السابق، ج 01 ،ص266 .

(4)أحمد بوسعيد: **ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518–1830)؛ دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة العقيد أحمد دراية بأدرار، السنة الجامعية 2017-2018م،ص، ص 223،221.

ب–الرحلة العلميَّة:

لقد قصد طلاب العلم البلاد البعيدة، لاكتساب مزيد من العلم على يد مشايخ مشهورين، أو للحصول على الإجازات من هؤلاء[1]. وبعد أن كانت هذه الرحلات تتم بمبادرات شخصية، تبنتها المؤسسات العلمية مع تطور الدولة الإسلاميَّة، وذلك لتكوين الأفراد وتثقيفهم. ولم تقتصر هذه الرحلات على الأخذ من علماء البلاد المستقبلة، وإنما كان العلماء وطلبة العلم ينشرون ما تعلّموه فيها، بل وينشرون الإسلام هناك، إذا لم يكن البلد الذي ارتحلوا إليه على ملَّة الإسلام[2]. ويدخل ضمن هذا الإطار أيضا، الرحلات الاستكشافيَّة، التي يهدف الرحالة من خلالها إلى اكتشاف العوالم المجهولة[3] .

ج–الرحلة الفهرسية:

وفي هذه الرحلة يخرج صاحبها للقاء الشيوخ وأخذ العلم عنهم والترجمة لهم وذكر أحوالهم ومؤلّفاتهم وعرض نصوص الإجازات التي صدرت لهم أو منهم إذا كانوا أحياءً، أو زيارة قبورهم والتبرّك بها إذا كانوا أمواتاً، وذكر ما يرتبط بها من أوراد الطرق الصوفية ... ويختلف هذا النوع من الرحلات عن الأنواع السابقة في أن الرحالة يحرص على تدوين وصف دقيق للمحطَّات التي توقّف عندها، كما يُورد أسماء جميع الشيوخ الذين أخذ عنهم أو زار قبورهم [4].

د–الرحلة السَّفارية (الدبلوماسية):

وهذا نوع آخر من أنواع الرَّحلات، التي تتمُّ بتكليف من حاكم البلاد بغرض تقصي أحوال الرَّعيَّة، واستكشاف أماكن مجهولة أو بعيدة. ويقوم بهذه الرحلة بعض الشخصيات السياسية، فكان أولئك يسجلون ملاحظاتهم عن المناطق التي مروا بها، والدول التي أوفدوا إليها، وكذا لقاءاتهم بالشخصيات السياسية والعلمية [5].

ثالثا– حركة انتقال العلماء وطلاب العلم الجزائريين إلى تونس.

يشكّل انتقال العلماء من الجزائر نحو تونس مظهرًا آخر من مظاهر الاتِّصال الثقافي بينهما؛ إذ نلاحظ بأنَّ العلماء والطلبة في البلدين لم يكتفوا بتبادل الرَّسائلِ والإجازات بينهما، كما لم يكتفِ كلٌّ

(1) عبد الله كروم: **الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات**،منشورات دحلب،الجزائر 2007م ،ص 39.

(2) سميرة انساعد: **الرحلات الجزائرية إلى المشرق دراسة في النشأة والتطور والبنية**،ط1،دار السويدي للنشر، أبو ظبي 2011م ،ص25.

(3) عبد الله كروم: المرجع السابق.

(4) عبد الكريم بناهض: المرجع السابق، ص ص 58-59.

(5) مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة...،المرجع السابق،ص11.

واحدٍ من هؤلاء بالعلوم والمعارف، التي نالها في بلاده؛ وإنَّما فضَّل الانتقال نحو البلد المجاور للالتقاء بعلمائه والاستزادة منهم. وبذلك ازدهرت حركة الذَّهابِ والإيابِ بينهما واستقرار العلماء في البلد المجاور بل وانشغالهم بالتدريس فيه وتقلّدهم وظائف الإفتاء والقضاء.

ويمكننا في هذا الإطار أن نميز صنفين من العلماء وطلبة العلم الجزائريين؛ فالصنف الأول منهم فضَّل البقاء في تونس والاندماج في علمائها، بينما فضل الصنف الثاني الهجرة المؤقتة إلى البلاد التونسية ، والعودة بعد ذلك إلى الجزائر ليشتغل ببث العلم بين أبناء بلده[1]. ونورد فيما يأتي بعض النماذج من علماء وطلبة العلم الجزائريين الذين قصدوا تونس، فمن هؤلاء نذكر:

1-الشيخ أبو زكريا يحي بن محمد الفكون(ت941هـ/1534م):

وكان عالما وفقيها خبيرا بمدونة ابن سحنون في الفقه. انتقل إلى تونس، وهناك صاهر الشيخ الزندويوي، ثم تولى إمامة جامع الزيتونة. توفي شهيدا سنة 941هـ/1535م بعد أن دخل عليه الإسبان الجامع وهو يروي البخاري[2].والسبب في التجائه إلى تونس كان هروبه من الاضطرابات التي حصلت في بلاده[3].

2- قاسم بن يحيى بن محمد الفكون (ت 965 هـ/ 1558م):

من أهم علماء وفقهاء مدينة قسنطينة، وفي هذه المدينة نشأ وتعلم[4] على يد شيوخ من أمثال الشيخ معُّوش والشَّيخ الوزان[5]. تولى مهنة القضاء، كما أنه إشتغل بتدريس التفسير بعد أن أخذ عن عدّة شيوخ، أمثال الشيخ عمر الوزان، ويذكر أنه زار تونس مع والده وخالط علماءها وأخذ عن الشيخ مغوش التونسي، ولمكانته العلمية تولى بها إمامة جامع البلاط[6].ولما عاد إلى قسنطينة عين بها قاضيا للجماعة[7].

---

(1)دلندة الارقش وآخرون: المغرب العربي...،المرجع السابق،ص303.

(2) عبد الكريم الفكون: المصدر السابق، ص- ص41-42.

(3)أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق،ج2،ص72. جميلة معاشي :**الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ/ 16 م إلى القرن 13هـ / 19م؛ دراسة اجتماعية سياسية** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة منتوري قسنطينة 1991م، ص233.

(4)عادل نويهض: المرجع السابق، ص255.

(5) ابن أبي دينار القيرواني: المصدر السابق،ص163.

(6) عبد الكريم الفكون: المصدر السابق ،ص- ص43- 44.

(7)رشيد بورويبة: قسنطينة، المرجع السابق،ص104.

ومن آثاره العلمية، نذكر: حواشي وتقايد على توضيح ابن هشام، و له تأليف في النحو. وفي هذا يقول الفكُّون:« دلّ على معرفته معتمدا فيه على الرضى والركن وشارح اللقب محشوا بالتعاليق الرائعة جمعها على عدة علوم وتصانيف» [1].لم تُحدد المصادر والمراجع التي استطعنا العودة إليها تاريخ ميلاده، لكنّها تحدد تاريخ وفاته بسنة 965هـ/ 1558م[2].

3- الفقيه عاشور بن عيسى القسنطيني(ت1074هـ/1664م):

هو عالم ورحالة من قسنطينة عاش بين عامي(984-1074هـ/1576-1664م)، نشأ في بلده قسنطينة، وفيها أخذ العلم عن والده وغيره من المشايخ.ولما توفي والده في سنة 1054هـ/1644م، خرج القسنطيني قاصدا طلب العلم؛ فزار العديد من البلدان في الجزائر والمغرب والمشرق.وقد دامت رحلاته حوالي عشرين سنة. وفي هذه المدة تعرَّف على عادات كثير من الشعوب وأحوالها، وأجاد لغاتها. وبعد ذلك رجع إلى مسقط رأسه وأخذ يحدث العلماء هناك عن كل ما رآه وعايشه.وبعد مدة خرج عاشور القسنطيني من الجزائر لظلم تعرض له، ولكنه أخيرا فضّل الإقامة مدة من الزمن في تونس، والأخذ عن علمائها. واشتغل بالتدريس في جامع الزيتونة. وكان يحكي لطلبته عن كل رحلاته وما شاهده أثناءها.بعد ذلك خرج إلى الحجاز مع أهله لأداء فريضة الحج، وهناك توفي. وقد ترك العديد من الكتب، من بينها: إعمال الفكر في ضبط لفظة القسطلاني وأبي بكر[3]. وقد تتلمذ على يد القسنطيني عدد لابأس به من الطلبة، نذكر منهم: محمد الحجيج الأندلسي، محمد بن سليمان،العياشي،ومحمد قويسم(ت. 1114هـ/1702م) التونسي[4]. ولسنا نعلم إن كان القسنطيني قد ترك رحلة مكتوبة، لأن أياً منها لم يصل إلينا، فلعله لم يدونها واكتفى بقصها على تلاميذته[5].

4-أبو القاسم بن محمد البجائي(كان حيا سنة 1025 هـ/1616م) :

من فقهاء الحنفية ومحدثيهم بتونس. وكان مشتغلا بعلم النحو والفقه.قضى فترة من الزمن في مدينة تونس، التي أخذ عن علمائها التونسيين والوافدين على البلاد من العثمانيين وغيرهم.بعد ذلك

(1) محمد بسكر: **أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة**، جزآن،طبعة 2، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر 2015م، ج2،ص52 .

(2)عادل نويهض: المرجع السابق.

(3)نفسه،ص262.

(4)أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق.

(5)نفسه.

عمل خطيبا في أحد الجوامع الواقعة خارج باب الجزيرة في مدينة تونس[1].

5- أحمد المقَّري التلمساني (ت.1041هـ/1631م):

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي العيش ابن محمد المقري التلمساني. تعود أصوله إلى قرية مقرة الواقعة بين بريكة والمسيلة، ومن هناك انتقل جده الخامس عبد الرحمن المقري في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد نحو تلمسان ، وهناك ولد المترجم له سنة 1578م،ونشأ وتعلم. ولما بلغ الثالثة والعشرين من العمر، غادر نحو فاس، وكان ذلك سنة 1009هـ/1600م، ومنها انتقل إلى مراكش وأخذ يتنقل بين الحاضرتين مدة سنة، وقد أعجب بالرقي الحضاري الذي كانت عليه تلك البلاد، و عاد بعد ذلك إلى تلمسان وهو ينوي الرجوع مرة أخرى إلى المغرب الأقصى[2].

وفي سنة 1013هـ/1604م رجع المقري إلى المغرب الأقصى، واستقر هناك إلى غاية سنة 1027هـ/1617م، عندما اضطربت الأوضاع في البلاد، وخوفا من الفتنة، خرج من البلاد مضطرا تاركا وراءه زوجته، وابنته وخزانة كتبه، وتوجه نحو بلاد الحجاز[3].

من أهم مؤلفاته رحلته الحجازية التي سمَّاها "رحلة في المشرق والمغرب"، وكان لديه رغبة قوية في أداء فريضتي الحج والعمرة، ولذلك خرج في رمضان1027هـ/1617م بعد أن استأذن سلطان المغرب في الذهاب، فلما أذن له خرج براً من المغرب ومرَّ بالجزائر ثم تونس، ومنها دخل إلى مصر ،ثم ركب البحر نحو الحجاز، وقد وصل إلى هناك بعد معاناة ومشاق كثيرة[4]. حيث أدى المقَّري مناسك العمرة، وكان ذلك في شهر ذي القعدة، بعدها أدى فريضة الحج، ومن هناك رجع إلى مصر التي دخلها عام 1029هـ/1619م[5].

ضمن المقري في رحلته محطات من حياته الشخصية في الحواضر التي زارها مثل: تلمسان، المغرب، تونس، مصر، الشام والحجاز، والحياة الثقافية والجوانب التاريخية لهذه الحواضر، وتطرق أيضا لبعض

---

(1)أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع نفسه، ج2، ص163.و محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، ج1،ص- ص100-101.

(2) أبو العباس أحمد المقري: المصدر السابق، ص- ص5-6.

(3)نفسه.

(4) عبد الجليل شقرون: **نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب لابن عمار أبي العباس سيدي أحمد دراسة وتحقيق**،رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في تحقيق المخطوطات، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 1437- 1438هـ/2016-2017م،ص- ص43-44.

(5)نفسه،ص44.

المسائل الفقهية. كما احتوت الرحلة على مخاطبات المقري ومساجلاته ومراسلاته مع أدباء وعلماء وشعراء وفقهاء وقضاة وغيرهم ممن عاصرهم المقري. كما لا تخلو الرحلة من قصائد نظمها المقَّري أو نظمها شعراء آخرون عاصرهم[1]. ومنذ ذلك التاريخ أخذ المقَّري في التنقل بين الحجاز والشام ومصر مدَّة أربعة عشر سنة اشتغل خلالها في بثِّ العلم والتدريس والتآليف حتى توفي سنة 1041هـ/1631م بالقاهرة[2].ومن أهم المؤلفات التي وصلتنا: رحلة المقري إلى المغرب والمشرق[3].

وبالعودة إلى رحلة المقري،كانت تونس ثاني محطة يتوقف عندها بعد الجزائر، وهناك طلب منه تاج العارفين أن يجيزه قبل أن يحل بسوسة[4].

6- أبو مهدي عيسى الثَّعالبي(ت.1080هـ/1669م):

هو عيسى بن محمد بن أحمد بن عامر الجعفري الهاشمي الجزائري جار الله، فقيهٌ ومحدِّثٌ مالكيٌّ ولد في زواوة سنة 1020هـ/1611م، ولكنَّ أصوله تعود إلى وادي يسر[5]. وبُغية للاستزادة في تحصيل العلم، دخل الثعالبي إلى مدينة الجزائر، أين أخذ عن مجموعة من الشيوخ، من أمثال: أبو الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري(ت. 1054هـ/1644م) دفين الجزائر، سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري، عبد الرحمن بن محمد الهواري[6].

قام برحلة إلى تونس، وأخذ عن علمائها الأجلاء، من أمثال الشيخ زين العابدين. ومنها توجَّه إلى المشرق فحج سنة 1062هـ/1651م واستقر في مكَّةَ المكرمة مدَّةً من الزَّمن، أين أخذ العلم عن القشاهلي، الزين الطبري، والبابلي. وآخرُ محطَّةٍ في رحلته كانت مصرَ، التي أخذ عن علمائها من أمثال القاضي شهاب الدِّين أحمد الخفاجي، الأجهوري، والميموني. ليرجع بعد ذلك إلى مكَّةَ المكرمة أين توفي سنة 1080هـ/1669م[7].

ترك الثعالبي مجموعةً من المصنَّفات، نذكر منها: "كنز الرواة في درر الحجاز"، و" تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس"، و"يواقيت المسموع" الذي جمع فيه كلَّ شيوخه، الذين تتلمذ عليهم؛ فعرَّف

(1) أبو العباس أحمد المقري: المصدر السابق، ص102.

(2) يحي بوعزيز: **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، جزآن، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995م ، ص 177.

(3) نفسه.

(4)أبو العباس أحمد المقري: المصدر السابق.

(5) أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق،ج1،ص79.

(6) نفسه،ج1،ص79.

(7)نفسه. عادل نويهض: المرجع السابق، ص 91.

بهم وبشيوخهم وحصر فيه كلَّ مؤلَّفاتهم، و"رسالة في مضاعفة ثواب هذه الأمة"،و"مشارق الأنوار في بيان فضل الورع من السُّنَّة وكلام الأخيار"، و"منتخب الأسانيد" الذي خصَّصه للحديث عن شيوخه، وأسماء رواة الإمام أبي حنيفة[1].

7- أحمد بن قاسم البوني(ت. 1139هـ/1726م):

هو أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد الساسي التميمي البوني الفقيه والمحدّث المالكي. ولد ببونة (أو عنابة) لأسرة ميسورة الحال سنة 1063هـ/1653م، وفيها توفي سنة 1139هـ/1726م[2].

بدأ أحمد تعليمه في مسقط رأسه على يد كلٍّ من والده قاسم وجدّه محمَّد والشَّيخ إبراهيم بن التّومي. وبعدها خرج إلى تونس طالبا العلم، ومكث بها مدة طويلة، قرأ خلالها على مجموعة من الشيوخ وأجَاز وأُجيز[3] .وبعد أدائه فريضة الحج، عرج على مصر، وفيها أخذ عن علمائها، وقد تصدَّر للتدريس بالأزهر الشريف[4].

عاد أحمد بن ساسي إلى عنابة، وتفرغ للتدريس والتأليف، وأخذ عنه مجموعة من علماء المدينة، من أمثال:عبد الرحمن الجامعي، وعبد القادر الرَّاشدي القسنطيني[5].

ومن آثاره الأدبية في مجال الشعر؛ فيذكر أن أحمد بن ساسي البوني كان واسع الثقافة، فإلى جانب ضلوعه في الفقه والحديث النبوي عرف عنه اهتمامه بالشعر، وبالأخص الشعر التعليمي. ومن بين قصائده المشهورة، أرجوزة أرسلها إلى محمد بكداش(ت. 1122هـ/1710م) مهنئا إياه من خلالها بفتح وهران الثاني سنة 1120هـ/1792م.إضافة إلى قصيدة أخرى نظمها في مدح ووعظ الداي محمد بكداش، وكان ذلك بطلب من هذا الأخير[6]. أما في مجال المصنّفات، فقد ترك البوني ما يفوق المائة كتاب، نذكر منها:

---

(1)عادل نويهض: المرجع السابق.

(2)أحمد بن قاسم البوني: **الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة**، تق. تح. سعيد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة2007م ،ص12.

(3)كوثر العايب: **العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات 1711-1830م**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة حمة لخضر،الوادي، السنة الجامعية2014/2013م،ص92.

(4)أحمد بن قاسم البوني: المصدر السابق،ص13.

(5)نفسه.

(6)أحمد بن قاسم البوني: المصدر السابق،ص- ص13-14.

الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، فتح الباري في شرح غريب البخاري، نظم الخصائص النبوية، الإلهام والانتباه في رفع الإبهام والاشتباه، الثمار المختصرة في المناقب العشرة، الظل الوريف في الحث على العلم الشريف، تنوير السريرة بذكر أعظم السيرة، الذّخر الأسنى بذكر أسماء الله تعالى الحُسنى....[1]

8-أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي المليكي (ت. 1187هـ/1773م):

ولد سنة 1079هـ/1669م وتوفي 1187هـ/1773م. ببلدة مليكة بوادي ميزاب،وينحدر من عائلة آل ويرو. سافر إلى جربة مع والده سنة 1103هـ/1692م واستقر بها[2]. أخذ أبو يعقوب العلم عن مشايخ الجزيرة، منهم الشيخ يحي بن سعيد الجادوي، والشيخ سليمان بن محمد الباروني، والشيخ عمر بن علي السدويكشي[3].

وفي سنة 1108هـ/1691م مثَّل جزيرة جربة بعد مشاركته في اجتماع عقد بلالوت إحدى مدن جبل نفوسة[4].وفي سنة 1112هـ/1701م خرج إلى تونس ليستزيد من العلم، وعرج بعدها إلى مصر حيث حضر دروسا بالأزهر، ثم عاد إلى جربة وقد كثر علمه، وصار مفتي الجزيرة وكبير علمائها، ورئيس مجلس الحكم فيها، وله مجالس للتدريس بمساجدها، ولكنَّه كان أكثر ملازمة للجامع الكبير[5].

ولما وقعت فتنة بالجزيرة اضطرته إلى الخروج منها رفقة شيخه سعيد بن يحي إلى جادو بجبل نفوسة، مكث بها سبع سنين، ثم رجع إلى جربة.كان مهيب الجانب، يعظمه الحكام والأمراء جريئا في قول الحق، لا يخشى في الله لومة لائم.وكان في نظر العثمانيين ممثل إباضية المغرب الإسلامي وزعيمهم[6].

8- أبو العباس أحمد بن رمضان المليكي(ت. 1234هـ / 1818م):

هو عالم ومفت من قصر مليكة[7] بوادي مزاب. تنقَّل إلى جزيرة جربة وعاش بها وتتلمذ على يد الشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف المصعبي المليكي (ت 1207هـ/1793م)، وتولى التدريس بجامع قايد البلد بجربة[8].

---

(1)أحمد بن قاسم البوني: المصدر نفسه، ص31.

(2)إبراهيم بن بكير بحاز ،وآخرون: **معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر قسم المغرب الإسلامي**، جزآن، ط2،دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000م ،ج1،ص491.

(3)نفسه.

(4)محمد محفوظ: المرجع السابق،ج4،ص338.

(5)إبراهيم بن بكير بحاز، وآخرون: المرجع السابق.

(6)نفسه،ج1،ص492.

(7)اسمها الأصلي أتمليشت، نسبة إلى الزعيم الزناتي مليكش. ويقال أيضا أنها سميت مليكة رفعة لها، لأنها تعلو بقية مدن مزاب. أما عن إنشائها، فتم على مرحلتين: الأولى وكانت سنة 408هـ/1018م، ولكن الدمار طال هذه المدينة سنة 1123م.أما مدينة مليكة الحالية، فبنيت سنة 750هـ على يد أبي دحمان ويرو بن سليمان ومن جاء معه من جبل نفوسة وقتها. ينظر: بكير بن سعيد اعوشت: **وادي ميزاب في ظل الحضارة العربية الإسلامية دينيا، تاريخيا، اجتماعيا**، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر 1991م، ص68.

(8) إبراهيم بن بكير بحاز، وآخرون: المرجع السابق، ج2،ص43.

9- أبو زكرياء يحي بن صالح المعروف باسم" عمي يحي" (ت. 1202هـ/ 1788م)

هو واحد من كبار العلماء والمشايخ الفقهاء في منطقة وادي مزاب جنوب الجزائر، والباعث الأول للنهضة الحديثة في المنطقة. ولد سنة 1126هـ/1714م في بني يزقن بوادي ميزاب، وفيها تلقى مبادئ العلوم. وبعد فترة شدّ الرحال إلى جزيرة جربة، ومكث بها اثنتي عشر سنة منشغلا بطلب العلم؛ أين تلقى العلم بداية على يد مشايخها، ثم لازم بعد ذلك الشيخ أبا يعقوب يوسف بن محمد المصعبي المليكي (ت 1188هـ/1774م) نزيل جربة، ثم رحل بعدها إلى مصر، أين لازم دروس المدرسة الإباضية ودروس بالجامع الأزهر [1].

وبالعودة إلى شيخنا ودروسه في جربة، فإنه أخذ في البداية من مجموع مشايخها،ثم انقطع للشيخ أبي يعقوب يوسف بن محمد المصعبي المليكي(ت 1188هـ/1774م) نزيل جربة بتونس، التي مكث بها اثنتي عشرة سنة متصلة تفرغ فيها للعلم بشكل كلي لا يلهيه عنه شيء،حتى أنه كان لا يقرأ رسائل أهله أبدا. وبعد إتمام دراسته فتح الرسائل فوجد أن جل أهله قد ماتوا[2]. ثم رحل إلى مصر، فلازم دروس المدرسة الإباضية بوكالة الجاموس[3] العامرة، ودروس جامع الأزهر الزاهر. وكان إلى جانب التعلم يعنى بنسخ نفائس الكتب التي تحويها خزانة مخطوطات آل أفضل حاليا.وفي هذه المرحلة رافق الشيخ أبا حفص عمرو بن رمضان التلاتي الجربي[4].

عاد إلى موطنه بوادي ميزاب في حوالي سنة 1157هـ/1744م بعد إلمامه بعلوم كثيرة. وشرع بع ذلك في وضع أسس حركة إصلاحية شاملة؛ فعلَّم وأرشد ووجَّه وسدَّد وثمر عن ساعد الجد في الإصلاح والتعليم والوعظ والإرشاد بدار للتلاميذ، وهي في الأصل جزء من مسكنه، والتي تحولت إلى مدرسة بمثابة قسم للدراسات العليا. فتخرجت على يديه جحافل الطلبة ،قادوا الحركة الإصلاحية في

---

(1)ابراهيم بن بكير بحاز، وآخرون: المرجع نفسه،ج1،ص460.

(2)نفسه.

(3)والسبب وراء تأسيس هذه الوكالة ،هو وصول عدد من التجار الجربيين إلى مصر بصحبة أسرهم، بغرض الاستقرار والاشتغال بالتجارة. وكان أول هؤلاء الوافدين عبد العزيز بن منصور البحار الجربي الذي جاء في النصف الأول من القرن 11هـ/17م، واستثمر أمواله في تجارة الغلال، ثم فكّر مع باقي أفراد جاليته في اتخاذ مقر لإقامتهم، فتطوّع بأن أوقف محلا لذلك الغرض وأسس الوكالة بمحيط سوق ابن طولون، ولذلك سُميت الوكالة بادئ الأمر باسمه، وكانت مخصصة لسكنى الطلبة الإباضيين وحافلة بالعلماء الإباضيين الوافدين من جزيرة جربة، وجبل نفوسة،ووادي مزاب.بعد ذلك تغير اسمها إلى وكالة الجاموس لأنها أصبحت ابتداء من أواخر القرن 11هـ/17م مكانا مخصّصا لتخزين جلود الجواميس وبيعها. وكانت الوكالة مكونة من مدرسة ومكتبة ومأوى ومحلات تجارية ينفق بعض من ريعها على العائلات الجربية المهاجرة. للمزيد ينظر:فتحي بوعجيلة:**الإباضية التونسيون وأثرهم في الثقافة الوطنية مدخل إلى دراسة الآخر المحلي**،ط1،مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس 2016م،ص41.

(4) ابراهيم بن بكير بحاز، وآخرون: المرجع السابق،ج2،ص 416.

مواطنهم في مدن ميزاب ووارجلان ووادي ريغ، منهم:ابنه موسى، والشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني، وإبراهيم بن بيحمان، وحمو والحاج اليسجني، وأبو يعقوب يوسف بن عدون، وبابه بن امحمد الغرداوي[1].وفي بداية مقامه بوادي ميزاب انتظم في حلقة العزّابة[2] ببلدته، وقد صدرت في عهده تقنينات(اتفاقيات العزابة) تهدف إلى تنظيم المجتمع في مختلف مناحي حياته[3].

أما عن آثاره العلمية، فقد ترك الكثير من الرسائل والحواشي والشروحات. وافته المنية في 25 رجب 1202هـ/1 ماي 1788م بعد أن لازم الفراش مدة ثلاث سنوات بسبب مرض مزمن في ركبته، ودفن في مقبرة باسَّة وافضل[4].

10-عبد الرَّزاق بن محمد بن حمادوش الجزائري:

هو رحالة وطبيب وعالم نبات وفقيه مالكي[5]وُلِد سنة 1107هـ/1695م في مدينة الجزائر لأسرةٍ تمتهن دباغة الجلود[6]. تثقَّف ابن حمادوش على شيوخ بلاده، ومنهم أحمد بن عمَّار، ومحمد بن ميمون وغيرهم. وأخذ في تونس عن المفتي والشاعر أبي عبد الله محمد زيتونة[7]. ومن أهم مؤلَّفاته نذكر:

- لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال: وهذا أكثر كتاب أشتهر به ابن حمادوش. ويندرج ضمن أدب الرحلات، ذلك أنه ضمن هذا الكتاب كل ما شاهده من أحداث خلال السنوات الخمس التي قضاها في الترحال، أي بين عامي(1156-1161هـ/1743-1748م)[8].

ويفهم من كتاب ابن حمادوش، أن الجزء الذي وصلنا هو الجزء الثاني، بينما تظل باقي الأجزاء وهي الأول والثالث-وربما للكتاب جزء آخر- مفقودة. والجزء الثاني من الكتاب مقسَّم الى ثلاثة أجزاء،

---

(1) ابراهيم بن بكير بحاز، وآخرون: المرجع نفسه،ج2،ص417.

(2) لغة مشتقة من العزوب وعزب الشيء عنه بعد وغاب وخفي. والمقصود هنا العزلة والتصوف والانقطاع إلى خدمة المصلحة العامة.أما اصطلاحا فهي هيئة محدودة العدد تضم خيرة أهل البلد علما وصلاحا. وتشرف هذه الهيئة بشكل كلي على الشؤون الدينية والتعليمية والاجتماعية و السياسية والاقتصادية للمجتمع الإباضي. تأسس النظام من قبل أبي عبد الله محمد بن بكر النفوسي الفرسطائي(ت440هـ/1049م) للحفاظ على الدين، وتجميع كل الهيئات الإباضية بجبل نفوسة وجزيرة جربة ووادي ريغ و وارجلان، وأطلق على النظام اسم نظام العزابة. للمزيد ينظر:حمو محمد عيسى النوري: **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**،5أجزاء،دار مساحات المعرفة، الجزائر 2015م،ج1،ص155.

(3) ابراهيم بن بكير بحاز، وآخرون: المرجع السابق،ج1،ص460.

(4)نفسه،ج1،ص461.

(5)عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**،6 أجزاء،دار الأمة، الجزائر2014م،ج4،ص214.

(6)أبو القاسم سعد الله:"**عبد الرزاق بن حمادوش ورحلته لسان المقال**"،في **مجلة الأصالة**،شوال 1396هـ/أكتوبر 1976م، ع38 ،ص5.

(7) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر...،المرجع السابق.

(8) ناصر الدين سعيدوني : **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين**،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999م،ص433.

الأول منها خصَّصه صاحبه للحديث عن المغرب الأقصى وأحواله، بينما يتحدث الجزء الثاني عن النشاطات التي قام بها ابن حمادوش في المغرب، وأخيراً ضمَّ الجزء الثالث نصوصا مختلفة، مثل قائمة بحكام مدينة الجزائر منذ بداية العهد العثماني إلى غاية عصر المؤلف، إضافة إلى نصوص اقتبسها من كتب سابقة، مثل كتاب أنس الجليل. وأخيراً مجموعة من عقود الزواج والنوازل [1].

11-أحمد بن عمَّار (ت. 1206هـ /1791م):

هو أبو العباس أحمد بن عمَّار؛ مفتي المالكية بالجزائر في عصره ،وهو أديب وعالم عاش في مدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر للميلاد،غير أن المعلومات عن تاريخ ميلاده غير معلوم،ولا تاريخ وفاته ،ولا حتى نسبه غير متوفرة، ومع ذلك يرجح أنه ولد سنة 1119هـ/1707م لأسرة علمية عريقة، وتوفي سنة 1205هـ/1790م أو بعده بقليل لانقطاع أخباره بعد هذا التاريخ[2].

حفظ ابن عمار القرآن الكريم ،ودرس الفقه ،وكان مهتما بالأدب والشعر. وبعد انتهاء فترة تعليمه عين مفتيا وفق المذهب المالكي سنة 1180هـ/1766م، واستمر في وظيفته إلى غاية 1184هـ/1770م[3].

قَصَد ابن عمَّار البلاد التونسية سنة 1195هـ/1780م للاستقرار بها،وقد يعود السبب في ذلك إلى الباي علي باشا الثاني (1759-1782م) كان مُحباً للعلم والعلماء، فقرَّب هؤلاء إليه وجمعهم في مجلسه،فكان يحاورهم ويشاركهم في علومهم،ويسهر مع مجموعة من العلماء كل ليلة فيستعرضون الكتب المهمة، ويتناقشون حول ما جاء فيها،بعد ذلك يطرح عليهم مسائل في علوم مختلفة، ومن تمكن من الإجابة يكرمه غاية الإكرام[4]. غير أن ابن عمار ترك البلاد التونسية بعد مدَّة وتوجه نحو المشرق. ولعل ذلك راجع إلى منافسة العلماء التونسيين له،ووفاة كل من الباي علي باشا، ووزيره حمّودة باشا الذي كان صديقا لابن عمَّار سنة 1202هـ/1787م[5]. ومن تلامذته: أبو راس الناصري المعسكري، الذي وصفَ شيخَه ابن عمَّار بقوله: " عالِم الجزائر، أمَّنها الله من سوء الدوائر...حَبرُ الأكابِرِ، وبحرُ المكارِمِ، تاجُ المفاخِرِ، وقليلُ (كم تركَ الأولُ للآخِرِ)، علاَ بعلمِه واعتزّ، وماثلَ في الأدب ابنَ الخطيب وابنَ

(1)ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي...، المرجع نفسه، ص- ص433-434.

(2)عبد الجليل شقرون: المرجع السابق، ص60.

(3)نفسه،ص62.

(4)أبو عبد الله محمد بن عثمان السنوسي: المرجع السابق،ج1،ص112.

(5)أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع السابق،ج2، ص226.

المعتزّ، وفكَّ فيها بذكائه كلَّ عويص جليل، وشابَهَ بذكائه إياسَ بنَ معاوية والخليل، وألقَتْ إليه رئاسةُ العلوم زمامَها، ووقفتْ الأعلامُ دونه بمراحل فصارَ أمامَها"[1].

ومن أهم مُؤلَّفاته، نذكر:نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب: وهي رحلة حجازية قام بها ابن عمَّار سنة 1166هـ/1752م. وفي مكة المكرمة كتب رحلته هذه. ولكنها في حكم المفقودة، إذ لم يعثر سوى على المقدمة،التي ضمنها قصائد وصف من خلالها شوقه للبقاع المقدسة. وأورد أيضا وصفا لبعض عادات الجزائريين وتقاليدهم، وخاصة أثناء الاحتفال بالمولد النبوي الشريف. أما الجزآن الباقيان من الرحلة فلا يزالان مفقودين[2].

12-أبو راس الناصر أبو راس الناصري المعسكري الجزائري (ت.1238هـ/1823م) :

هو الحافظ أبو راس محمد بن أحمد الناصري الراشدي المعسكري. ولد بقلعة بني راشد جنوب مدينة معسكر سنة 1150هـ/1737م[3]. عانى أبو راس الناصر من الفقر والتشرد في صغره، عندما كان في الجزائر وفي المغرب الأقصى أيضا بعد أن أخذه إلى هناك أخوه الأكبر[4] ولكن هذا لم يمنعه من تلقي تعليمه؛ إذ أنه حفظ القرآن الكريم برواية «قالون»[5]على يد الشيخ منصور الضرير[6].

كان أبو راس الناصر ذا ثقافة واسعة في مجالات متعدّدة، منها الأدب، والفقه، والتاريخ. وقد حاز على هذه الثقافة بفضل جهود شيوخه الكثر، الذين كانوا مصدر فخر دائم له، ولذلك خصَّص لهم باباً في سيرته، بالإضافة إلى جهوده الشخصية في تحصيل هذه العلوم المختلفة[7].ومن شيوخه في هذه المرحلة: عبد القادر المشرفي، الذي لازمه مدَّة من الزمن، والذي رشَّحه ليخلفه في التدريس[8].

(1)أبو راس الناصري، فتح الإله...،المصدر السابق، ص48.

(2)عبد الجليل شقرون:المرجع السابق،ص48.

(3)عبد القادر بكاري:"**الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية أبو راس الناصري أنموذجا**"،في مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة ابن خلدون ،تيارت 2013م، ع6،ص118.

(4)أبو راس الناصر:المصدر السابق، ص19.

(5)هو عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى المدني أبو موسى مولى الأنصار عاش بين عامي(120هـ/738م-220هـ/835م)، أحد القراء المشهورين من أهل المدينة، مولدا ووفاة. انتهت إليه الرياسة في علوم العربية والقراءة في زمانه بالحجاز،كان أصما يقرأ عليه القرآن وهو ينظر الى شفتي القارئ فيرد عليه اللحن والخطأ.أما قالون فهو لقب دعاه به نافع القارئ لجودة قراءته ومعناه جيد بلغة الروم.ينظر:خير الدين الزركلي:المرجع السابق،ج5،ص110.

(6) عبد القادر بكاري: المرجع السابق.

(7)نفسه،ص-ص118-119.

(8)أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع السابق ج2، ص378.

لم يكتف أبو راس بما تعلَّمه على يد شيوخه في الجزائر، وإنما سعى إلى الاستزادة من علماء الأقطار الأخرى، ولذلك نزل في تونس[1] أثناء خروجه لتأدية فريضة الحج سنة 1790م؛ أين التقى بعدد من علمائها، من أمثال: محمد بن قاسم المحجوب[2] عالم افريقية وتونس[3]، شيخ الإسلام محمد بيرم ، الذي قرأ عليه كتاب مختصر الكنز في الفقه الحنفي، واستفاد كذلك من والده الذي كان قاضيا. والتقى كذلك بالشيخ صالح الكواش[4].كما أنه انضم إلى المجالس العلمية في المدينة، والتي كان ينشطها الشيخ محمد بن قاسم المحجوب، والأديب ابراهيم الرياحي، الذي مدح المترجم له بقصيدة [5].بعد ذلك واصل أبو راس رحلته إلى مكة المكرمة.ولما أنهى فريضة الحج توجه إلى القاهرة، أين التقى بمشايخ أجلاء على غرار الشيخين مرتضى الزبيدي، و الشرقاوي، اللذان أجازاه ولقباه بالحافظ وشيخ الإسلام[6].

كانت وفاة أبي راس الناصر سنة 1238هـ/1823م بوباء الطاعون، وقد تجاوز التسعين من عمره ودفن بمنطقة باب علي الواقعة وسط مدينة معسكر، أين يوجد ضريحه إلى يومنا هذا[7].ترك أبو راس مجموعة من المؤلفات، بلغ عددها المائة والأربعين كتابا في ثمانية عشر علما وفنا،منها أربعة وثلاثون في علم التاريخ[8]، نذكر منها:

- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار:وهذا الكتاب شرح لقصيدته السينية وعدد أبياتها مائة وثمانية عشر بيتا،والمعروفة بنفيسة الجمان في فتح وهران على يد المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان. ومناسبة نظمه لهذه القصيدة، أنه عند عودته من الحج وأثناء تواجده بجربة بلغه خبر حصار وهران. أمَّا شرح

(1) أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع نفسه.

(2)هو الشيخ الإمام العلامة قاضي الجماعة أبو حفص عمر ابن الشيخ قاسم المحجوب المساكني، أخذ عن والده وعن الشيخ حمودة بن عبد العزيز والشيخ الغرياني وغيرهم.وأخذ عنه الشيخ ابراهيم الرياحي والشيخ إسماعيل التميمي وغيرهما.له رسائل كثيرة منها رسالة في الرد على محمد بن عبد الوهاب.توفي سنة 1222هـ.ينظر: أبو الفداء إسماعيل التميمي:**برنامج المقدمين للإمامة والخطابة بالجامع الأعظم من تونس من لدن الشيخ الإمام ابن عرفة فمن بعده**،تح.وتع: حمدي بن الحبيب البدراني، دار الكتب العلمية،بيروت 2018م، ص ص14-15.

(3)أبو راس الناصر: فتح الإله ومنته...،المصدر السابق، ص 51.

(4) واسمه الكامل صالح بن حسين بن محمد الكواش الكافي، ينتهي نسبه إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش الحسيني. وارتحلوا من المغرب إلى الكاف؛ وهو الشهير بالكواش، ذلك أن جده قَدِم من الكاف إلى مدينة تونس، واشتغل بمخبزة واقعة قرب بطحاء سيدي المشرف؛ ولذلك عرف بالكوَّاش.ولد في ربيع الأول من سنة 1137هـ/1735م ، وقرأ بجامع بالزيتونة وبه أصبح مدرسا.ولخوفه من علي باي الذي كان يريد البطش به اضطر إلى اللجوء إلى طرابلس الغرب، ومنها خرج إلى الشام، ثم قصد اسطنبول وتعرَّف بعلمائها، ونال حظوة عند شيخ الإسلام. توفي رحمه الله في عام 1218هـ/1803م. ينظر: محمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق،ج1، ص365. محمد محفوظ:المرجع السابق، ج2، ص144.

(5)عبد الرحمن بن محمد الجيلالي:المرجع السابق،ج4،ص209.

(6) عبد القادر بكاري:المرجع السابق ،ص119.

(7) نفسه.

(8) عدّة بن داهة:"**ملاحظات نقدية حول مخطوط زهر الشماريخ في علم التاريخ لأبي راس الناصري**"،في المجلة الجزائرية للمخطوطات،جامعة وهران 2013م،ع10،ص50.

القصيدة فقد كان بأمر من الباي محمد الكبير.وأوضح الغاية من هذا الكتاب، وهي خوض مجال التأليف في التاريخ بعد أن درسه وتفقَّه فيه. وقد تطرق في الجزء الأول من هذا الكتاب إلى تاريخ مدينة وهران منذ تشييدها والدول التي دانت لحكمها هذه المدينة ومختلف الأحداث التي تعاقبت عليها.بينما خصّص الجزء الثاني للحديث عن فتح وهران ومدح فاتحها. وقد جاءت هذه الأحداث في بعض الأحيان غير مرتبة ومتداخلة في بعضها(1).

-رحلته إلى تونس، والتي ألّفها في سنة 1204هـ/1789م وضمّنها في كتابه المعنون بـ"فتح الإله ومنَّته في التحدُّث بفضل ربي ونعمته"،ويندرج هذا الكتاب ضمن السيرة الذاتية الشخصية؛ذلك أن أبا راس استعرض فيه جميع محطّات حياته، منذ أن كان صغيرا وكيف عانى من الفقر والتشرد، سواء في الجزائر أو في المغرب الأقصى.ثم تحدّث عن شيوخه، الذين أخذ عنهم مختلف العلوم التي تعلَّمها، وعرج بعد ذلك على رحلاته التي قام بها، سواء في بلاد المغرب أو المشرق ولقائه العلماء والأسئلة التي طرحها هو والتي طُرحت عليه، مع استعراض المؤلفات التي ألَّفها، وتتخلل هذه المحطات كلها بعض الأحداث السياسية والتجارية التي عاصرها في البلدان التي زارها.

وكانت مدينة الجزائر أولى محطَّاته في هذه الرحلة ،ثم مدينة قسنطينة، ومنها دخل إلى تونس التي وصفها بقوله:«...ثم ذهبت إلى تونس أم البلاد، ومثوى الطارق والتلاد، هي التي على عمل أهلها في القديم بهذا الإقليم كان العمل، والمصر الذي في خطة المعمور الناقة والجمل... ،يقضي منها نفثه العاكف والبادي، والرائح والغادي...».ثم اجتمع بعلمائها المذكورين سابقا. وكانت له معهم مناقشات فقهية، من ذلك جلوسه ذات يوم مع العالم محمد بن المحجوب، وإذا بخصمين يحضران وهما يتنازعان في حضانة، فوضح أبو راس هذه المسألة انطلاقا من قول الشيخ خليل، فلما وجد الشيخ المحجوب كلامه صحيحا صار يستشيره في كل النوازل التي تعترضه(2).

وموقفان آخران وقعا لأبي راس؛ أحدهما مع الشيخ أبي سعيد الباجي، عندما استعرض حادثة تاريخية تتعلق بموت ابن رشد الأندلسي ومكان دفنه، وقد اخطأ الشيخ في تحديدهما، ولذلك صحَّح له أبو راس هذه المعلومات. أما الموقف الثاني، فكان مع صالح الكواش(ت.1218هـ/1803م)، الذي انتقد بعض العلماء السابقين، من أمثال: البرزلي، وابن ناجي، وابن خلدون، وكان أبو راس حاضرا في

(1)ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي...،المرجع السابق،ص-ص463-464.

(2)نفسه، ص -ص108-109.

مجلسه، فلم يلتزم الصمت، وإنما دافع عنهم بلطف مبرزا المكانة العلمية الرفيعة لكل واحد منهم[1]. وقد اجتمع أبو راس مع علماء آخرين في الجامع الأعظم بمدينة تونس. وكانت له معهم مساجلات ونقاشات ومناظرات، فتفوق عليهم، وفي هذا الصدد يقول:«...واجتمعت مع العلماء بجامعها الأعظم، فتذاكرنا وتناظرنا وترافعنا وتقابضنا في جميع الفنون الدقيقة، والمسائل المخفية.وقد أظهرني الله عليهم في ذلك كله.ثم سألوني عن أشياء صعاب فقهية،فأجبتهم عليها بما عندي من الأنقال الرائعة عليها، من غير توقف ولا تلعثم »[2].

ولما علم بذلك حمّودة باشا الحسيني(1782-1814م) استدعى أبا راس إلى مجلسه، وقد فرح به كثيرا وأكرم وفادته، وسأله عن بعض المدن، مثل:قسنطينة، والقيروان، وبعض المعالم التي وجدت ببلاد المغرب، مثل المعلقة والحنايا، فأجابه على قدر معرفته بهذه الأمور،فاستحسن حمّودة باشا جوابه وسر به كثيرا[3]. ويُلاحظ من هذا الاستقبال أن حمّودة باشا الحُسيني كان محبا للعلم والعلماء؛ ميالا للمعرفة والاطلاع، بالإضافة إلى أن الاشتباكات التي كانت تحدث بين الجزائر وتونس لم تؤثر على موقف حمّودة باشا من العلماء الجزائريين، وإلا ما كان قد استقبل أبا راس واحتفى به وأكرمه.

13- الحسين الورثيلاني (ت. 1193 هـ/ 1779م):

هو الحسين بن محمد السعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر بن أحمد الشريف المولود سنة 1125هـ/1713م في قرية بني ورثيلان، وفيها حفظ القرآن الكريم، ودرس علوم الفقه، الحديث،النحو والصرف، علم العروض و البلاغة على والده وشيوخ آخرين من أمثال:الشيخ يحي اليعلاوي،الشيخ أحمد زروق ابن الشيخ العنابي وغيرهم. ولم يكتف بما أخذه عن شيوخ قريته بل زار مدنا أخرى، مثل مدينة الجزائر، عنابة،قسنطينة، تلمسان، سيدي عقبة وغيرها، وغرضه في ذلك الاستزادة من علماء هذه الحواضر والتبرك بصلحائها[4]. ويُعرف عنه أنه كان صاحب الأسفار والرحلات إلى الحجاز لأداء الحج في ثلاثة مواسم متفرقة من ثلاثة عقود متتالية.

وعلى غرار بقية العلماء؛ زار الورثيلاني تونس، ثم حج ثلاث مرات، وقد أسهمت هذه الرحلات في زيادة رصيده المعرفي، ولذلك تصدى للتدريس ولقّن طلبة العلم ما تعلمه، ومنهم: محمد بن الفقيه،

(1) أبو راس الناصري: فتح الإله ومنته...،المصدر السابق، ص- ص109-110.

(2)نفسه، ص115.

(3)نفسه.

(4) يحي بوعزيز:أعلام الفكر والثقافة ...،المرجع السابق،ج1،ص-ص44-45.

يحي بن حمزة،ومحمد بن عبد الله وغيرهم. توفي الحسين الورثيلاني سنة 1193 أو 1194هـ/1779 أو 1780م.ودفن بمسقط رأسه[1].

وقد خرج الورثيلاني قاصدا المدينة المنورة عام 1179هـ/1765م لأداء فريضة الحج' وبعد عودته من البقاع المقدسة كانت مدينة تونس آخر محطة له في هذه الرحلة قبل أن يدخل مدينة قسنطينة. وفي مدينة تونس التقى بعدد من العلماء، أولهم الشيخ محمد الغرياني، الذي أنزله في داره وأكرمه غاية الإكرام، ولما سمع علماء وصلحاء المدينة وحتى عامة الناس بوجود الورثيلاني هناك أصبحوا يزورونه ويأتون إليه بالطعام، ومنهم من كان يصحبه إلى بيته تبركاً به[2].

ومن العلماء الذين اجتمع معهم الورثيلاني في بيت العلامة الغرياني:العالم ابن محجوبة وولده محمد،وقد اجتمع بهم الورثيلاني في بيته. والعالم حمّودة بن عبد العزيز وأبوه الشيخ محمد بن عبد العزيز، والعالم الحنفي سيدي حسن الترجمان، الذي كان أديبا ولغويا ومحدثا.والفقيه والمحدث سيدي الكبير الشريف، والنحوي سيدي أحمد بن عبد الصادق.والعلامة سيدي صالح الكواش، والفقيه سيدي ناصر القابسي وإبناه وغيرهم[3].

وقد لاحظ الورثيلاني اهتمام البايات في تونس بالعلم والعلماء وبناء المدارس، وتخصيص الأوقاف لذلك. ولذلك مكث في مدينة تونس ما يفوق الخمسة أشهر، قضاها في الاحتكاك بالعلماء وأخذ العلم عنهم، وتدريس الطلبة، وزيارة أضرحة أولياء الله الصالحين والتبرك بهم.ولدى خروجه من مدينة تونس، ودّعه علماؤها وطلبتها، وعلى رأسهم محمد الغرياني وعبد الله الشريف، وغيرهم كثير.وكم كان الفراق صعبا بالنسبة للورثيلاني ولمودعيه أيضا. بعدها خرج نحو تستور، ومنها إلى تبرسق؛ أين استقبلهم ابن قائد تلك القرية بالنيابة عن أبيه، ولما عزم على المغادرة أكرمه غاية الإكرام.ومنها خرج إلى مدينة الكاف التي كانت الفاصل بين تونس والجزائر، وهناك التقي الورثيلاني ببعض علمائها وطلبة العلم فيها وناقشهم في بعض المسائل العلمية، فلم يجدهم على درجة كبيرة من العلم[4].

ولما ضرب الورثيلاني خيمته خارج المدينة، سار إليه أهل العلم والصلاح للاستفادة من علمه وقد حملوا إليه الطعام ، وكانت تلك سيرتهم معه طيلة مدة إقامته بينهم.وفي هذه الأثناء سعى بعض الحاسدين

(1)يحي بوعزيز : أعلام الفكر والثقافة ...، المرجع نفسه،ج1،ص47.

(2)نفسه،م2،ص761.

(3)نفسه،م2،ص-ص761-762.

(4)نفسه، م2ص، ص785،788.

للإيقاع بالورثيلاني، ولكن الله عز وجل نصره عليهم.وكانت هذه آخر محطاته في القطر التونسي[1].
ومن أهم آثاره العلمية الرحلة الورثيلانية المسمَّاة: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار.

14-الشيخ أحمد التيجاني(ت.1230هـ/1815م):

ولد سنة 1150هـ/1737م بقرية عين ماضي(50كلم غرب الأغواط)،ونشأ بها، وحفظ القرآن وهو ابن سبعة أعوام. اشتغل بطلب العلوم الأصولية والفروعية والأدبية، حتى تعمّق فيها وأدرك أسرار معانيها، يستوي عنده في اهتمامه المنقول والمعقول.وعلى شيخه المذكور قرأ مختصر الشيخ خليل والرسالة ومقدمة ابن رشد والأخضري،كما تتلمذ في نفس العلوم على شيخه سيدي المبروك التجاني[2].

سافر إلى تونس بقصد التدريس فيها، أين استقر لمدة سنة كاملة ينشر العلم بين أبناء البلد؛حيث درس في جامع الزيتونة الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري،وقام بنفس النشاط في سوسة، ولذلك اشتهر بين علمائها[3]. غادر سيدي أحمد التجاني إلى تلمسان، عام 1186هـ/1772م، قاصدا زيارة بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج وزيارة قبر نبيه عليه السلام. وأثناء رحلته إلى الحج التقى بالعديد من رجالات التصوف[4].

15-الشيخ الكواش التونسي(ت. ق 12):

هو من توات أرسله شيخه التهامي البلمحي الحسني إلى تونس، نزولا عند رغبة أهلها فبنى زاويته بخارج مدينة تونس،ومنها انتشر صيته وعلا قدره ،واجتمع عليه التونسيون فلازموا السنة وتركوا البدع، وعاش حياته بين ظهرانيهم مرغوبا مطلوبا ظهرت له كرامات وخوارق للعادات وعين المقدمين والأتباع في الأقطار التونسية؛ فلزموا صحبته حتى وافته المنية ودفن في زاويته المذكورة[5].

16-محمد صالح الرحموني(ت. 1242هـ/1826م):

هو أديب نحوي اسمه الكامل محمد الصالح بن سليمان بن محمد بن محمد بن أبي القاسم الطالب الرحموني العيسوي الزواوي، عاش بين عامي(1152-1242هـ/1739-1826م).ينسب إلى أولاد

---

(1)الحسين الورثيلاني: المصدر السابق،م2،ص790.

(2) Al Awad(m.)": **Un Fondateur de Confrériee Religieuse Maghrebine- Sidi Ahmed tagani (1737-1815)"**, R.M .E, n 2, 1992, p258.

(3) علي حزام برادة: **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، وبهامشه كتاب رماح حزب الرحيم على حزب الرحيم لعمر بن سعيد الغوتي الكدوي** ، دار الجيل، بيروت 1988م ،ج1ص41.

(4) نفسه، ص41.

(5)محمد محفوظ:المرجع السابق،ج6،ص280.

رحمون في مشدالة.خرج إلى تونس[1] ،وبحسب ما وجد مكتوبا بخط يده، أنه قد قرأ بجامع الزيتونة وأجازه العلماء هناك[2].

وبعد عودته إلى الجزائر، عين الرحموني مدرِّسا في منطقة جبل بني عيسى، ثم اشتغل بالتدريس في جبل جرجرة بعد أن دعاه إلى ذلك الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري.واستمر بالتدريس إلى أن وافته المنية سنة 1242هـ/1826م وعمره وقتها تسعون سنة، ودفن داخل الروضة الأزهرية الرحمانية[3].ومن آثاره العلمية، نذكر [4]:

-ميزان اللباب في قواعد الميزان والإعراب؛

- الدليل على الأجرومية؛

- شرح على الأزهرية؛

17-مصطفى بن الشاوش القسنطيني(ت. 1252هـ/1836م):

هو أبو الوفا مصطفى بن الشاوش العلاّمة، الأديب، المتبحّر في اللغة العربية وعلومها، والفقيه الحنفي. درس بتونس على الشيخ صالح الكواش. ولما عاد إلى قسنطينة تصدّر للتدريس والإفتاء بجامع سيدي الأخضر على المذهب الحنفي، ولما عرضت عليه الفتوى بعد موت الشيخ مصطفى باش تارزي رفضها.توفي سنة 1252هـ/1836م[5].

18-أبو العباس أحمد العباسي(ت. 1251هـ/1835م):

الشيخ أبو العباس أحمد بن سعد العباسي، أخذ العلم عن الشيوخ التونسيين، وعلى رأسهم أبي محمد سيدي حسين الشريف، الذي كان خطيبا في جامع الزيتونة. وبعد عودته إلى قسنطينة تقلد مناصب مختلفة منها الإشراف على الأوقاف، والقضاء مرتين، ثم الخطابة بجامع سيدي علي بن مخلوف ثم بمسجد رحبة الصوف[6].

(1)عادل نويهض:المرجع السابق،ص146.

(2)أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق،ج2،ص522.

(3)أبو القاسم الحفناوي: المرجع نفسه.

(4)عادل نويهض: المرجع السابق.

(5)أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق ،ج2،ص- ص568-569.

(6)نفسه،ج2،ص59.

لقد كان الشيخ العباسي حافظا لعلم البلاغة والبيان، وله معرفة كبيرة برواة الحديث الشريف.وله باع في علمي المنطق والكلام، وتمكّن كبير من فن المناظرة[1]. توفي العباسي رحمه الله في اليوم الثاني من شهر جمادى الثانية سنة 1251هـ/1835م.بعد أن ترك عدّة مؤلفات، منها:تقاييد على صحيح مسلم[2].

19- خليفة بن حسن مبارك القماري (ت.1207هـ 1792م):

ينحدر الشيخ خليفة بن حسن القماري من وادي سوف[3]. ولد ببلدة قمار خلال القرن الثاني عشر الهجري 1123هـ/1711م التي نشأ وتعلم بها ، حيث حفظ بها كتاب الله وتعلم مبادئ العلوم العربية، وبعد ذلك ارتحل إلى الحاضرة الثقافية ببلدة خنقة سيدي ناجي ببسكرة[4]؛ أين أخذ العلم عن عبد الحفيظ الخنقي. وسافر بعدها إلى قسنطينة وتلقى العلم عن مشايخها ،كما انتقل إلى تونس واستفاد من علمائها ومصادرهم.

وقد وصفه صاحب كتاب الصّروف بقوله:«كان سيدي خليفة صاحب باع طويل في الفقه لا يجارى في زمانه...مُسَلَّم له ما يدّعيه من غير مُطالبة بحجّة لما عُرف من ورعه، وله القدم الرّاسخ في التّصوّف ومعرفة كلام القوم وأحوالهم ودرجاتهم»[5]. ومن شيوخه الّذين ذكرهم الشّيخ محمد الطاهر التّليلي، نذكر:الشّيخ موسى الفاسي الجمّي التونسي، الذي تعرّف عليه أثناء رحلته للحجّ،أبو القاسم بن تريعة المجوري. وقد ذكره الشّيخ خليفة القماري في سنده الفقهي، الشّيخ الشّنقيطي، دفين قمار وأحد علماء شنقيط، الشّيخ عبد الله ابن عبد الواحد العمراني الخنقي، الشّيخ عبد الحفيظ الخنقي صاحب زاوية الخنقة،إبراهيم بن شريّط،الشّيخ إبراهيم بن سعد الشّارف... [6]

---

(1)أبو القاسم الحفناوي: المرجع نفسه.

(2)عادل نويهض: المرجع السابق.

(3)أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2 ، ص77.

(4) محمد الطاهر التليلي: المرجع السابق ، ص 11.

(5) إبراهيم بن محمد السّاسي العوامر: **الصّروف في تاريخ الصّحراء وسوف**، الدار التونسية للنشر، تونس1977م، ص 145.

(6) محمد الطاهر التليلي: **كراسات المجلس؛ إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن الأقماري**، ربيع الأول 1248هـ،ع 4،ص 21.

وللشّيخ تلامذة كثيرون في البلاد التونسية و الجزائر، نذكر منهم: الشّيخ أحمد بن علي بن صابر المصعبي النّفطي،ابنه الشّيخ الحاج الطّاهر، إبراهيم بن سعد الشّارف، من زهاد المتصوّفة، الشّيخ الفقيه قاسم التّليلي الرابحي،الشّيخ بلقاسم بن القبّي ،الشّيخ الأخضر بن حمّانة.

وكان في مدينة تونس آنذاك عدد كثير من التواتيين الذين قدموا من إقليم توات ، وكان منهم المثقفون والأساتذة والفقهاء، أمثال الشيخ عبد الله بن محمد التواتي ، الذي كان من أشهر معلّمي مدرسة الباي علي باشا(1740م-1756م) [1]، كما وصل الفقيه أحمد بن عمران إلى تونس، وهو من علماء خنقة سيدي ناجي ببسكرة، وتصدَّر فيها التدريس، وذهب إليها الشيخ محمد الطيب التليلي، والشيخ أحمد العوادي وغيرهم مما لايسعنا ذكرهم ، وكلهم من أعلام العهد العثماني . لأن تونس كانت تربطها مع البايلك القسنطيني صلات قوية، مما أدّى إلى تنشيط حركة الرحلة نحو جامع الزيتونة. وقد وجدت دعوة الشيخ الوثيلاني لطلبته بالهجرة إليها صدى في صفوفهم، ولعل قربها ووقوعها في طريق الحج سهّل وصول علمائنا إليها، للإقامة بها، أو لاتخاذها معبراً باتجاه الشرق[2].

في الأخير يجب أن نشير إلى أن رحلة الجزائريين، سواء كانت للحج أو للسياحة والزيارة أو لطلب العلم، قد ساهمت في تكوين عدد من طلبة العلم حتى صاروا علماء لمعت أسماؤهم، وذاع صيتهم؛ بما نالوه من علوم في البلاد العربية والإسلامية، إضافة إلى ماخلفوه لنا من مؤلّفات وكتابات وصفت فيها البلدان التي حلّوا بها، وكذا إسهاماتهم العلمية والأدبية التي جاءت نتيجة تصدّرهم للتدريس والقضاء والإمامة في أكبر المساجد والمعاهد في بلاد المغارب والمشرق، وذلك بفضل العطاء والأخذ العلمي، الذي تمّ مع إخوانهم المغاربة وأهل مصر والشام والحجاز.

رابعا–حركة انتقال العلماء وطُلاب العلم التونسيين إلى الجزائر.

شهدت الجزائر خلال الفترة الحديثة حركة معاكسة لحركة العلماء وطلبة العلماء القادمين من تونس المالكيين منهم والإباضيين، ذلك أن الجزائر وبحكم الجوار مع تونس أصبحت مقصدا لطالبي العلم، الذين فضل بعضهم الاستقرار فيها، بينما رجع البعض الآخر إلى تونس بعد أن نال غرضه. كما

(1) فرج محمود فرج: **إقليم توات خلال القرنين18–19م**، م.و.ك، ود.م.ج ، الجزائر 1977م ، ص113.

(2)أحمد بن أبي الضياف: المصدر السابق،ج7، ص151. عمار هلال: **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830–1962**،د.م.ج، الجزائر 1995،ص395.

شكلت الجزائر طريقا للعلماء التونسيين القاصدين المغرب الأقصى، فكان من الطبيعي أن يتوقف هؤلاء في بعض الحواضر الجزائرية فيتصلون بعلمائها[1].

وبالرغم من ذلك، كان عددهم قليلا نسبيا.ولعل ذلك يرجع إلى وجود جامع الزيتونة، الذي كان يقدم لهم العلم.ولا ننسى كذلك بلاد المشرق التي كان التونسيون يقصدونها للاستزادة من علمائها الكثر ومؤسّساتها الثقافية المتعددة[2].

وبتتبع سير هؤلاء العلماء الذين استقروا في الجزائر، فإننا نلاحظ بأنهم تقلدوا وظائف في الجزائر على غرار التدريس، الإفتاء، والقضاء. ومن هؤلاء العلماء، نذكر:

1- الشيخ أبو سليمان داود بن إبراهيم التّلاتي الجربي(ت.967هـ/1560م):

هو أبو سليمان داود بن إبراهيم التلاتلي الجربي الإباضي العلاّمة المحقّق. كانت أولى محطاته التعليمية في جبل نفّوسة على يد أبي زكريا عيسى الباروني، ومنها خرج إلى جربة فقرأ فيها على الفقيه الشيخ أبي القاسم بن يونس السدويكشي، والعلامة أبو يحي زكريا بن إبراهيم الهواري. بعد ذلك عاد التلاتي إلى جبل نفوسة، أين قرأ على أبي يعقوب بن صالح الجناوني والعلامة إبراهيم بن أحمد. ورحل بعد ذلك إلى مصر، التي لقي بها علي بن ابراهيم الكيلاني. ومنها عاد إلى جربة أين انتصب للتدريس والوعظ والأمر بالمعرف والنهي عن المنكر، فكان ذلك سببا لالتفاف سكان الجزيرة حوله[3]. وفي سنة 961هـ/1554م جاء إلى وادي ميزاب، وأخذ هناك عن كل من العلامة أبي مهدي عيسى بن اسماعيل تلميذ سعيد بن علي الجربي في بلدة مليكة بميزاب[4].

عاد التلاتي بعد ذلك إلى جزيرة جربة، التي كانت تابعة لحكم درغوث باشا في طرابلس، وقد حاول أهلها أن يجعلوها تابعة لحكم تونس، فلما سمع درغوث باشا بذلك جهز حملة عسكرية توجه بها إلى جربة وقضى على الثائرين هناك. وبعد ثلاثة أيام من هذه الأحداث توجه موسى بن أبي عمر ابن أبي الجلود والشيخ التلاتي مع جماعة من الجند إلى درغوث باشا للتباحث معه حول ما جرى، ولكن هذا الأخير اتهمهم بتحريض أهالي جربة على التَّمرد، فكان ردّ الشَّيخ التلاتي أنَّ الفساد أتى من قبل

(1) دلندة الارقش وآخرون:المغرب العربي...،المرجع السابق،ص301.

(2) أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع السابق، ج2، ص 46.

(3)محمد محفوظ: المرجع السابق،ج1،ص- ص177-178.محمد أبو راس الجربي: **مؤنس الأحبة في أخبار جربة**، حقّقه و مهّد له و علق عليه محمد المرزوقي ؛ قدّم له حسَن حُسني عبد الوهاب، منشورات المعهد القومي للآثار والفنون بتونس، المطبعة الرسمية تونس1960م ، ص، ص 93، 114.

(4)إبراهيم بن بكير بحاز، وآخرون: المرجع السابق،ج2،ص140.

درغوث ورجاله ،فما كان من هذا الأخير إلاَّ أن سجنه مدة شهر وقتله بعد ذلك في أوائل شهر جمادى الأولى سنة 967هـ/1560م بسبب كثرة الطعن فيه من حساده. ويبدو أنَّه آخر من تولَّى رئاسة مجلس العزَّابة بالجزيرة. ولا يزال قبره معروفا إلى الآن في حومة برَّكُوك، يزوره أهل تلات سنويًّا.من مؤلفاته:شرح عقيدة التوحيد،شرح متن الأجرومية،سفر في رثاء بعض أشياخه... [1]

2-الشابي(970هـ/1563م-1028هـ/1620م):

هو محمد المسعود بن محمد بنور بن عبد اللطيف بن أبي الكرم بن أحمد بن مخلوف الشابي من أحفاد العارف الشهير أحمد بن مخلوف الشابي[2]. ولد بالقيروان، ولكن أسرته ما لبثت أن انتقلت إلى توزر[3] بعد سقوط دولة الشابيين بالقيروان. وفي محل إقامته الجديد بدأ المسعود دراسته، التي لم تستمر؛ إذ اضطرت أسرته للانتقال بسبب ظروفها المعيشية الصعبة، نحو مناطق الجنوب الغربي للبلاد، ومنها إلى الجزائر، حيث أقامت الأسرة مدة من الزمن في ششار بالأوراس[4].

وفي سنة 1003هـ/1594م خرج إلى الحج والتقى هناك ببعض علماء الأزهر،الذين أجازوه. وبعد عودته إلى تونس، رجع إلى القيروان وأخذ في الدعوة إلى الطريقة الشابية، متنقلا في ذلك بين ششار وجبال ورغة وتونس معلما ومربيا مع ابتعاده بشكل كلي عن السياسية وكل ما يتعلق بها. أقام المسعود في آخر أيامه بششار وأسّس بها زاوية، وفي هذه المنطقة كانت وفاته[5].ومن أهم مؤلفاته، نذكر[6]:

- الفتح المنير في التعريف بالطريقة الشابية وما ربوا به الفقير، بيّن فيه أصول الطريقة الشابية وقدم لها بمناقب مشايخ الطريقة، وفي مقدمتهم مؤسسها جده أحمد بن مخلوف؛
- المقرب المفيد في فروض العين والتوحيد، في ثلاثة أجزاء الأول في التوحيد، والثاني في الرعاية، والثالث في الفقه توجد من الجزء الثالث نسخة في المكتبة الوطنية باسم (المسائل)، وهو الاسم الذي اشتهر به الكتاب؛

---

(1)محمد محفوظ:المرجع السابق،ج1،ص 179.

(2) حسن حُسني عبد الوهاب:كتاب العمر ...،المرجع السابق،ج2،ص527.و محمد محفوظ: المرجع السابق،ج3،ص132.

(3)هي إحدى مدن بلاد الجريد في تونس. وهي مدينة عتيقة بناها الرومان في الصحراء التونسية.للمزيد ينظر:الحسن بن محمد الوزان: المصدر السابق ،ج2 ،ص143.

(4) حسن حُسني عبد الوهاب: المرجع السابق،ج 4،ص50.

(5)نفسه.

(6)محمد محفوظ:المرجع السابق،ج3،ص133.

- الدر الفائض، لخص فيه أصول الطريقة كما وضعها أحمد بن مخلوف، وابنه الشيخ عرفة، وفسر وحلل هذا الكتاب في الباب الرابع من كتابه الفتح المنير؛
- مطالع الأنوار ومواهب الأسرار في خمسة أذكار.

3-أبو عثمان سعيد بن ابراهيم بن عبد الرحمن (ت.1066هـ/1655م):

يُعرف بسيدي سعيد قدورة، وهو ينحدر من أسرة قدورة؛ إحدى أشهر العائلات العلمية في مدينة الجزائر، التي تنحدر من أصول تونسية. وتنسب إلى قرية قدورة الواقعة قرب جربة. ثم إن الجد الأول لهذه الأسرة هو إبراهيم عبد الرحمن التونسي والد سعيد قدورة الذي كان يشتغل خبازا قرب باب عزون، مما يعني أن ابنه أبا عثمان سعيد هو مؤسس هذه الأسرة العلمية،خاصة بعد أن شغل منصب الإفتاء المالكي بالجامع الأعظم لمدة تزيد عن الثلاثين عاما، مما يدل على شخصية ومكانته النافذة في البلاد[1].

والخلاف حاصل حول مكان مولده، فبعض الروايات تقول بأنه ولد في قدورة واصطحبه والده صغيرا،بينما تقول روايات أخرى أنه ولد في مدينة الجزائر[2]. وتتلمذ سعيد قدورة على يد عدد من المشايخ، نذكر منهم:الشيخ محمد بن بلقاسم بن اسماعيل المطماطي في مدينة الجزائر،والأخوان محمد وعلي ابنا أبهلول في زاوية تنس، ومنها خرج نحو تلمسان سنة1012هـ/1603م أين تتلمذ على الشيخ سعيد المقري. واستمر سعيد قدورة في رحلاته العلمية،وهذه المرة توجه نحو المغرب الأقصى فزار فجيج، وتافيلالت، وسجلماسة،وفاس[3].

عاد سعيد قدورة إلى مدينة الجزائر سنة 1019هـ/1610م،وهناك عُيّن إماما بمسجد البلاط،ثم إماما خطيبا بجامع سيدي رمضان، ثم تولى الإفتاء المالكي سنة 1028هـ/1618م.هذا إلى جانب مهام أخرى، مثل: الإمامة والتدريس بالجامع الأعظم والإشراف على أوقافه وهو مايزال شابا[4].

تتلمذ على سعيد قدورة عدد كبير من العلماء، بعضهم من الجزائر، والبعض الآخر من المغرب الأقصى، ومنهم:ابنه محمد قدورة، والشيخ محمد بن عبد الكريم الجزائري، والشيخ أبو حفص عمر المانجلاتي، والشيخ يحي الشاوي، والشيخ عبد الكريم بن أمحمد البكري التمنطيطي(من إقليم توات)،ومحمد بن سالم الروداني المغربي(ت.1094هـ/1683م).كما تبادل الرسائل مع علماء عصره من

(1)فوزية لزغم:الأسر والبيوتات...، المرجع السابق، ص22.
(2) محمد محفوظ: المرجع السابق،ص23.
(3)نفسه،ص24.
(4)نفسه.

أمثال الشيخ عبد الكريم الفكون[1]. وبعد هذه المسيرة العلمية الحافلة ،توفي سعيد قدورة سنة 1066هـ/1655م[2].

4-أبو إسحاق إبراهيم الجِمَّني(1037هـ/1628م-1134هـ/1722م):

هو إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن أبي بكر بن عمر بن عبدالله بن منصور بن عبدالعزيز بن معين. ينتهي نسبه إلى المقداد بن الأسود الكندي أحد الصحابة رضي الله عنهم[3]. هاجر أحد أجداده وهو معين من قرية الجديدة بالقرب من المدينة المنورة إلى تونس، واستقر بإحدى واحاتها في جنوب تونس[4].

ولد إبراهيم الجمّني سنة1037هـ/ 1628م بقرية جمَّنة ، وكان والده من فقهاء الجهة، وبذلك فهو ينتمي إلى أسرة عربية عريقة . إتّجه في البداية كعادة أقرانه إلى حفظ القرآن في زاوية جدّه عبد الله المعروف بالحاج في قرية جمَّنة، كما حفظ المبادئ الأولى لعلوم اللغة والفقه. وانتقل بعد ذلك إلى القيروان فقرأ على مشائخها، كالشيخ سيد علي الوحيشي[5].

كما رحل إلى الجزائر، أين أخذ العلم عن أحد الشُّيوخِ المشهورينَ في المنطقة المعروفة بخنقة سيدي ناجي، ويُدعى الشَّيخ العارف بالله سيدي عبد الله بن القاسم الجُلالي. ومن هناك رحل إلى بلاد زواوة (بلاد القبايل) لطلب العلم[6]، فمكث بها ست سنين أخذ خلالها العلم عن مجموعة من العلماء، من أمثال: محمد السعدي، محمد المغربي، وأبو القاسم القاضي ، وكان نافذ الكلمة مطاعا في بلاد زواوة كلها[7]. ومن بلاد زواوة خرج الجِمَّني قاصدا مصر، فوصلها سنة 1066هـ/1656م،وقيل سنة

(1) فوزية لزغم: البيوتات والأسر...، المرجع السابق، ص، ص25،27.

(2)نفسه، ص27.

(3)محمود مقديش: المصدر السابق،ج2، ص387.

(4) محمد أبو راس الجربي: المصدر السابق،ص-ص 95-96. حسين خوجة: المصدر السابق، ص،ص 130،132.

(5) ترجم له محمود مقديش الصفاقسي؛ بقوله:"... وأما سيدعلي الوحيشي ابن سيدي سعيد الوحيشي، فإنه أقام بالقيروان ماشاء الله... وكان كثير التردد على صفاقس، وكان منجمعا عن الناس، لايحب ملاقاة الأمراء، بل مُحبا للخلوة، ودرس العلم، وسماع القرآن.." ينظر: نزهة الأنظار ...، المصدر السابق، ج2، ص ،ص 379،381.

(6) حسين خوجة: المصدر السابق،ص-ص130-131.

(7)محمود مقديش:المصدر السابق،ج2،ص437.

1075هـ/1664م، وأقام بها تسع سنين وقرأ على مجموعة من مشايخها الأجلاء من أمثال:سلطان المزاحي[1]، وإبراهيم الشبراخيتي[2].

ولما بلغ أشدّه وبإشارة من أستاذه سيدي علي الوحيشي، ارتحل إبراهيم الجمني إلى مصر لأول مرة سنة 1656م، وأقام بالقاهرة تسع سنوات لطلب العلم بالجامع الأزهر فدرس على الشيخ عبد الباقي الذي أجازه في الفقه والنحو والمنطق ودرس أيضا على الشيخ الخرشي الذي أجازه في رواية الحديث النبوي وأخذ عن الشيخ عبدالله بن بلقاسم الجلالي أصيل المغرب الأقصى. وفي سنة 1665م استأذن شيوخه للعودة إلى البلاد التونسية[3].

ويذكر أن السفينة التي أبحر عليها من الإسكندرية قد غرقت بالقرب من السواحل الشرقية لتونس(بالقرب من خليج مدينة قابس).وخرج الشيخ من هذا الحادث سالما، ولكّنه فَقَد كُتبه الثمينة. وحرصا منه على استرجاع هذه الثروة الفكرية، قرّر العودة إلى مصر؛ وتزوّد حينها بالكتب من جديد ليعود إلى مسقط رأسه، لكن المناخ الفكري في قريته لم يكن ملائما للنشاط العلمي، فما لبث الشيخ أن غادر جمنة ليستقر في جزيرة جربة سنة 1673م، وقصد جامع الغرباء بحومة السوق، ولكن إمام الجامع منعه من الإقراء فيه حسدا منه، ولذلك انتقل إلى مكان آخر لا يطاله فيه الإمام المذكور. ولما بلغت أخباره إلى حاكم تونس مراد باي الثاني (1666-1675م)، وتقديرا لثقافته أذن له ببناء مدرسة في حومة السوق وسُميت بالمدرسة المرادية[4] . كما أمر ببناء دار يسكنها بالقرب من المدرسة، وعينه مسؤولا عن أوقاف المدرسة. وهكذا تقاطر الناس من كل حدب وصوب للأخذ عن هذا الشيخ. وأخذ الطلبة يتدفقون عليه ويجلسون بين يديه للاستماع إلى دروسه، عندئذ أدركوا سعة علمه وتبحره في العلوم الشرعية[5].

---

(1)واسمه الكامل أبو العزائم سلطان بن أحمد بن سلامة بن اسماعيل المزاحي الأزهري الشافعي.فقيه ومحدث مصري ولد سنة 985هـ/1577م وتوفي سنة 1075هـ/1664م.من مؤلفاته حاشية على شرح المنهج للقاضي زكريا.ينظر: إسماعيل باشا البغدادي: **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، دار إحياء التراث العربي،بيروت(د.س.ن)،394

(2) اسمه الكامل ابراهيم بن مرعي بن عطية برهان الدين الشبراخيتي.من أفاضل المالكية بمصر توفي غريقا في النيل وهو متوجه إلى رشيد سنة 1106هـ/1694م.من مؤلفاته: **شرح مختصر خليل** وهو كتاب فقهي ،و**الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين حديثا النووية**. ينظر خير الدين الزركلي: المرجع السابق،ج1،ص73.

(3) محمد أبو راس الجربي: المصدر السابق، ص- ص 95-96.

(4) أحمد بن أبي الضياف: المصدر السابق، ج2،ص-ص129-130.

(5)محمود مقديش:المصدر السابق،ص- ص57-58.

عكف الشيخ إبراهيم على التدريس، فأصبح مقصدا للطلبة المتعطشين إلى المعرفة من كامل الجنوب التونسي طيلة خمسين سنة. وقد بذل قُصارى جهده لنشر المذهب المالكي. وله اعتناء خاص بمختصر الخليل في الفقه المالكي،وكان قد وضع له حاشية تناقلها الدارسون رغم عدم طبعها وذكرتها المصادر السابقة وهو مواظب على قراءته؛كشأنه بالأزهر وكان يختمه بمعية طلبته في كل ستة أشهر.

استمر الشيخ الجمني في تلقين الدروس للطلبة والصلاة بهم إلى أن وافته المنية يوم الخامس ربيع الثّاني عام 1134هـ/1722م عن عمر ناهز الخامسة والتسعين. ودُفِن بمدرسته وقد بنى الأمير قبّةً خضراءَ فوق قبره، الذي أصبح مزارا يُتبَرَّكُ به[1].

5-أحمد برناز(ت.1138هـ/1726م):

هو أحمد بن مصطفى بن محمد بن مصطفى قاره خوجة الملقب ببرناز، التي تعني باللغة التركية صاحب الأنف الكبير. وكان على المذهب الحنفي، دخل جده الذي كان درويشا مع جيش سنان باشا إلى تونس، بعد طرد الإسبان منها في النصف الثاني من القرن السادس عشر للميلاد، وعُيِّن إماما بمقام الشيخ علي بن زياد[2].

نشأ أحمد برناز في بيت علم، وحضر مجالس جده في الحديث،كما أخذ عن جملة من علماء عصره مثل علي المحجوز ، علي الصوفي ومصطفى بن عبد الكريم. وبعد انتقاله إلى مصر أخذ عن جملة من علماء الأزهر الشريف، من أمثال:الشيخ محمد الخرشي، عبد الباقي الزرقاني، ويحي الشاوي الجزائري[3] وغيرهم.

---

(1) حسين خوجة:المصدر السابق،ص132.

(2)محمد محفوظ:المرجع السابق،ج1،ص92. أحمد عبد السلام :المؤرخون التونسيون ...،المرجع السابق، ص 191. محمد النّيفر: **عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب**، تذييل واستدراك علي النّيفر،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996م،ج1،ص507.

(3) هو يحي أبو زكرياء بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى الشاوي النائلي، عالم بالتوحيد وفقيه مالكي مفسر منطقي نحوي وفارس المعقول والمنقول.ولد بمدينة مليانة وقيل بمدينة الجزائر سنة 1030هـ/1621م.تعلم في الكتاب مبادئ الدين واللغة العربية وحفظ القرآن والمتون.ومن شيوخه في هذه المرحلة الشيخ سعيد بن محمد بهلول السعدي، والشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري.وانتقل بعد ذلك إلى تلمسان وتتلمذ على يد الشيخ المقري،ثم انتقل بين مدينة الجزائر وعنابة وبجاية.خرج إلى مكة المكرمة حاجا سنة 1074هـ/1637م، ثم خرج منها إلى القاهرة أين عين مدرسا بجامع الأزهر، وبعد أن اشتهر عين قاضيا ومفتيا للمالكية.بعد ذلك توجه إلى دمشق، ومنها إلى اسطنبول فشارك في المناظرات والدروس.وفي آخر حياته عين أميرا لركب الحج المغربي.توفي سنة 1096هـ/1685م في البحر الأحمر ودفن في مقبرة المالكية في مصر.من مؤلفاته:رسالة في أصول النحو، حواش=

بعدها خرج برناز لأداء فريضة الحج، فالتقى في مكة المكرمة كلا من الشيخ حسن بن مراد التونسي، الشيخ أحمد البشبيشي، والشيخ أحمد القطان[1].

عاد برناز بعد أدائه فريضة إلى تونس، التي استقر بها مدة ولكنه خرج بعد ذلك مغاضبا نحو الجزائر، فكانت عنابة أولى محطاته بهذه البلاد. وفيها أخذ عن الشيخ أحمد بن ساسي، والمفتي الشيخ الصديقي وبركات بن باديس المفتي. أما ثاني محطة له في الجزائر دائما، فكانت قسنطينة ؛ أين درس على الشيخ بركات ابن باديس، والشيخ علي الكمّاد. وبعد قسنطينة قصد برناز مدينة الجزائر، وفيها أخذ عن المشايخ: رمضان بن مصطفى العنابي، وعلي بن خليل، ومحمد سعيد قدورة. وآخر محطة لبرناز بالقطر الجزائري، كانت بلاد الزّواوة، وفيها قرأ على الشيخ محمد الفاسي، وأحمد بن عبد العظيم، ومحمد بن صولة[2].

وبعد أن قضى هذه المدّة في تلقي العلوم عن المشايخ الجزائريين، عاد برناز إلى تونس وواصل مسيرته التّعليميّة، فقرأ على الشّيخ سعيد الشّريف، والشيخ عبد القادر العيسي المطماطي، والشيخ أحمد بن عزوز. وبعد تخرجه تقلد أولى الوظائف وهي التدريس بالمدرسة الشّماعيّة، غير أنّه عُزل بعد مدّةٍ قصيرةٍ؛ فاتخذه شيخه المفتي الحنفي محمد المحجوب مساعدا له في دروسه في مدرسة يوسف داي، وفي الصلاة وخطبة الجمعة في الجامع المقابل لمقام سيدي محرز، وقد استمر في معاونته لشيخه من سنة 1108هـ/1697م إلى سنة 1116هـ/1705م. وفي هذه السنة صار إماما وخطيبا بهذا الجامع بعد أن اعتزل شيخه الوظيفة لصالحه.كما درس بالمدرسة العنقية، ومدرسة الجامع الجديد في حومة سوق البلاط،وجامع الزيتونة، وأماكن أخرى.[3]

كان برناز أحد الفقهاء الحنفية اللاّمعين، مع حبه للتّأليف والتّدوين. كما كان إلى جانب ذلك مجيدا للُّغتين التُّركيَّة والفارسيَّة. ولكن كل ذلك، مع الوظائف التي تقلَّدها لم يمنع عنه الإهانة والظلم؛ ذلك أن مراد الثالث آخر أمراء الأسرة المرادية أمر سنة 1114هـ/1705م بسجنه وضربه مع كثير من

=على التسهيل والألفية لابن مالك،حاشية على شرح العقيدة الصغرى المعروفة بأم البراهين للإمام السنوسي، وغيرها...ينظر:مجموعة من الأساتذة:**موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**،جزآن،منشورات الحضارة،الجزائر 2014م،ج2،ص-ص732-733.

(1)محمد محفوظ: المرجع السابق، ج1، ص-ص 92-93.

(2)محمد محفوظ: المرجع نفسه ،ص93. أحمد عبد السلام : المؤرخون التونسيون ...،المرجع السابق، ص 191.

(3)نفسه.

فقهاء الحنفية، باعتبارهم كانوا من أفراد الجيش وقطع عنهم مرتباتهم . غير أن هذا الوضع لم يطل؛ فبعد أسبوع فقط من ذلك قتل مراد وطيف برأسه في شوارع المدينة(1).

وبعد زوال الدولة المرادية، وانتصاب الدولة الحسينية على رأس الحكم في تونس حدث أن علي باشا ثار على عمه حسين مؤسس الدولة، وأمر بسجن أحمد برناز، ثم خنقه بعد أن ظل فترة طويلة في السجن، وكان ذلك سنة 1138هـ/1726م.ويرجع السبب وراء ذلك إلى رغبة علي باشا في التخلص من كل من كانت لهم صلة بعمه المغدور، خوفا من أن يثوروا عليه وبالتالي يهددون حياته ودولته(2).

6- إبراهيم الرياحي (ت. 1266هـ/ 1850م):

ولد الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد الرياحي ابن الفقيه ابراهيم الطرابلسي المحمودي في مدينة تستور عام 1180هـ/1766م وفيها حفظ القرآن الكريم، وانتقل إلى مدينة تونس، بعد ذلك لطلب العلم فنزل مدة بمدرسة حوانيت عاشور، ومنها انتقل إلى مدرسة بئر الحجار ولازم دروس الفحول وقرأ النحو على الشيخ حمزة الجباس، وقرأ أيضا على الشيخ صالح الكواش(3).

وأخذ بعد ذلك عن علماء الزيتونة، من أمثال: إسماعيل التميمي(4)، وعمر المحجوب ، ومحمد المحجوب(5) ، وأحمد بوخريص(6) وغيرهم. وكان على صلة بالشيخ مصطفى بن عزوز البرجي نزيل

---

(1)محمد محفوظ: المرجع نفسه.

(2)نفسه.

(3)أبو عبد الله محمد بن عثمان السنوسي:المصدر السابق،ج1،ص، ص354،352.

(4) هو أبو الفدا اسماعيل التميمي.ولد في مدينة تميم .حفظ القرآن الكريم، ثم قصد مدينة تونس بأمر من شيخه أبي العباس أحمد بن سلمان فسكن هناك بالمدرسة الحسينية الصغيرة ولازم العلماء من أمثال:صالح الكواش،الشيخ الغنجاتي،والشيخ أبي حفص عمر المحجوب وغيرهم.وبعدها بمدة قصيرة تصدر للتدريس بالجامع الأعظم، ثم عينه الباي حمودة باشا قاضيا في البلاد سنة 1221هـ/1806م، وتقلد بعد ذلك خطة الفتوى سنة 1231هـ/1816م،وأعيد بعد ذلك لخطة القضاء في نفس السنة بعد أن كف بصر المفتي السابق أحمد بوخريص.وفي سنة 1235هـ/1820م عزل ونفي إلى ماطر بسبب وشاية بعض الحاسدين، ولكن وبعد أربعة وثلاثين يوما ظهرت الحقيقة فعاد التميمي إلى مدينة تونس فالتف حوله طلبة العلم.وفي سنة 1239هـ/1824م أرجع إلى خطة الفتوى، وبعد أربع سنوات صار رئيس المفتيين في الحاضرة،فاخذ العلماء من فاس وقسنطينة والجزائر وطرابلس يستفتونه ويجيبهم كتابة.توفي سنة 1248هـ/1832م. من أبرز مؤلفاته:رسائل في الحبس والخلو، وكتاب رد فيه على شبهة الوهابي.ينظر:أحمد بن أبي الضياف:المصدر السابق،م4،ج8،ص، ص14،11.

(5) هو العلامة أبو عبد الله محمد بن قاسم المحجوب.تعلم الفقه على أبيه وعلى المفتي محمد بيرم،والعلامة أبي عبد اله محمد الشحمي وغيرهم.تولى خطة الإفتاء مع أبيه وهو مايزال صغيرا.وكان علي باي يحضر المجلس، الذي يترأسه محمد المحجوب حتى يستفيد من علمه، وإذا كان له عذر يحتم عليه الغياب كان علي باي يعطل المجلس لأجله.وكان اشتغاله بالفتوى والتدريس مانعا له عن كثرة التآليف.توفي سنة 1243هـ/1828م.ينظر:أحمد بن أبي الضياف:المصدر السابق، ج7،ص ص151-152.

(6) هو أبو العباس أحمد بن أحمد بوخريص، فقيه وعالم أخذ العلم عن أبيه وعن علماء عصره من أمثال محمد بن محمد صدام، أحمد الخوجة وغيرهم.توفي بوباء الطاعون سنة 1235هـ /1820م.ينظر:أحمد بن أبي الضياف:المصدر السابق،ج7،ص118.

نفطة.وبعد انتهاء فترة دراسته، عين مدرسا بجامع الزيتونة، ثم مدرِّسا بجامع يوسف صاحب الطابع بعد إتمام بنائه سنة 1229هـ/1814م[1].

وفي سنة 1241هـ/1826م، ذهب مع أحد تلاميذ الشيخ أحمد التيجاني-وكان هذا التلميذ قد جاء إلى مدينة تونس وهناك لقي المترجم له- إلى تماسين في الجنوب الجزائري والتقى هناك بخليفة صاحب الطريقة الحاج علي التماسيني، ورجع بعدها إلى تونس. وقد انتسب الرياحي إلى الطريقة الشاذلية ثم إلى التيجانية منذ سنة 1796م. وفي سنة 1252هـ/1836م خرج لأداء فريضة الحج بسبب خلاف وقع بينه وبين القاضي،الذي كان تلميذه حول من له الأحقية في حضانة طفل يتيم هل تؤول لجدته لأمه أم لعمه، وذلك بعد زواج أمه. وبعد أداء فريضة الحج توجه إلى القاهرة ومنها إلى اسطنبول،وعاد بعد ذلك إلى تونس سنة 1254هـ/1838م[2].

فُجِع الرياحي بوفاة ابنه محمد الطيّب بوباء سنة 1850م، فرثاه، وخطب بعده ناعيا نفسه، فلم يلبث أنّ مات بنفس الدّاء في نفس السنة 28 رمضان 1266هـ/07 أوت 1850م، ودفن بزاويته التي أتمّ بناءها أحمد باي سنة 1272هـ/ 1854م، وهي اليوم معلم تاريخي ومزار مشهور[3].

7-أحمد الأصرم(ت.1172هـ/1756م):

هو أبو العباس أحمد الأصرم القيرواني الأصل، أديب وشاعر وفقيه وجامع للعلوم وأحد أئمة الكتابة والبلاغة في تونس، نشأ في القيروان وأخذ عن إمام الطريقة الفاضل العلامة سيدي عبد الله السوسي .كان يلقي دروسه في مدرسة بالقيروان أنشأها حسين باي سنة 1133هـ/1720م[4].

ولد في القيروان وبها نشأ وفيها أخذ عن الشيخ عبد الله السوسي السكتاني المغربي عندما كان مقيما بهذه المدينة[5]. صحب أحمد الأصرم، الأمير محمد الرشيد باي(1756-1759م) ، وذلك خلال أيام إقامته ببلده وخروجه من تونس عند تأجج الفتنة التي عصفت بالبلاد وذهب معه إلى الجزائر، فكان يحمل الأمير على ظهره إذا تعب من السير إلى غاية وصولهما إلى الجزائر، وأقام معه بها وتصدر للإشهاد وقضى هناك أياماً بالنيابة. وبعد استقرار الأوضاع وعودته إلى تونس،كافأه الأمراء الحسينيون على صنيعه هذا وعيَّنوه رئيس الكتاب، واستمر هذا المنصب في خلفه. وقد أعلى الأمير مكانه وقدَّمه إلى

(1) ابن أبي الضياف: المصدر نفسه، ج7،ص،ص82،73.ومحمد محفوظ:المرجع السابق،ج2،ص387.

(2) محمد محفوظ: المرجع نفسه،ج2، ص389.

(3)محمد محفوظ: المرجع نفسه، ص- ص396-397.

(4)نفسه، ج5، ص- ص193-194.

(5)نفسه، ج5، ص ص193-194.

رئاسة الكتابة وبقي مكرماً إلى أن وافته المنية أيام المولى علي باي الثاني(1759-1782م). ومن آثاره العلمية: حاشية على شرح المحلي لجمع الجوامع في أصول الفقه وله حواشي على شرح المحلي لجمع الجوامع[1].

8-الشيخ سيدي علي نفطي(ت.1213هـ/1798م):

ولد سيدي علي في نفطة في العشرينيات من القرن الثامن عشر للميلاد، حيث حفظ القرآن ودرس العلوم الدينية في مسقط رأسه[2].وبعد ذلك أسس زاوية في منطقة توزر، تميزت بإتباعها لمنهج أهل السنة. وكانت وفاة الشيخ سيدي علي نفطي عام 1213هـ/1798م في قرية غوفي الواقعة جنوب منطقة الأوراس.وقد تحول قبر سيدي أبي علي السني إلى مزار يقصده الأهالي مرارا للتبرك به، وبنوا على قبره مسجدا.وحتى أتباع طريقته كانوا يأتون من الجنوب التونسي للتبرك وممارسة الطقوس الدينية. وكان للشيخ المذكور مساهمة بارزة بشكل كبير في النشاط الديني في منطقة الأوراس[3].

وختاما نقول أنه من خلال رصد لحركة العلماء وطلبة العلم بين البلدين خلال العهد العثماني، لوحظ بأن عدد التونسيين الوافدين إلى الجزائر كان أقل من عدد الجزائريين الذين كانوا يترددون على تونس، وذلك بسبب تقلبات الأوضاع السياسية بين البلدين، وربما لعدم وجود مراكز علمية تضاهي جامع القرويين بالمغرب وجامع الزيتونة بتونس.

وبالرغم من ذلك يُلاحظ أن تونس كانت تجمع وفود الحجيج من مختلف نواحي بلاد المغارب، وهم جميعا في وجهتيهم يقبلون على اقتناء زادهم وكل ما يحتاجونه في سفرهم، وذلك باعث لازدهار الحركة التجارية ونفاق بعض الأسواق التونسية، ومحرك اقتصادي في هذا الموسم.

كما أن هجرة العلماء والطلبة الجزائريين إلى تونس، قد عرفت نشاطا بارزا خلال العهد العثماني، ويعود ذلك لدوافع عديدة، منها ما هو تعليمي، ومنها ما هو سياسي أو اجتماعي أو ديني، دفعت برجال العلم وطلبته بالجزائر إلى الهجرة نحو تونس كغيرها من الأقطار العربية والإسلامية؛ يقصدونها إما لأخذ العلم منها، أو نشره فيها، أو لمجرد الزيارة بمناسبة تأدية فريضة مناسك الحج، أو للتعرف على

---

(1) محمد النّيفر: المرجع نفسه،ج1، ص532.

(2)جمعة بن زروال:"**هجرة زعماء الطرق الصوفية التونسية نحو الجزائر ونشاطهم السياسي والديني الشيخ سيدي علي نفطي والحاج محمد لخضر السهيلي-أنموذجا-**"، في مجلة علوم الإنسان والمجتمع ، جامعة بسكرة ، جوان 2017م، مج6، ع23،ص-ص418-419.

(3)جمعة بن زروال : المرجع نفسه،ص419.

علمائها وتبادل الأفكار والآراء والكتب معهم. وهنا يصدق القول القائل" بأن العلاقات الثقافية تعتبر أفضل السبل لتقارب الشعوب"[1].

فهذه في حقيقة الأمر؛ صور من الروابط الثقافية والإعمار المتبادل بين العلماء والطلبة للمراكز الثقافية المتعدّدة في البلدين. وهذه الصور صور لا صبغة رسمية لها، ولا معاهدات تحدّدها، وإنما أتت بشكل طبيعي وعفوي، فرضتها عناصر الترابط الأصيلة بين البلدين. وقيام مناقشات فكرية وفقهية بين علماء بلاد المغارب. كما أن هؤلاء العلماء الجزائريين الراحلين إلى تونس من أجل التحصيل كانوا بالمقدار الذي يتعذّر على الباحث تتبّعه واستقصاؤه. وأن رحلات هؤلاء التواقين إلى التحصيل، لم تكن محصورة في منطقة واحدة، بل انطلقت من ذلك الإحساس الضاغط في تلك الفترة من مختلف المدن الجزائرية باتجاه الحواضر العلمية في الأقطار المغاربية والمشرقية.

(1) أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص89.

المبحث الثاني: الطرق الصوفية ودورها في تمتين أواصر التواصل الثقافي بين البلدين.

تُعد الطرق الصوفية أحد أبرز مظاهر التواصل الروحي بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني ، حيث أدّت أدورا هامة من أجل تقارب وتلاحم مجتمع البلدين، وكان لها تأثير مباشر في الحياة الثقافية والمواقف السياسية للسكان، كما عملت في الوقت ذاته على تعميق روح الانتماء والأخوة الإسلامية بين قبائل الريف في البلدين،وذلك عن طريق مواظبة مريديها على العبادة وتلاوة الأوراد وحضور حلقات الذكر؛ التي غالبا ما يرافقها عند بعض منتسبي الطرق الصوفية الرقص والإنشاد الجماعي والاستغراق في حالات من الوجد والانجذاب الصوفي.

أصبحت بلاد المغرب في القرن الثاني عشر للميلاد معقلاً للتصوف ومنطلقاً له،لا سيما بعد أن اضطربت الأوضاع في الشرق الإسلامي، بل إن الكثير من أقطاب التصوف المغاربة أثّروا تأثيراً كبيراً على الشرق.

وعلى الرغم من تدهور أوضاع بلاد المغرب السياسية في مطلع العصر الحديث، إلا أن المتصوفة لم يفقدوا أهميتهم، بل ازداد تأثيرهم في المجتمع ، كما أن المكانة الدينية للطرق الصوفية جعلتها محوراً مهماً من محاور اتخاذ القرار السياسي ، كما أدّت أيضا أدوراً هامة من أجل تقارب وتلاحم شعبي البلدين.

أولا–انتشار التصوف في البلدين:

انتشرت الطرق الصوفية في الجزائر وتعددت فيها خلال العهد العثماني، وإن كان البعض منها قد وفد إليها قبل هذه الفترة على غرار الطريقتين القادرية والشاذلية، وهو ما سنتطرق له في الصفحات الموالية.

وقد بلغ عدد الطرق الصوفية في الجزائر حوالي الثلاثة وعشرين طريقة(23) ضمّت الآلاف من الأتباع والمريدين. ويسهر على تسيير أمورها سبعة وخمسون(57) شيخا، يساعدهم في ذلك حوالي ستة آلاف(6000) مابين مقدم ووكيل وعامل[1].

ومن الطرق الصوفية الأكثر انتشارا في الجزائر: القادريَّة والرَّحمانية والتِّيجانيَّة...ووجدت زواياها في كل أنحاء البلاد، وكانت هذه الزَّوايا تنظِّم حياة العامَّة؛ بتوفير الطَّعام ونشر التَّعليم وفضّ النِّزاعات، أو

(1)مؤيد العقبي: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**،دار البراق،بيروت 2002م ،ص ص131-132.

باستغلال الجهلة منهم بتقبُّل هداياهم، أو نشر الخرافات والشعوذة في صفوفهم.كما كان لها دور في تأمين القوافل التجاريّة، بالإضافة إلى الأشعار والأذكار، التي تركها شيوخها[1].

كما ساهم انتشار الطرق الصوفية بتونس خلال العهد العثماني في انتشار الزوايا، سواء في المدن أو الأرياف، وأدت عدّة أدوار في الجانب الاجتماعي والديني والثقافي؛ فمن الناحية الاجتماعية ساهمت في تأطير الفئات المهمّشة، والتوسط في الخصومات بين القبائل والسلطة ، واعتبرت ملاذاً للمنبوذين وعابري السبيل والطلبة[2]، وهذا راجع إلى المكانة التي حظي بها الأولياء الصالحون والمرابطون، الذين كانت لهم شعبية كبيرة في البلاد التونسية؛ سواء كانوا أحياء أو أموات.كما أدّى هؤلاء المرابطون دورا اقتصاديا من خلال الأموال التي جمعوها[3].وهو ما أسهم في دعم المؤسسات التعليمية التابعة لها.

ويجد الباحث في تاريخ العلاقات الثقافية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني بأنه كانت تنتشر في كلا البلدين عدّة طرق صوفية، بعضها مشرقي الأصول وبعضها الآخر مغربي، وعنها تفرعت باقي الطرق، حيث أن لكل طريقة من الطرق زواياها، ومقاماتها وأتباعها.

وإذا وقع التركيز على أبرز الطرق الصوفية وأهم فروعها في كلا البلدين، فقد كانت تتفرع طريقتين أساسيتين، الأولى مشرقية الأصل، وهي الطريقة القادرية، والثانية مغربية، وهي الطريقة الشاذلية، وقد تفرّعت عنها عشرات الطرق الصوفية[4].

ثانيا–الطرق الصوفية في الجزائر وانتقالها بين البلدين.

عرفت الجزائر نشاط الطرق الصوفية بشكل واضح، منذ القرن العاشر للهجرة/ السادس عشر للميلاد، ثم أخذت تنمو تدريجيا وتنتشر في مختلف أرجاء البلاد في النصف الأول من القرن الثاني عشر للهجرة/ الثامن عشر للميلاد. ولم تُعد حركة التصوف منذ نهاية القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد تقتصر على جماعة من الزهاد والمتصوفين، بل شملت أغلب أفراد المجتمع، وأصبح المتصوفة يبحثون عن أماكن للخلوة والعبادة في المدن والقرى والأرياف، وبدأ الناس ينخرطون في الزوايا،ويندفعون

(1)أحميدة عميراوي: **علاقات بايليك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث، قسنطينة،د.ت،ص-ص30-31.

(2)الضاوي خوالدية: **الذوات والأسر التونسية في القرن التاسع عشر من خلال إتحاف أهل الزمان بإخبار ملوك تونس وعهد الأمان لأحمد بن أبي الضياف**، بحث معمّق في البنيات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، تونس (د. ت)، ص129.

(3)محمد الهادي الشريف: **السلطة والمجتمع في تونس عهد حسين بن علي (1705– 1740م)**، 2ج، المكتبة الجامعية، تونس2008، ج2، ص40.

(4) ترمنجهام سبنسر: **الفرق الصوفية في الإسلام**، ترجمة عبد القادر البحراوي، ط1،دار النهضة العربية ، بيروت 1997م، ص 92.

إلى زيارة مقابر الأولياء، وأصبح المتصوفة يمثلون قوة روحية وقد صاحب كثرة المتصوفة بالجزائر شيوع طريقتين وهما القادرية والشاذلية. اللتان تفرّعت عنهما العديد من الطرق الصوفية، وسوف نقتصر على ذكر أهم الطرق التي كانت تتمتع بامتداد واسع في أوساط مجتمع البلدين. فماهي أهم تلك الطرق الصوفية؟

أ–الطَّريقة القادريَّة:

تُعدُّ من أقدم الطُّرق الصُّوفيَّة في الجزائر والعالم الإسلامي، كما كانت الأصل لكلِّ الطُرق التي جاءت بعد ذلك؛ حتى أنَّ جميع المتصوِّفةِ ومؤسِّسيِّ الطرق يبدؤون مسارهم باعتناق الطَّريقة القادريَّة، ثم لا يلبثوا أن يجمعوا بينها وبين طريقتهم الجديدة(1).

امتازت الطريقة القادرية بالإصلاح والتوجيه والتسامح، وبتأدية دورها المتمثل في نشر المعرفة والعلم.ولذلك قدّسها أتباعها بشكل كبير؛ حتى أنهم أضفوا عليها الكثير من الخرافات(2). وكان دخول هذه الطريقة إلى الجزائر على يد الشَّيخ سيدي أبي مدين شعيب بن الحسن(3)،الذي لقَّنه شيخُها تعاليمَ طريقته وألبسه الخرقة(4)،بعد عودته من أداء فريضة الحج. وبذلك كثر عدد المساجد والزوايا والمصليات التابعة للطريقة القادرية في الجزائر، حتى أنه بلغ عدد الزوايا في مدينة وهران والمدن المجاورة لها حوالي مائتي(200)زاوية(5).

وبخضوع مدينة الجزائر إلى الحكم العثماني، اضطر هؤلاء الحكام إلى الاعتماد على زعماء الطرق الصوفية لتدعيم حكمهم(6)؛لذا عملوا على الرفع من شأنهم في نظر العامة، من أجل السيطرة على الأقاليم والمناطق التابعة أو الخاضعة لسلطانهم. ومن أبرز زواياها بالجزائر، نذكر على سبيل الذكر لا الحصر: زاوية منعة بالأوراس، وزاوية القيطنة في معسكر التي أسّسها الشَّيخ مصطفى بن محمد بن

---

(1)أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...،المرجع السابق،ج1،ص59.

(2) عبد القادر صحراوي: **الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520–1830م**، دار هومة، الجزائر 2016م،ص45.

(3)ولد أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي في اشبيلية سنة 594هـ/1198م .للمزيد. ينظر:أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني:**عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، حققه وعلق عليه عادل نويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1979م،ص،ص28،22.وينظر أيضا:أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع السابق،ج4،ص65.

(4) هي ما يلبسه المريد من شيخه الذي دخل في إرادته.. ينظر:أبو حفص عمر السهروردي:**عوارف المعارف**،مؤسسة الحلبي وشركائه، القاهرة 1968م،ص- ص110-111.و عبد الرزاق القاشاني: **لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام**، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور،دار الكتب المصرية، القاهرة 1996م،ص-ص242-243.

(5)Louis Rinn **: Marabouts et khouan : étude sur l'islam en Algérie : avec une carte indiquant la situation et l'importance des ordres religieux musulmans**, imprimerie Adolph Jourdan, Alger 1884, pp175-176.

(6) عبد القادر صحراوي: المرجع السابق، ص92.

المختار الغريسي(جد الأمير عبد القادر)في حدود سنة 1200هـ/1785م. وكان ذلك قبل وفاته بقليلٍ، بعد عودته من البقاع المقدَّسة[1].

ب- الطريقة الشاذلية:

يعود تأسيس الطريقة الشاذلية[2] إلى النِّصف الأول من القرن الثَّالث عشر للميلاد. واستمرت في الانتشار بعد ذلك في الجزائر ابتداء من القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد[3]، نظرًا لتعاليمها المرنة ونهجها المعتدل. واستطاعت التأثير في طرق صوفية أخرى، واستقطبت الكثير من العلماء الأجلاء، من أمثال الشَّيخ عبد الرحمن الثَّعالبي، وأحمد بن يوسف الملياني، وابراهيم التازي، وغيرهم كثير[4].وتقوم طريقة أبي الحسن الشَّاذلي على الرِّحلةِ الفكريَّة والتَّأملِ المستمرِّ في وحدانيَّة الله، والسِّياحةِ في الأرض بحثًا عن التَّطور والتَّسامي، وإهمالِ الذَّات وقمعها في سبيل الله، وعلى القيامِ بالواجبات الشَّرعية في الأوقات والأمكنة وفي كل الظُّروف، حتَّى يعيش الصُّوفي في وحدةٍ دائمةٍ مع الله.أما الممارسات والحركات الغريبة، مثل الرقص فلا تعترف بها الشاذلية[5].

ج-الطَّريقة الرَّحمانية:

هي إحدى فروع الطريقة الشاذلية، وتُنسَب إلى صاحبها الشَّيخِ محمدٍ بن عبد الرحمن القشوطي

---

(1) ناصر الدين سعيدوني: **عصر الأمير عبد القادر الجزائري**،مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ،(د.ط)الكويت 2000م، ص141.

(2)تُنسب إلى الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبَّار الشَّاذلي، الذي ولد في بلدة غُمَارة (بالقرب من مدين سبتة المغربيَّة) سنة 593هـ/1197م، أين حفظ القرآن الكريم وتلقى العلوم الدِّينيَّة واللُّغويَّة على يد عدّة مشايخ، من أشهرهم عبد السَّلام بن مشِّيش الصُّوفي الكبير .خرج أبو الحسن صوب تونسَ بتوجيهٍ من شيخه، وفيها تتلمذ على يد شيوخٍ أجلاَّءَ مما زاده تبحُّرًا في العلم. ثم استقرَّ في مدينة شاذلة، التي التصق اسمها به فيما بعدُ. غير أنَّ المضايقاتِ التي تعرض لها من قبل بعض المنافسين، أدّت به إلى السفر نحو الإسكندرية، ومنها خرج إلى القاهرة، وهناك أيَّده العالم الشَّهير العزُّ بن عبد السلام المعروف بسلطان العلماء فكثر بذلك أتباعه. وأثناء رحلته نحو البقاع المقدسة وافته المنيَّة في الطريق سنة 656هـ/1258م فدُفِن في صحراء عيذاب من صعيد مصر. ترك الشَّاذلي مجموعةً من المؤلَّفات منها: رسالة الأمين في آداب التَّصوُّف، والسرُّ الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل. كما نُسبت إليه بعض الأحزاب على غرار الحزب الكبير وحزب البحر. للمزيد ينظر: مؤيد العقبي: المرجع السابق ،ص149 . خير الدين الزركلي: المرجع السابق، مج4،ص47. أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع السابق،ج4. عبد الحكيم مرتاض: **الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني(924-1246/1518-1830م)تأثيراتها الثقافية والسياسية**،أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر ،قسم التاريخ وعلم الآثار،كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية،جامعة وهران،السنة الجامعية2015-2016م، ص29.

(3)عبد القادر صحراوي:المرجع السابق، ص46.

(4)مؤيد العقبي:المرجع السابق،ص150.

(5)أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع السابق،ج4،ص68.

الإدريسي الحسن الأزهري(ت.1793م)، الذي درس بالمشرق، ومنه جاء بهذه الطريقة خلال النِّصف الثاني من القرن الثاني عشر للهجرة/الثامن عشر للميلاد[1].

ولد صاحب الطريقة في قرية بوعلاوة الواقعة بجرجرة حوالي العام 1126هـ/1714م. وتلقَّى التَّعليم الأولِّي في زاوية الشَّيخ الصديق بن اعراب في قرية آيت ايراثن، ثم غادر إلى البقاع المقدَّسة، وبعد فراغه من أداء فريضة الحج، قفل راجعًا وخلال رحلة العودة توقف بمصر للدِّراسة بالأزهر الشَّريف، وظل في ما يعرف برواق المغاربة[2] حوالي ربع قرن تتلمذ خلالها على مجموعة من الفقهاء والمحدثين منهم:علي بن أحمد الصعيدي ،سالم النفزاوي ، عمر الطحلاوي ومحمد بن سالم الحفناوي، الذي تلقى عنه الشيخ تعاليم الطَّريقة [3].

ولما عاد الشَّيخ إلى الجزائر سنة 1183هـ/1769م، أسَّس له زاوية بمسقط رأسه آيت اسماعيل، ومنها أخذ في نشر الطريقة التي عُرِفت باسمه، والتي لاقت صدىً شعبيا كبيرا في منطقته، وهو ما أقلق بعض مرابطيها، فاضطر عند ذلك إلى المغادرة صوب العاصمة، أين استقر في الحامَّة وأسَّس زاويةً أخرى لبثِّ تعاليم طريقته، فلاقت استقبالاً كبيرًا لدى المواطنين، الذين أخذ عددهم يتزايد ليس في مدينة الجزائر وحدها بل في مختلف أنحاء البلاد، مما عرضَّه للحسد والمكائد ولجملة من الشُّبهات والشَّائعات، أدَّت إلى مثوله أمام المجلس الشَّرعي. وبعد الاستماع إليه ثَبَتَت براءته من كل التّهم التي وُجِّهت إليه[4].

بعد ذلك، رجع الشَّيخ المذكور إلى نشاطه واستمر في نشر تعاليم طريقته، التي انتشرت في مختلف أرجاء الوطن، ولكنها تركَّزت بشكلٍ خاصٍّ في الوسط والشرق والجنوب[5].

وكانت وفاة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بمسقط رأسه سنة 1208هـ/1794م. ولكن جماعةً من مريديه نقلوه من قبره ليلا بشكل خفيٍّ ودفنوه بالحامة، أين يوجد ضريحه الذي ما يزال العامَّةُ يزورونه

---

(1)أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع نفسه،ص 155.

(2) وأُنشِئ في أواسط القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد على عهد الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون علي يد الوزير سعد الدين بشير للطلبة الوافدين من بلاد المغرب الإسلامي. ويقع في الجانب الغربي من صحن الجامع إلى يمين باب المغاربة وللرواق باب آخر على صحن الجامع. ويحوي مساكن ومكتبة كبيرة تسمح بالاستعارة الخارجية لجميع الطلبة. وقد أوقف على هذا الرواق أوقاف كثيرة يصرف منها على المساكن وتقدم منها للطلبة مرتبات شهرية. ينظر: عبد الهادي التازي: **رواق المغاربة بالأزهر الشريف**، في مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، شعبان-رمضان 1403هـ/ماي –جوان 1983م، ع229،ص50.

(3) مؤيد العقبي: المرجع السابق،ص- ص155-156.

(4) نفسه،ص- ص156-157.

(5) نفسه،ص ص157-158.

إلى يومنا هذا. وكان ذلك سببًا في تسميته ببوقبرين[1]. وقد انتقلت هذه الطريقة إلى البلاد التونسية عبر منفذين أولهما الكاف وثانيهما نفطة[2].

ومن أشهر الزوايا الرَّحمانية بالجزائر؛ عَلاوةً على الزَّاويتين المذكورتين سابقًا، الزَّاوية العثمانية بطولقة، والتي ما تزال تمارس دورها التَّعليميَّ إلى غاية اليوم، وزاوية الشيخ عبد الحفيظ الخنقي المجاهد في منطقة خنقة سيدي ناجي في بسكرة[3].

د-الطَّريقة التِّجانيَّة:

أسّسها الشيخ أبو العباس أحمد بن المختار بن أحمد التِّيجاني المولود في مدينة عين ماضي بالأغواط سنة 1150هـ/1738م، وفيها حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبعة أعوام[4]. وتعلَّم الفقه وعلوم اللُّغة. وظلَّ الشَّيخُ في منطقته إلى أن توفي والداه خلال يوم واحد بالطَّاعون، فخرج متنقِّلاً بين بوسمغون وتوات والأبيض سيدي الشيخ وتلمسان، أين كان يحتكُّ بالعلماء ويأخذ عنهم[5].

وبعد أن أقام مدَّةً في مدينة تلمسان؛ غادرها قاصدا المغربَ الأقصى، أين حلَّ بفاسَ وأخذ عن مشايخ الزوايا المنتشرة وقتها في البلاد، مثل الطَّريقةِ الطيبيَّة، والطَّريقةِ القادريَّة، والطَّريقةِ الصديقيَّة. ولكنَّ إقامته لم تدم فيها طويلا، فعاد مجدَّدًا إلى تلمسانَ، ومنها خرج لأداء فريضة الحج. وفي الطريق التقى بالشَّيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري صاحب الطريقة الرَّحمانية، فأخذ عنه ما تيسر له من العلم. ولما وصل إلى تونسَ أخذ عن علمائها أيضًا. وفي القاهرة التقى بالشيخ محمد الكردي العراقي، الذي أذن له بتأسيس طريقته وبتلقين الذِّكر.وبعد هذه الرحلة وصل الشيخ إلى البقاع المقدسة. وبعد أدائه لفريضة الحج، تفرغ لأخذ العلم على المشايخ هناك، فاستطاع أن يحصل منهم على خلاصة الطرقِ الشاذلية والطيبية والرحمانية والناصرية[6].

وبعد عودة الشيخ إلى الجزائر، استقر في مدينة تلمسان، ولكنه ما لبث أن غادرها سنة 1196هـ/ 1782م، بعد أن ضايقه باي وهران الباي محمد الكبير.وأخذ يتنقَّل في صَّحراء الجزائر إلى أن استقر في

---

(1) مؤيد العقبي: المرجع نفسه،ص163.

(2) التليلي العجيلي: الطرق الصوفية...، المرجع السابق، ص51.

(3) مؤيد العقبي:المرجع السابق،ص158.

(4) أبوالقاسم محمد الحفناوي: المرجع السابق، ج1،ص 281.

(5) علي حزام برادة: **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني**، وبهامشه كتاب رماح حزب الرحيم على حزب الرجيم لعمر بن سعيد الغوثي الكدوي، دار الجيل، بيروت 1988م،ج1،ص24.

(6)نفسه، ص43.

قصر بوسمغون، حيث ضريح الولي الصالح الذي سُمي القصر باسمه[1]؛ أين أسَّس الطَّريقةَ التّيجانيَّةَ. ومرة أخرى تعرض الشيخ للمضايقات من طرف باي وهران محمد بن عثمان، فرجع إلى فاس مرة أخرى مصحوبا بأهله ومريديه، وهناك عمل مدرسا لعلوم الدِّين في جامع القرويّين، وأسَّس له زاويةً اجتمع حولها الأتباعُ، ومنها أخذ في نشر تعاليم طريقته[2].

وبعد أن ركّز سيد أحمد التجاني بتأسيس الزاوية الأم بعين ماضي، بقي على هذه الحالة ينشر الطريقة، ويأذن في الأوراد متنقلا بينها وبين أبي سمغون وتوات، وعن طريق هذه الأخيرة انتشرت في واحات الصحراء، لكنها لم تستطع التوسع شمالا، حيث التجمعات الكثيفة من السكان، لأنها كانت تقلق السلطة العثمانية بالجزائر[3]، بل أدّى بها خوفها إلى شن حملات عسكرية على عين ماضي، وفرض إتاوة على الشيخ التجاني وأتباعه[4]، مما دفع بالشيخ إلى الهجرة القسرية باتجاه المغرب الأقصى ليستقر به المقام هناك.

وبعد عمر حافل بجلائل الأعمال، توفي الشيخ أحمد التيجاني سنة 1230هـ/1815م،ودُفِن في مدينة فاس،بعد أن خلّف عدّة مؤلّفات، نذكر منها: الإرشادات الربَّانيَّة بالفتوحات الإلهيَّة من فيض الحضرة الأحمديَّة التِّيجانيَّة، وجواهر الحقائق في شرح الصَّلاة المسمّاة بـ: " ياقوتة الحقائق والتعريف بحقيقة سيد الخلائق[5].

هـ –الطريقة اليوسفية:

وهي إحدى فروع الشَّاذليَّة، وتُنسَب إلى الشَّيخ أحمد بن يوسف الملياني الراشدي الهواري. لاحقه السَّلاطين الزيَّانيُّون وضايقوه في أواخر الفترة الزيانية –التي غلب عليها التدهور– نتيجة نفوذه الرُّوحي، الذي أخذ في الانتشار في القرى والأرياف والمدن، فحاول السلطان الزياني قتله، ولكن حاكم هوارة اكتفى بأن أخرجه من المنطقة.وقد أثَّرت الطريقة اليوسفيَّة في الأوضاع السياسيَّة بشكل كبير، إذ استطاعت بتحالفها مع العثمانيين أن تساهم في إسقاط الدولة الزيَّانيَّة[6].

---

(1) علي حرازم برادة: المرجع نفسه، ص43.

(2) نفسه.

(3)بن يوسف تلمساني : **الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر(الحكم العثماني، الأمير عبد القادر، الإدارة الاستعمارية)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر السنة الجامعية 1997-1998، ص، ص 107،111.

(4) Louis Rinn : Op cit, p420.

(5) مؤيد العقبي:المرجع السابق،ص– ص178-179.

(6)نفسه،ص224.

وكان للشيخ المذكور زاويةٌ في المكان المعروف برأس الماء، ويلتقي فيها مع أتباعه ومريده، إلى أن توفي سنة 831هـ/1427م بمدينة مليانة التي يوجد فيها ضريحه[1].

و–الطَّريقة الطَّيبيَّة:

تعود أصول هذه الطريقة إلى المغرب الأقصى، وتحديدا إلى منطقة وزان؛ ومنها انتقلت إلى الجزائر وانتشرت في الجنوب الغربي للجزائر؛ وصولا إلى منطقة توات وقورارة أين كانوا يواظبون على أذكارها وأورادها، كما انتقلت إلى تونس وطرابلس حتى وصلت إلى مصر. تأسّست هذه الطَّريقةَ على يد الصُّوفيُّ المغربيُّ مولاي عبد الله الشريف بن إبراهيم الوزاني (ت 1678م). وهي إحدى فروع الطريقة الشاذلية، إلا أن نسبة الطريقة التصقت بأحد أبنائه المعروف بمولاي الطيب. وكانت الطريقة الطيبية في الجزائر على علاقة وطيدة بالسلطة العثمانية، وحسب عقد وقف يعود إلى النصف الثاني من القرن السابع عشر للميلاد، فقد أوقف باي وهران دارا على الزاوية بوهران[2]. وأصبح لها العديد من الزوايا،ومنها الزاوية الطيبية بمعسكر. كما انتشرت في المناطق الجبلية بالونشريس والظهرة ومستغانم، حيث قبائل الدواسر والزمالة. وامتدت إلى نواحي بايلك التيطري، سور الغزلان، وأولاد جلال. وكان لهذه للطريقة انتشار واسع في كل من موريتانيا، المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، ومصر[3]. وقد وصل عدد أتباعها في أوج قوتها إلى 22 ألف مريد[4].

هـ– الطريقة المدنية:

وتعود أصولها إلى الطريقة الشاذلية، والتي أنشأت قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر على يد سيدي موسى بن حسن المدعو بوحمار المصري الدرقاوي[5]. وكان أحد أتباع أحمد بن الوارث شيخ المدنية بتونس. وقد امتدت سلطة هذه الطريقة في بايلك التيطري، وأهم معاقلها قبائل هوارة الأمازيغية، والمدية والبرواقية[6].

ز –الطريقة العروسية:

نسبة إلى أحمد بن عروس الهواري(ت. 868هـ/1463م). ولم تظهر العروسية إلا في القرن

---

(1) مؤيد العقبي:المرجع نفسه.

(2)أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق، ج1، ص515.

(3) صالح بوسليم، محمد الزين : المرجع السابق، ص 45.

(4) Louis Rinn : Op cit, p375.

(5)أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع،ج4،ص122.

(6) Alexandre Joly : "**Étude sur les Chadouliyas**" ,in R.A, 1906, , N° 263 pp 338-347.

العاشر للهجرة/ السادس عشر للميلاد[1]. وقد انتقل مؤسّسها إلى تونسَ في صغره لطلب العلم؛ وهناك لازم الشَّيخَ سيدي محرز بن خلف مدةً طويلةً، ومنها انتقل إلى باجة، ثم دخل إلى الجزائر وسكن ميلةَ، حيث عمل مدرِّسًا للصبيان[2].ولكنَّ إقامته بالجزائر لم تطل، إذ سرعان ما رحل إلى المغرب الأقصى للأخذ عن علمائه ومتصوِّفيه. وبعدها عاد إلى مدينة تونس؛ أين التقى بالأتباع والمريدين، الذين أطلقوا عليه لقب سلطان المدينة. و بنى له السُّلطان الحفصي محمدٌ المنتصر زاوية بالقرب من سوق العطَّارين[3] بتونس. والتي لم يقتصر زوارها على عامة الشَّعب، بل إن السلاطين الحفصيِّين، ومن بعدهم حكامُ تونسَ العثمانيين كانوا مداومين على زيارتها وخصوصا في المناسبات الدِّينيَّة، مثل إحياء ذكرى المولد النبويِّ الشَّريف، وليلةَ السَّابع والعشرينَ من رمضانَ[4].

ح–الطريقة الشَّابيَّة:

ظهرت هذه الطريقة في تونس في بداية القرن السادس عشر للميلاد، كحركة دينية تحولت أيام شيخها عرفة بن نعمون الشابي إلى حركة سياسية، حيث أعلنت الثورة على الحفصيين، امتد لهيبها إلى الشرق الجزائري حتى وصلت منطقة الزاب.

ويعود الفضل في تأسيسها إلى الشَّيخ أحمد بن مخلوفٍ الشابيّ[5]المولودُ في قرية الشَّابَّة بتونسَ سنة 803هـ/1400م. أما عن العلوم وتعاليم التَّصوف فقد تلقَّاها بمدينة تونسَ، التي ظل بها عدة أعوامٍ[6]، بعد أن لازم الشيخَ أحمد بن عروس(867هـ/1462م) وشيوخا آخرين، من أمثال علي بن

(1) عبد القادر صحراوي: المرجع السابق، ص47.

(2) مؤيد العقبي:المرجع السابق،ص248.

(3) يقع هذا السوق على الممر الرابط بين القصبة وباب البحر .ويرجع تخصصه في هذا النشاط إلى عهد أبي زكريا الأول (ت 1240م). ويبدو أنه لم يكن مسقوفا سوى بالخشب في عهده الأول ، ومع منتصف القرن التاسع عشر أصبح يغطيها قبو طولي وضيق، مما جعل الرحالة الغربيين يشبهونها بالدهاليز الطويلة والضيقة.للمزيد ينظر:كريم بن يدر:**الحرف والحرفيُّون بمدينة تونس خلال القرنين 18 و19**، مركز النشر الجامعي، تونس 2007م،ص ص167-168.

(4) مؤيد العقبي:المرجع نفسه ،ص ص248-249.

(5) هو الشيخ أحمد بن مخلوف الشابي: (ت. 898هـ/ 1492م) هو فقيه صوفي ولد ببلدة الشابة بالساحل الشرقي في رأس قبودية قرب المهدية وصفاقس. أخذ في مسقط رأسه على العديد من المشايخ ،أمثال قاسم الرصاع وأحمد القلشاني. ينظر : محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، ط 1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1984م، ج3، ص121

(6) مؤيد العقبي:المرجع السابق ،ص250.

المحجوب، وعبد الوهاب المكي[1]. وبعد ذلك رحل الشيخُ أحمدٌ بن مخلوف إلى القيروان، التي اشتهر فيها والتف حوله الكثيرون، فأسَّس الطَّريقةَ الشابيةَ وأصبح بذلك إمامًا ومعلِّمًا؛ وزادت شهرته وكثر مريدوه، وهو ما لم يَرُق لعددٍ من معارضيه؛ فسعوا لإفشاله، ولكنّه تمكّن من التَّغلُّب عليهم بفتوى حصل عليها من قاضي القضاة الشيخِ محمد الرَّصاع (ت.894هـ/1489م). وأخذ الطريقة على يده جمع كثير حتى أنه كاد يطفئ صيت المرابط أحمد بوعكاز، والشيخ محمد ساسي البوني[2]. توفي الشَّيخ أحمدٌ بن مخلوف الشابي في سنة 877هـ/1472م [3].وتولى بعد ذلك رئاسةَ الطَّريقة ابنُه الشَّيخُ محمدٌ الأكبرُ(ت.890هـ/1485م)، وبعد وفاته خلفه أخوه الشَّيخُ عرفة، الذي ازدهرت في عهده الطَّريقة وتوسعت بشكلٍ لم تعرفه من قبلُ.وبالتالي أصبحت مدينةُ القيروانِ المركز الدينيّ والسياسي لهذه الطريقةِ[4].وقد سُجِّلَ على هذا الشَّيخ معارضتُه للسُّلطةِ الحفصيَّةِ وخروجه عن طاعتها في سوسة والقيروان، حيث ثار على الأمير الحفصيّ الحسينِ بن محمَّد، وتمكَّن هو وأتباعه من التَّغلبِ على قوَّات الحفصيِّين. وكان الشَّيخ بذلك يطمح إلى تأسيس إمارةٍ، لولا أن منعه من ذلك ازدياد عدد معارضيه[5].

وبعد أن توفي الشيخ عرفة سنة 849هـ/1445م خلفه أخوه أبو الطَّيِّب، في الوقت الذي عمَّت فيه الفوضى أرجاء البلد بفعل الاحتلال الإسباني للبلاد، ونظرا لاشتداد شوكة المعارضة لم يعد للشَّيخ وطريقتِه تأييدٌ من طرف الجماهير، التي استنجدت بوالي طرابلس درغوث باشا، الذي قدم البلاد وقضى على الشيخ أبي الطَّيِّب وطارد أتباعه، الذين تفرَّق بعضهم في أنحاء البلاد، بينما استقر أغلبهم في مدينة تونسَ وأسَّسوا مدينة الشابية[6].

ط–الطَّريقة العامريَّة:

نسبةً إلى الشَّيخ عامر بن الحاج سالم المزوغي، المولودِ في قرية السَّاحلين سنة 920هـ/1514م. حفظ القرآن الكريم في زاوية جدِّه، ومنها توجه إلى سوسةَ؛ أين لازم مفتيَ المدينةِ الشيخَ محمدًا الريفي ثلاث سنواتٍ خرج بعدها إلى مدينة تونسَ؛ أين واصل دراسته على يد الصُّوفي الشَّهيرِ الشيخِ أبي

---

(1)عبد الحكيم مرتاض: **الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني(924–1246/1518–1830م)تأثيراتها الثقافية والسياسية**،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار،كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران،السنة الجامعية1436-1437هـ/2015-2016م، ص28.

(2) عبد الكريم الفكون المصدر السابق، ص168.

(3)عبد الحكيم مرتاض:المرجع السابق.

(4)مؤيد العقبي:المرجع السابق،ص251.

(5)نفسه.

(6)نفسه،ص252.

الغيث القشَّاش مدة عشر سنواتٍ،والذي أجازه وأذن له بنشر تعاليم الطريقة الشاذلية. ثم قام الشيخ عامر شرع يطوف في أرجاء البلاد لنشر طريقته، بعد ذلك استقر به المقام في بلدة هنشير الوحيشي القريبة من مسقط رأسه، وبنى فيها زاويةً للخلوة والعبادة بمساعدةٍ من أتباعه ومريديه، ولما انتشر خبرُه أصبح مقصدًا للزَّائرينَ من كل حدبٍ وصوبٍ بما فيهم رجالُ السياسة في الدولة الحفصيَّة[1].

وقد اشتهر الشَّيخ بمحاربته للإسبان، المتواجدينَ في تونسَ؛ فجنَّد عددًا من مريديه لمحاربة الإسبان، فقتلوا منهم الكثيرَ.ونظير هذه الجهود، فقد حظي في العهد العثماني باحترامٍ وتقدير كبيرين اعترافًا لما قام به.كما جدد العثمانيون زاويته التي اجتمع فيها عددٌ كبيرٌ من الأتباع. وبمرور الزَّمن تحولت من زاويةٍ إلى بلدة سيدي عامر، أين توفي سنة 1040هـ/1630م، ودفن في زاويته[2].

ي–الطريقة العيساوية:

يعود الفضل في تأسيسها إلى الشيخ أبو عبد الله محمد بن عيسى المكناسي، الذي ولد في فاس سنة 872هـ/1467م بمدينة فاس، وتوفي سنة 933هـ/1526م ودفن في مكناس مقر الزاوية الأم للطريقة العيساوية[3].بعد أن خلّف طريقته المسمّاة بالطريقة العيساوية التي تعود جذورها وسندها حسب بعض الدارسين إلى الإمام أبي الحسن الشاذلي قطب التصوّف في زمانه، وبعده تعود بدورها إلى محمد بن سليمان الجازولي(ت.870هـ/1465م) صاحب كتاب (دلائل الخيرات)، والذي إليه تنسب الطريقة الصوفية المسمّاة "بالجزولية"، وسُميت بعد وفاته بـ" العيساوية". إذ ذكر أحمد القطعاني وهو من أبرز من أرّخ للطريقة العيساوية أنّه لم تمض على وفاة الشيخ الكامل "سيدي محمد بن عيسى" مائة سنة إلاّ وزوايا طريقته منتشرة في كامل بلاد المغرب وموريتانيا والجزائر وليبيا، حيث بنيت أوّل زاوية في أوائل القرن السابع عشر ميلادياً في مدينة طرابلس[4].

وتعتبر الطريقة العيساوية من أقدم الطرق الصوفية في الجزائر، فقد تأسّست أول زاوية للطريقة سنة 1571م في وزرة بالمدية (بايلك التيطري). ولهذه للطريقة العيساوية عدّة فروع في الجزائر.و تشتهر بممارستها للرَّقص على وقع الموسيقى الصَّاخبةِ باستعمال الطُّبولِ،وأعمالِ العنفِ والسِّحر. وبذلك يختلط في هذه الطريقة الدِّينُ والشَّعوذةُ، والجِدُ والهزلُ.وهو ما أثار معارضةَ الفقهاءِ[5].

(1) عبد الحكيم مرتاض: المرجع السابق ،ص254.

(2)مؤيد العقبي:المرجع السابق،ص255.

(3) نفسه،ص256.

(4)أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع السابق،ج4، ص–ص83–84.

(5)نفسه، ص–ص84–85.

ثالثا– الطرق الصوفية في تونس وانتقالها بين البلدين.

اشتدَّ عودُ الحركة الصوفية بتونس منذ بداية العهد الحفصيّ، تحت تأثير عواملَ عديدةٍ منها احتلال النُّورمان لعديد المدن السَّاحلية وتشتت الحكم المركزي الذي كان بالقيروان وتوزُّعه إلى مدنِ الطَّوائف حيث انتصب أمراءُ عديدون من جراء الغزوة الهلاليَّة لإفريقية. وقد أثرى هذه المراكزَ الثَّلاثةَ في إفريقية وفودُ أقطابٍ من متصوفة الأندلس إلى تونسَ وإقامتُهم فيها أشهرًا عديدةً، مما ساهم في ازدهار الحركة الصوفية(1).

أما خلال العهد العثماني فامتازت الطرق الصوفية في تونس بكثرتها. وبعض هذه الطرق أصلي، وهي التي انبثقت عنها طرق جديدة، وبعضها الآخر فرعية، وذلك لتفرعها عن الطريقة الأم، ونذكر منها:

أ–الطَّريقة القادرية:

تُعد من أقدم الطرق الصوفية في البلاد التونسية. وصلت إلى تونس عن طريق شعيب بن الحسن، الذي أخذ الطَّريقة عن مؤسِّسها الشيخ عبد القادر الجيلاني. وأثناء عودته مرَّ بتونسَ؛ أين اتصل ببعض مشايخها، فتوطّدت العلاقة بينهم، وأصبح هؤلاء يزورونه في بجاية، وبذلك أخذوا عنه تعاليم الطريقة. وكانت زاوية هذه الطريقة في الكاف، ولكنها انتشرت في كامل الشمال الغربي إلى غاية مدينة قسنطينة وجزء من مدينة الجزائر، حيث تمارس نفوذها على أولاد بوغانم ،شارن ،الزغالمة ،ماجر ،الفراشيش ،أولاد مومن والنمامشة. بينما تشرف زاويتها بتوزر على الجنوب التونسي والجنوب الجزائري وصولا إلى غدامس وعين صالح. هذا إلى جانب زوايا قادرية أخرى توجد كلها بالبلاد التونسية(2).

ب–الطريقة التيجانية:

يعود الفضل في إدخالها إلى البلاد التونسية، إلى الشيخ إبراهيم الرياحي الذي التقى في فاس بمؤسّسها سيدي أحمد التيجاني بين عامي 1803–1804م فتأثر به، وكان بذلك أوَّلَ تونُسيٍّ يتلقَّى تعاليمَ الطريقة التيجانية وتعلَّق بها ونشرها بتونسَ. وكانت زاويته الواقعة بقرب حوانيت عاشور أول زاوية بالبلاد التونسية(3). وتذكر المصادر التاريخية أن سيدي أحمد التيجاني وهو في طريقه حل بمدينة سوسة وأقام بها سنة كاملة، درّس فيها العلم، وخصوصا " الحكم العطائية "، وطلب في مدة إقامته بها ملاقاة

(1) فتحي المرزوقي:المرجع السابق،ص67.

(2) التليلي العجيلي:**الطرق الصوفية**...، المرجع السابق،ص، ص39،42.

(3) نفسه،ص ص43–44.

الشيخ سيدي عبد الصمد الرحوي[1]، فكانت بينهما مهاداة ومكاتبة. وبعد انقضاء سنة على إقامته بتونس ركب البحر إلى مصر، وبها لقي الولي الكبير، والعارف الشهير سيدي محمود الكردي[2].

ج-الطريقة الشابية:

نسبة إلى مؤسّسها السيد أحمد بن مخلوف الشَّابي (ت.877هـ/1482م). وهو من مواليد بلدة الشَّابة بمنطقة الساحل.أقام بالقيروان وكان من أهل الصَّلاح إلى أن أصبح وليًّا. خلفه الولي سيدي أحمد بن مخلوف الشابي ابنه الأول محمد الكبير(ت.890هـ/1485م)،ثم سيدي عرفة الشابي(878هـ-949هـ/1473-1542م)،الذي عرفت معه الحركة الشَّابية انطلاقتها الحقيقيَّة، خاصةً لما أضاف إليها البُعد السَّياسي[3].

ويعود انتشار الدعوة الشابِّية في المناطق البعيدة وفي الأوساط القبلية إلى الدور الذي قام به التلميذان أحمد الغوث التَّبَّاسي التُّوزري الذي قام بنشر الدعوة عند القبائل بالمناطق الجنوبيَّة من البلاد التُّونسيَّة، ونصر بن أحمد المقنعي الحنَّاشي الذي عمل على نشر الطريقة لدى قبائل الشَّمال، وخاصة قبيلة الحنانشة[4] التي كانت تمثِّلُ إحدى القبائل المحاربة الكبرى في تلك الفترة. وكان يحثُّ على الجهاد ضد الكفَّار من المسيحيِّين الذين أصبحوا يهدِّدون السواحل. وتؤكّد الطَّريقة على تفاهة الحياة الدُّنيا وتنادي بنبذ التَّرف والبذخ . وجدت الطَّريقةُ تجاوبًا خاصًّا لدى البدو والقبائل بصورة عامَّةٍ.إذ وَجدَت فيها كلَّ رموز البداوة، مثل النَّخوة والصَّبر والشَّجاعة والصُّمود عند الصُّعوبات وغيرها من الصفات، كما أنها تحثُّ على الجهاد في سبيل الله[5].

وأولى القبائل، التي تبنَّت الطَّريقةَ الشَّابيَّة كانت قبيلة الحنانشة، التي امتدت مضاربها ما بين الجزائر وتونس، وانضمت إليها بعد ذلك بقية القبائل التابعة لها(للحنانشة)، مثل خمير، ورغة، شارن، الفراشيش ودريد في تونس[6]. أما في الجزائر؛ فانضمت إليها قبائل الحنانشة، والحراكتة، النمامشة، أولاد سعيد

---

(1) محمد التجاني: **بغية المستفيد لشرح منية المريد للشيخ أبي العباس التجاني**، دار الكتب العلمية بيروت لبنان2015، ص204.

(2)نفسه، ص204.

(3)فتحي المرزوقي: المرجع السابق،ص86.

(4) لقد احتلت هذه القبيلة المرتبة الثالثة في المنطقة بعد كل من بايات قسنطينة والبايات الحسينيين في تونس.وذلك راجع لاستغلال الموقع الحدودي بين الإيالتين، وهو ما جعلها لا تدفع الضرائب إلى كلا النظامين في الجزائر وتونس. كما كان للمصاهرة مع بايات تونس دور كبير في زيادة ذلك النفوذ.ينظر: احميدة عميراوي:علاقات بايليك الشرق ...،المرجع السابق،ص- ص27-28.

(5) فتحي المرزوقي: المرجع السابق، ص86-87.

(6) يوسف بن حيدة: **التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية؛ الطريقة الشابية نموذجا**، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، السنة الجامعية 2016-2017م، ص 25.

والنوايل. وعلى الرغم من التأييد الكبير، الذي لاَقَته الطريقة في الأوساط البدوية، فإنَّها على العكس من ذلك لاقت معارضة بعض العلماء والفعاليَّات في المدن؛ إذ رأوا في هذه الطَّريقة مروقًا وخروجًا عن الدِّينِ الصَّحيحِ[1].

والجدير بالذكر، أن الطريقة الشابية التي انتشرت في الجزائر وتونس خلال فترة الدراسة، كتت نتاج التواصل مع أعلام التصوف في بلاد المشرق والمغرب؛ حيث ساهمت في التقريب بين بين الأفراد والقبائل المتنقلة والبدو على طول الحدود بين الجزائر وتونس في حالات حدوث نزاع[2]. وعملت على تدعيم الروابط الفكرية والروحية وترسيخ ثقافة التعاون والتسامح.

د–الطريقة المدنية:

ظهرت هذه الطريقة في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة/التاسع عشر للميلاد في طرابلس.وفي مصراته بالذات، وكان الشيخ محمد بن حمزة المدني قد أخذها عن شيخه محمد العربي الدرقاوي(1239هـ/1825م)، والمدني نسبة إلى المدينة المنورة، ويُقال أنها تأسّست سنة 1820م. وصادف ظهورها احتلال فرنسا للجزائر والثورات الشعبية فيها ضد الاحتلال الفرنسي سنة 1830م ثم فرض الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881م[3]. وقد انبثقت الطريقة المدنية عن الطريقة الدَّرقاوية والتي تفرعت بدورها عن الشاذليَّة. وتُنسب الطريقة المدنيَّة إلى مؤسِّسها محمد ظافر المدني (ت. 1903/1321م) ، وبعد أن خلفه ابنه محمد أسَّس عدّة زوايا في طرابلس بليبيا، ثم تونس، ومنها زاوية الشيخ أبي عبد الله في صفاقس[4].

هـ–الطريقة العيساوية:

وتنسب إلى السيد محمد بن عيسى الفهري السفياني(ت. 933هـ/1526م)، الذي يعود نسبه إلى الدوحة النبوية المطهرة، وترجع بأصولها إلى الطريقة العيساوية الجزولية؛ فهو يرويها عن الشيخ الحارثي، ويرويها الحارثي عن الإمام الجزولي. ولم تحدّد المصادر التقليدية بدقّة تاريخ دخول **الطريقة العيساوية** إلى تونس، غير أنّ بعض الإشارات المقتضبة التي اهتمّت بالحياة الروحية إجمالا في بلاد المغرب، إضافة إلى تقاييد شيوخ الطريقة نفسها وأتباعها، تساعدنا بعض الشيء على اعتبار القرن العاشر للهجرة/السادس

(1) فتحي المرزوقي: المرجع السابق، ص ص88-89.

(2)العربي الحناشي: **الحنانشة وعلاقتهم بالسلطة في تونس(1640-1740م)**، شهادة الكفاءة في البحث،جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، السنة الجامعية 1987-1988،ص11.

(3) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع السابق،ج4،ص122.

(4) فتحي المرزوقي:المرجع السابق،ص47.

عشر للميلادي تاريخ دخول **الطريقة العيساوية** إلى تونس[1]. وتعتبر زاوية سيدي الحاري من أقدم زاويا العيساوية بالبلاد التونسية، وتقع بين باب الخضراء وباب سويقة، ويصطلح عليها بالزاوية الأم. وبعدها بعد ظهرت زوايا أخرى تابعة لهذه الطريقة، منها زاوية سيدي الشاذلي بباب الجزيرة، وزاوية سيدي بوسعيد التي جمعت مريدي الطريقة الشاذلية ومريدي الطريقة العيساوية [2].

و-الطريقة العروسية:

تُنسب الطريقة العروسية إلى الولي الصالح العارف بالله سيدي أحمد بن عروس المعروف بأبي الصرائر (ت. 868هـ/1463م). وقد نشرها بشكل كبير الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري الحسني (ت.981هـ/ 1573م أخذاً عن الشيخ أحمد بن عروس، وعن الشيخ بو راوي الفحل ، ولها امتداد في تونس وليبيا والجزائر. وتقوم الطريقة العروسية على مجموعة من الأوراد السنية التي يتلوها المريد كل يوم كالاستغفار والصلاة على الرسول وقراءة أجزاء من القرآن وقيام الليل، وهي أوراد متعدّدة تناسب فراغ المريد وشغله[3].

وهناك أيضا الطريقة البرهانية الدسوقية؛ نسبة للشيخ إبراهيم الدسوقي. ولها وجود في الجنوب التونسي، خاصة زاوية البرهانية بمدينة بنقردان. وأغلب هذه الطرق وسواها امتزجت بالثقافة الشعبية في مجتمع البلدين، وكان لها عميق الأثر في حياة سكانهما في مختلف الجوانب.

ومما تقدَّم، يمكن القول:

ظل التواصل الثقافي قائما بين الجزائر وتونس، وهذا من خلال رحلات العلماء إلى البلدين أو إلى بلاد الحجاز بالمشرق، من أجل أداء فريضة الحج أو للاستزادة في طلب العلم، وهي فرصة للتبادل الفكري بين مختلف العلماء، فلم يكن هناك حد يفصل بين علماء البلدين، الذين كان هدفهم اكتساب المعارف والخبرات من غيرهم.

جاءت هجرة العلماء وطلبة العلم بغرض الاستقرار في البلد المجاور،سواء في تونس أو في المغرب الأقصى؛ في مناسبات وتواريخ شتى،نظرا للاهتمام الذي كانوا يحظون به من طرف حكام هاته البلدان، وهذا ما شجّع علماء آخرين للانضمام إلى هذا الركب من أجل الوصول إلى أسمى المراتب ؛ ناهيك

---

(1) أحمد القطعاني: **أعلام الطريقة العيساوية**، ط1،منشورات دار بشرى وكلثوم للطباعة والنشر والتوزيع ، ليبيا2019م. التليلي العجيلي: الطرق الصوفية...، المرجع السابق، ص64.

(2)Louis Rinn :Op.Cit, p269.

(3) التليلي العجيلي:الطرق الصوفية...، المرجع السابق، ص35-36، ص46 .

عن الطرق الصوفية التي انتشرت في كل من الجزائر وتونس، والتي ساهمت في التقريب بين شعبي البلدين. وبالرغم من تلك المناوشات التي كانت تحدث بين البلدين من حين إلى آخر،إلا أنها لم تشكّل عائقا في وجه تنقل العلماء وطلبة العلم بين الجزائر وتونس والعكس.وهذا راجع إلى الرغبة الشديدة في طلب العلم ولقاء أهله. ويعود ذلك أيضا إلى عدم تدخل كثير من العلماء وطلبة العلم في الشؤون السياسية.

وفي المقابل، يلاحظ قلّة الوافدين من العلماء وطلبة العلم التونسيين إلى الجزائر، مقارنة بنظرائهم الجزائريين الوافدين إلى تونس، وقد يكون سبب ذلك هو عدم وجود مؤسّسات ثقافية ذات تعليم عال على غرار جامع الزيتونة، مما يدفع بالكثير من هؤلاء إلى البقاء في تونس أو التوجّه نحو بلاد المشرق.

كما اقتصرت زيارة طلبة العلم والعلماء التونسيين الوافدين على الجزائر على المؤسّسات الثقافية الموجودة في بايليك الشرق الجزائري ومدينة الجزائر، ولم يحصل أن توافدوا أو قصدوا الحواضر العلمية ببايليك الغرب الجزائري. ولاشك في أن ذلك عائد إلى قرب تلك الحواضر العلمية من تونس،لأن أغلبها كان في الفترة الوسيطة من مشمولات الدولة الحفصية.أما مدينة الجزائر، فمن الطبيعي أن تستقطب هؤلاء العلماء، لأنها كانت عاصمة للبلاد، وبالتالي كانت قبلة يقصدها العلماء وطلبة العلم من كل حدب وصوب.

ولم يشكل اختلاف المذهب الديني عائقا بين علماء البلدين؛ إذ أنهم كانوا يلتقون بشكل كبير، ويأخذ العالم المالكي على نظيره الحنفي والعكس.كما أخذ بعض العلماء الإباضيين العلم عن نظرائهم المالكيين،وكانت الإجازات تُمنح دون النظر لهذه الاعتبارات.

كما استقبل بعض رجال الحكم العلماء في البلدين استقبالاً حسناً،حتى في الأوقات التي تكون فيها العلاقات مضطربة بينهما، مما يدل على أن الاضطرابات السياسية لم تؤثر على مكانة العلماء لدى بعض الحكام.كما تقلّد بعض العلماء وطلبة العلم في البلدين لوظائف التدريس،الإفتاء، والقضاء والتفاف الناس حولهم والأخذ عنهم.

اتخذ بعض العلماء من الهجرة إلى الخارج في سياق الرحلات، وخاصة الحجازية منها؛ ذريعة للهروب من منصب يكون قد عُرض عليهم، أو اتقاء لفتنة يحتمل وقوعها. وعلى الرغم من أن الرحلة خدمت العلماء، حيث زادت في رصيدهم العلمي، وساعدتهم على اكتشاف المجهول.ولكنها بالمقابل تسببت في ضياع الكثير من الكتب التي لم يصلنا منها سوى العنوان، ذلك أن كثيرا من العلماء وطلبة العلم كانوا يحملون معهم كتبهم فيضيع بعضها أو يتعرض للسرقة.

احتلت الطرق الصوفية مكانة بارزة في مجتمع البلدين، إذ كان لها الدور الفاعل في معظم الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية؛ كدورها مثلا في توطيد العلاقات بسكان التخوم في شرق الجزائر وغرب تونس. ومهما يكن من أمر، فقد كانت كل من القادرية والرحمانية والطيبية والتيجانية والشابية أكثر انتشارا في معظم مناطق الشرق الجزائري، إذ كانت منتشرة في عين البيضاء وطولقة ونفطة والكاف وخنقة سيدي ناجي وتماسين وغيرها وكان للرحمانية وجود قوي في البلدين.

خـــاتـــــمة

خاتمة

توصّلت في ختام هذه الدراسة إلى جملة من الملاحظات والاستنتاجات، يمكن حصرها في النقاط الآتية:

- كانت العوامل المؤثرة في التواصل الثقافي والاجتماعي بين الجزائر وتونس في العهد العثماني في مجملها؛ عوامل سياسية وأخرى اجتماعية، وهي عوامل جديدة وطارئة على بلاد المغارب، على الرغم من أن أحد هذه العوامل والمتمثل في الهجرة الأندلسية قد عرفته بلاد المغارب قبل سقوط غرناطة، ولكن بشكل محتشم؛ ذلك أن عدد الأندلسيين الذين هاجروا إلى بلاد المغارب قبل حروب الاسترداد كان قليلا جدا.

- تبيّن من خلال البحث بأن العلاقات السياسية بين البلدين لم تكن مستقرة طيلة العهد العثماني ؛ فأحيانا تشهد استقرارا سياسيا وهدوءا نسبيا ، مما يؤدي إلى استقرار أحوالهما الثقافية، بينما إذا عرف هذا البلد أو ذاك مشاكل سياسية وأزمات وحروبا بينية ، يؤدي ذلك إلى تردي الأوضاع العامة في البلاد ومنها الأحوال الثقافية، مما انعكس عنه هجرة العلماء هروبا من الأوضاع السياسية المتردية، تحت غطاء أداء فريضة الحج أو غيرها من الذرائع المختلفة، فكان بعض العلماء من الجزائر يقصدون تونس إما للاستقرار بها أو البقاء مدة وجيزة؛ باعتبارها محطة عبور إلى الحجاز، بينما كان العلماء التونسيون يقصدون الجزائر نظرا لاضطراب الأحوال السياسية في بلادهم أو رغبة منهم في لقاء علمائها والاستزادة من بحر علومهم.

- على الرغم من الأضرار السلبية التي نجمت عن الاحتلال الإيبيري لسواحل بلاد المغارب عامة، وسواحل الجزائر وتونس بصورة خاصة، والمتمثلة في هجرة العلماء إلى دواخل بلاد المغارب أو إلى بلاد المشرق والأناضول، وتخريب المنشآت، وتحويل الكثير من البنايات الدينية إلى كنائس أو مستودعات للسلاح، وإتلاف المصنّفات العلمية في البلاد، وبالتالي تراجع دور كثير من الحواضر الثقافية، إلا أنه وجدت له بعض الايجابيات؛ متمثلة في كثرة التصانيف التي ألّفها الأدباء والعلماء والشعراء، وقد ظهر ذلك جليا في الجزائر، وبالتالي كان الاحتلال الإسباني للجزائر دافعا قويا لإسالة حبر هؤلاء المؤلفين. وقد يكون تجاوزا منا إذا قلنا بأنه لو لم تقع بلاد المغرب تحت رحمة الاحتلال الإيبيري لما شهدنا هذا الكم الهائل من المصنفات المعاصرة لأعمال الغزاة الإسبان.

- لاحظت من خلال البحث ضعف تأثيرات الاحتلال الإسباني في تونس، إذا ما قورنت بنظيرتها في الجزائر، وخاصة في مجال المؤلفات التي تناولت الاحتلال الاسباني لتونس، وكذلك في عدد

الحصون والقلاع التي بنوها. ويحتمل أن يرجع سبب ذلك إلى قصر المدة التي قضاها الإسبان في تونس.

- تأثير الأندلسيين كان شاملا وعاما على جميع نواحي الحياة في الجزائر وتونس، كما كان قويا وواضحا خاصة في المجال العمراني؛ إذ يرجع لهم الفضل في بناء مدن بكاملها وإعادة إحياء المدن التي كانت قد اندثرت أو تراجع دورها مع الزمن، وبفضل عاداتهم وتقاليدهم الراقية تهذبت أخلاق سكان بعض المدن والقرى، التي نزل بها هؤلاء، على الرغم من أنهم حاولوا البقاء كطائفة معزولة عن غيرها من الطوائف ضمانا لعدم الاختلاط، وبالتالي اندثار العنصر الأندلسي وذوبانه في المجتمع وهو ما حدث بعد ذلك على الرغم من وجود كثير من العائلات التي ما تزال تحتفظ بأصولها الأندلسية.
- وجود تأثيرات واضحة وهامة للعثمانيين في الجزائر وتونس، على الرغم من أن كثيرا من المؤرخين – سواء في المغرب أو المشرق – يتهمون العثمانيين بأنهم كانوا رجال حرب وسياسة ولم يهتموا بالنواحي الثقافية والحضارية، إلا أن هذا غير صحيح؛ إذ أنهم تركوا بصماتهم على النواحي الحضارية، من خلال المنشآت التي شيّدوها على مدار سنوات تواجدهم بالبلاد، وإدخال أساليب جديدة في البناء مكونة في الأساس من جذور البيزنطية وإضافات إسلامية ولمسات مغاربية وأندلسية وإفرنجية، ايطالية، واسبانية، وانجليزية أنتجتها أيادي الأسرى والأعلاج، ومن خلال بعض عناصر البناء والزخرفة التي كان يؤتى بها من هذه البلدان وغيرها من البلاد الأوروبية. كما رعى العثمانيون الحياة الثقافية في البلدين واهتموا بالعلماء.
- لاحظت وجود تشابه في كثير من مظاهر الحياة الثقافية والحضارية لكل من الجزائر وتونس في العهد العثماني، مثل تأسيس مدن جديدة وإحياء البعض الآخر ،وتعرف الجزائريين والتونسيين على أنماط جديدة في البناء لم تكن معروفة من قبل وذلك أن نفس الظروف التي عرفتها الجزائر منذ بداية القرن الخامس عشر والى غاية منتصف القرن التاسع عشر هي نفسها التي عرفتها تونس(الاحتلال الاسباني للمدن الساحلية، الهجرة الأندلسية، التواجد العثماني).
- لاحظت الباحثة تعدّد مظاهر الحياة الثقافية في كل من تونس والجزائر خلال العهد العثماني ؛ إذ يمكن ملاحظة ذلك في عديد المساجد، التي أنشئت على عهد الأتراك العثمانيين، أو في الفترات الإسلامية السابقة.

- وجود مؤسسات ثقافية أخرى تمثلت مهمتها في تخفيف الحمل عن المساجد، مثل الكتاتيب والمعمرات والزوايا. ولضمان تأدية هذه المؤسسات لدورها كان لابد من وجود موظفين وموارد مالية لتوفير جميع المتطلبات. ولذلك كان الاهتمام بالأوقاف كبيرا. ولم يقتصر دور الأوقاف على تلبية متطلبات المساجد والمؤسسات الدينية الأخرى، بل إن عائداتها وجهت أيضا للإنفاق على المؤسّسات التعليمية والمعلمين.
- لاحظت الاهتمام الكبير لرجال السياسة بالمؤسسات الثقافية، إما رغبة منهم في الثواب، أو تقربا من مشايخ الطرق الصوفية، أو لإرضاء عامة الناس، أو لتخليد أنفسهم.
- تأكّد من خلال البحث بأن الهجرة تختلف عن الرحلة، ذلك أن الهجرة يقدم عليها الفرد سواء كان عالماً أو غير ذلك، فيخرج مضطراً للمغادرة هروبا من وضع معيّن في بلده، بينما يخرج في رحلة ما، من كان راغبا فيها؛ بغرض القيام بأداء بفريضة الحج، أو للاستزادة في طلب العلم، على أن بعض الرحلات قام بها أصحابها بعد أن وقعوا في مشاكل معيّنة أدّت بهم إلى الخروج لفترة والقيام برحلة والعودة بعدها.
- لاحظت الباحثة قلّة رحلات العلماء الجزائريين إلى تونس، رغم القرب بين البلدين ووحدة التاريخ والعناصر السكانية، إذ أن أغلب رحلات الجزائريين خلال هذه الفترة كانت تتجه، إما نحو المغرب الأقصى أو بلاد المشرق. إلى جانب ذلك يُلاحظ أيضا قلّة الرحلات التونسية نحو الجزائر في العهد العثماني، ولعل هذا عائد إلى اكتفاء العلماء التونسيين بجامع الزيتونة، ومن أراد منهم الاستزادة في العلوم قصد بلاد المشرق.
- تبيّن من خلال الدراسة، بأن اختلاف المذهب الديني لم يشكّل عائقا أمام تواصل علماء البلدين مع بعضهم، ذلك أن علماء المذهب المالكية كانوا يتواصلون مع علماء المذهب الحنفي ويتتلمذون عليهم ويأخذون عنهم، والعكس صحيح.
- على الرغم من أن أغلب الرحلات العلمية تعود بالفائدة على العلماء وطلاب العلم؛ بأن تزيد من علمهم وثقافتهم، وبالتالي تساهم في إثراء الحياة الثقافية ،ولكنها أدّت في بعض الأحيان إلى ضياع بعض المصنّفات؛ ذلك أن بعض العلماء نقلوا معهم مكتباتهم فضاع بعض محتوياتها في الطريق لأسباب متعددة؛ كأن تتعرض القافلة لهجوم قطاع الطرق. كما كان بعض العلماء يفضلون الاستقرار في البلد التي هاجروا إليها ويموتون فيها، وبذلك تبقى كتبهم في تلك البلاد، ولهذا السبب لم تصلنا كل مصنّفات هؤلاء العلماء.

- تأكّدت من خلال البحث عدم تأثر التواصل الثقافي بين البلدين بتقلب العلاقات السياسية بينهما؛ كالمناوشات والاشتباكات التي كانت تندلع من حين لآخر . أما بخصوص علاقة رجال السلطة بالعلماء؛ فيظهر في أكثر من مرة أنهم كانوا يستقبلونهم استقبالا حسناً، وهو ما تجلى في استقبال حمّودة باشا الحُسيني لأبي راس الناصر وإكرامه رغم الحرب الدائرة وقتها بين البلدين.
- وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت في تحقيق بعض الأهداف المسطّرة. والوقع أن هذا العمل ما هو إلاّ مساهمة متواضعة في كتابة تاريخ بلاد المغارب، وكل ما أرجوه في ختام هذا البحث أن يكون لبنة تُضاف إلى اللبنات التي سبق وضعها في مجال الدراسات التاريخية المتعلقة بالتاريخ الثقافي لبلاد المغارب خلال العهد العثماني، وأعتقد أنه يحتاج للإثراء من الباحثين، نظرا لما يحتويه من الموضوعات والإشكاليات المطروحة . ونأمل في الختام أن يجد المطلّع على صفحاته شيئا من ضالته وهو يتصفح هذه الوريقات

الملاحق

الملحق رقم 01

أجور الأئمة وباقي الموظفين في بعض جوامع وزوايا مدينة الجزائر في السنوات الأخيرة من العهد العثماني[1]

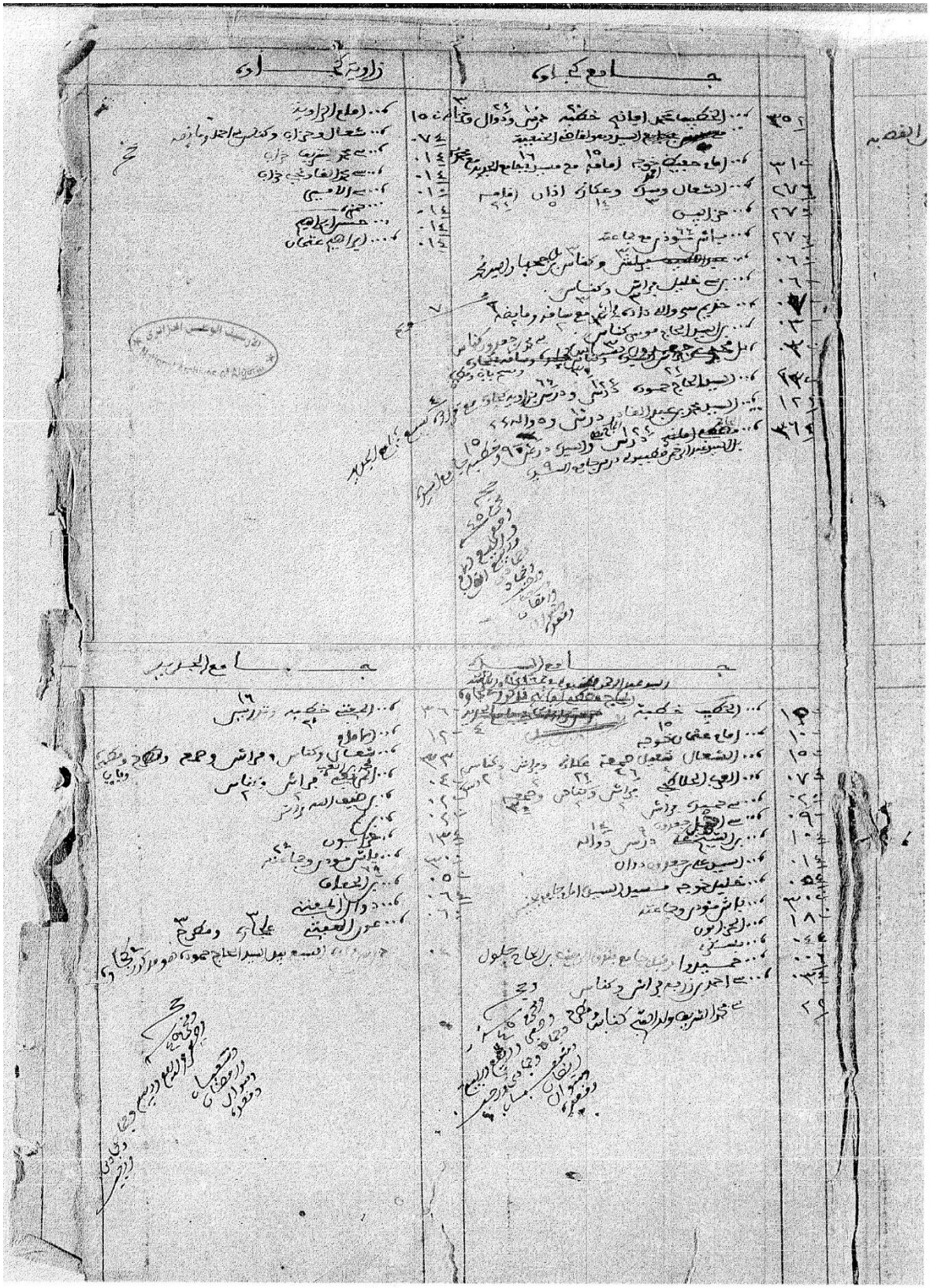

(1) أ.و.ج: س.ب.ب: السجل 321،ع33 لسنة 1245هـ/1829م(نقلا عن: نواصر عبد الرحمن: المرجع السابق،ص320).

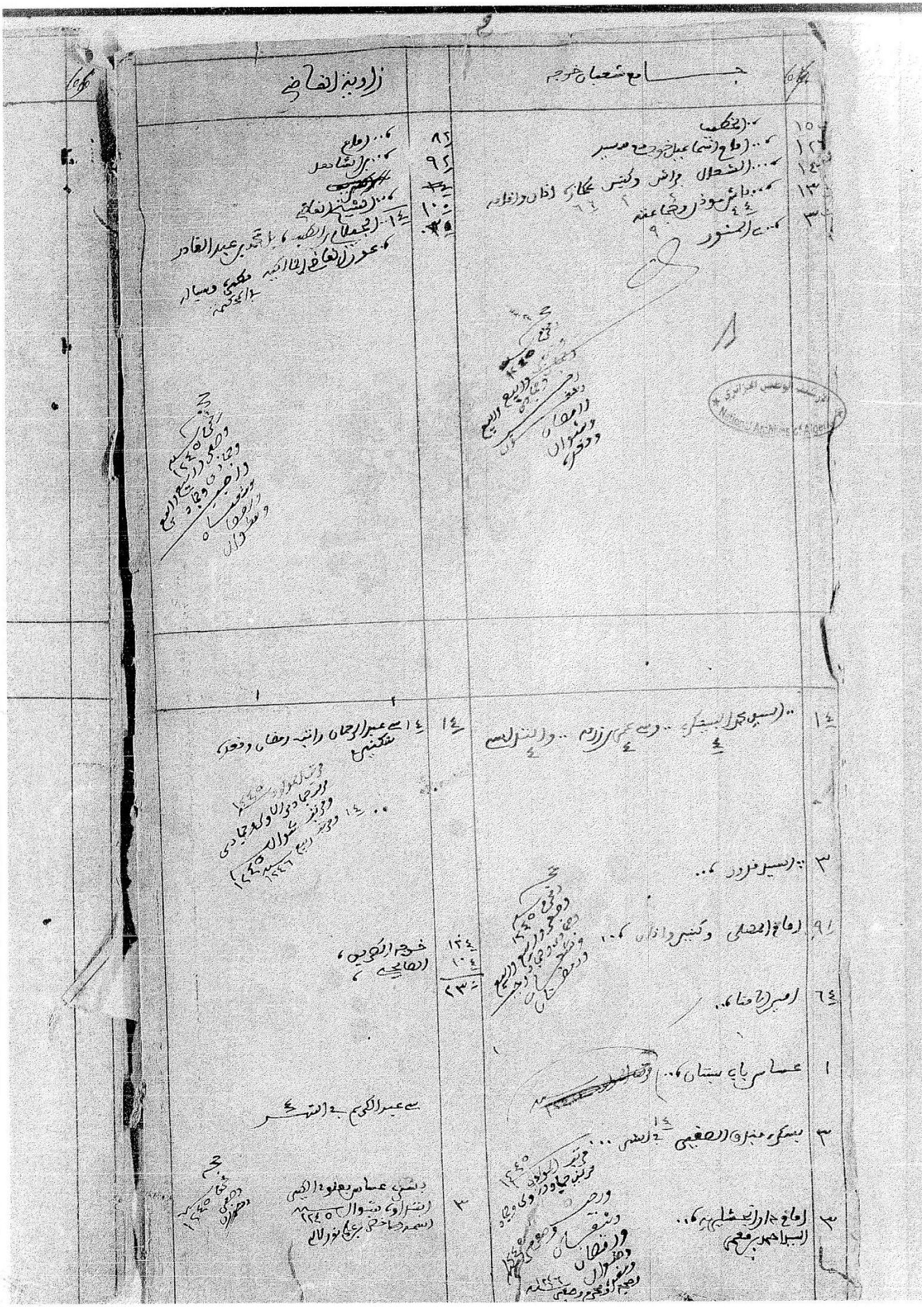

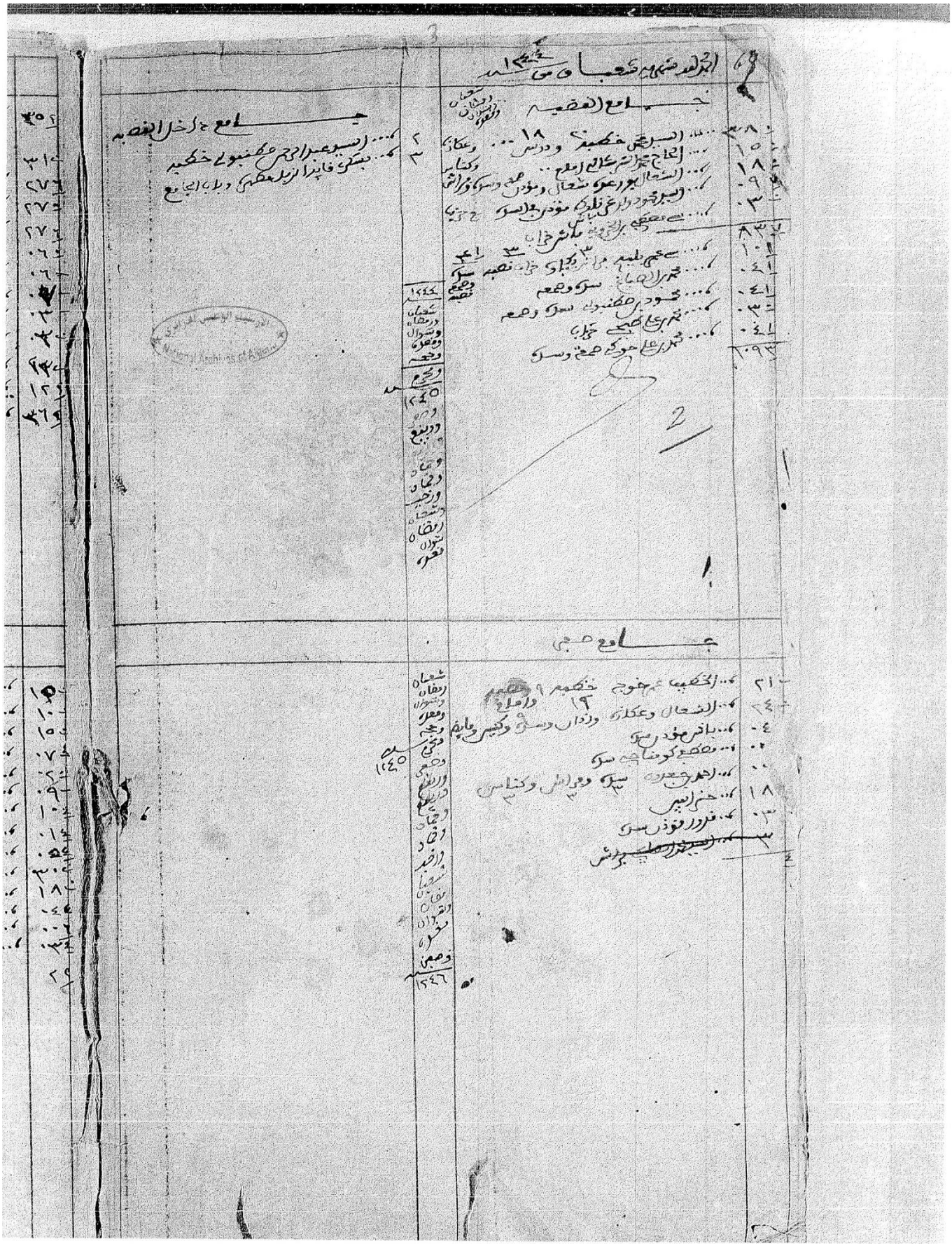

الملحق رقم 02:

عقد تحبيس بستان مصطفى خوجة بإشراف المحكمة الشرعية[1]

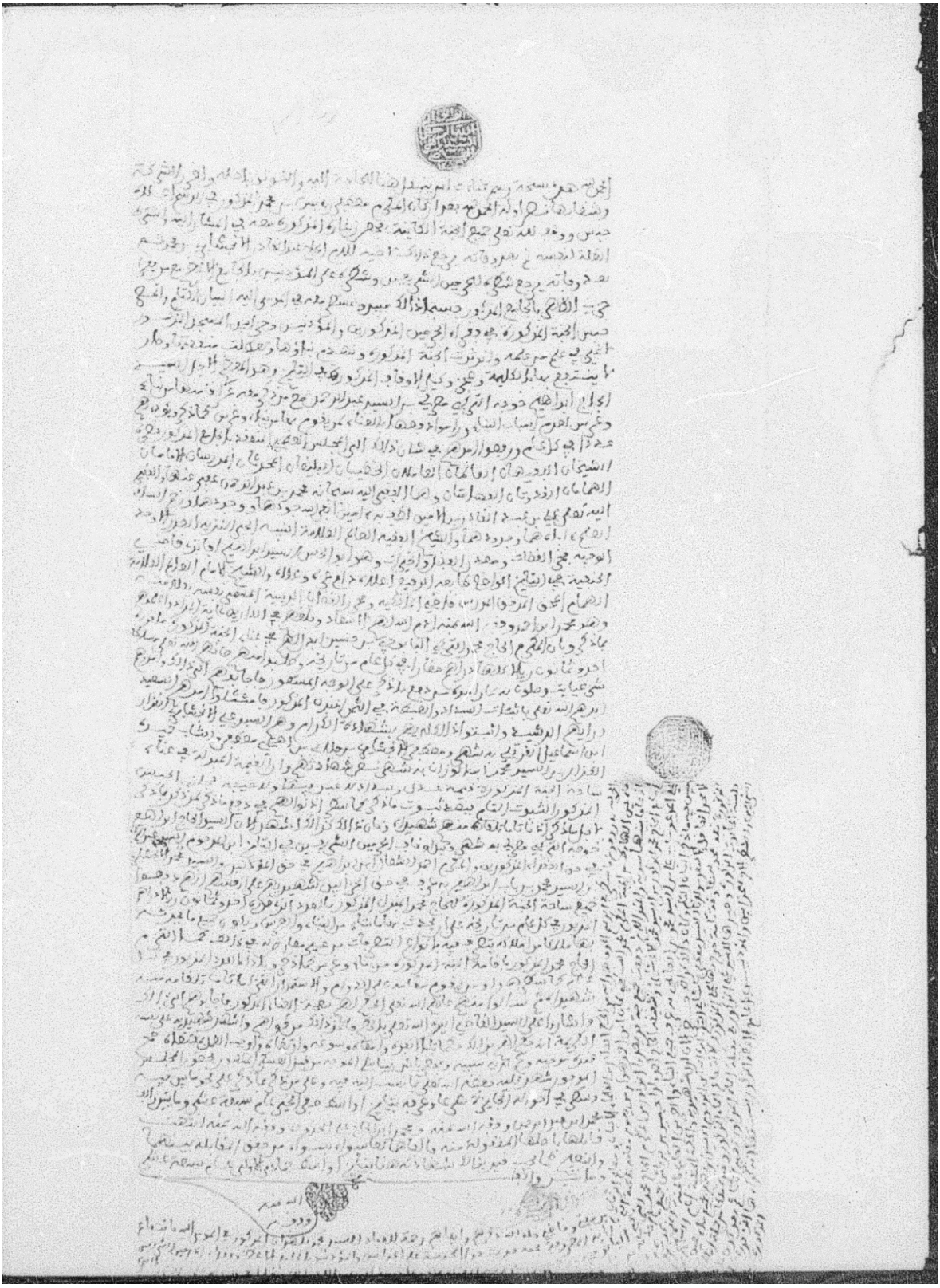

[1] أ. و. ج: **وثائق المحاكم الشرعية**، علبة 47/2، رقم 12- (110ف).

الملحق رقم 03:

رسم تحبيس حوش ابن عجول بالمدية لصالح الحرمين الشريفين سنة 1217هـ/1803م[1]

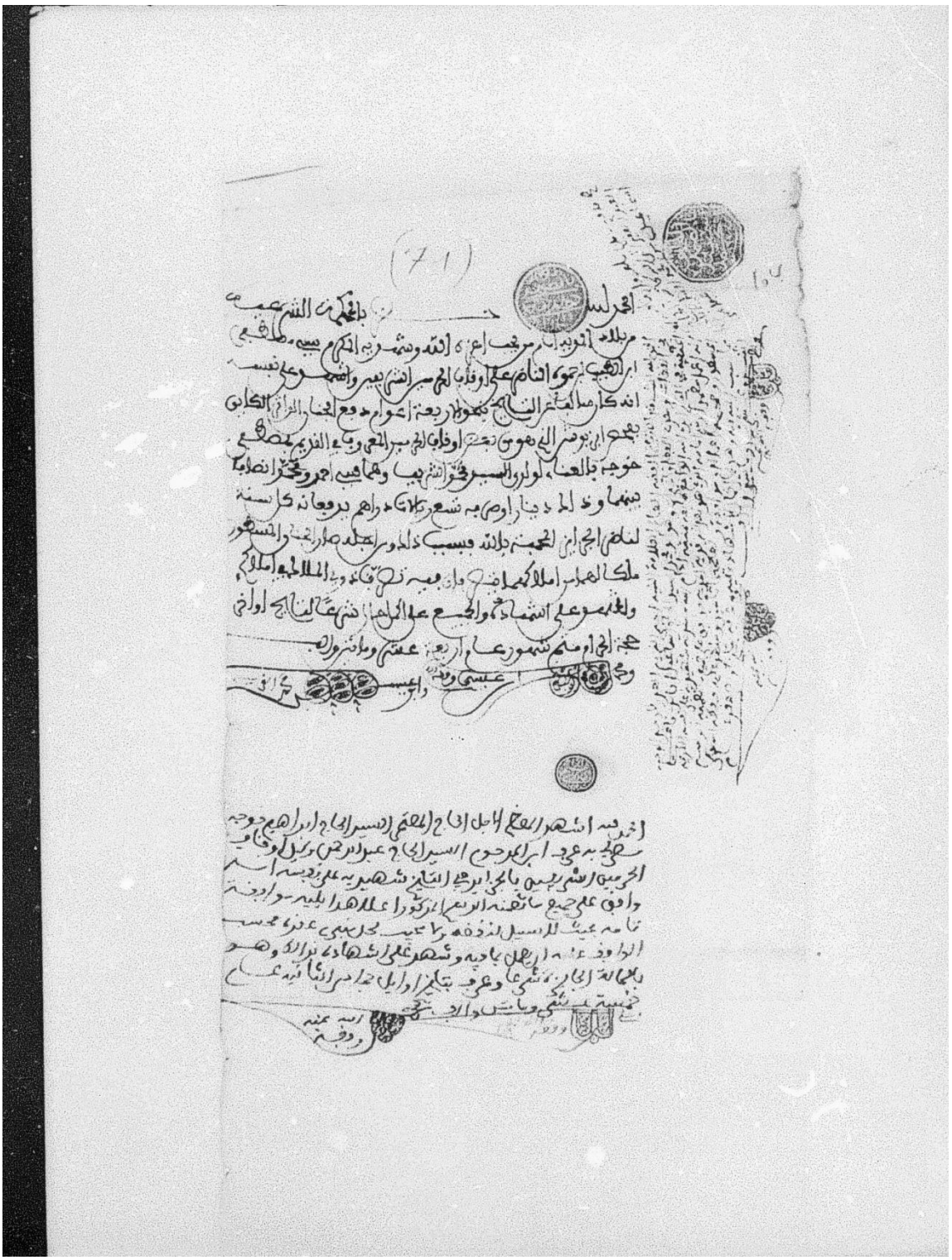

(1) أ. و .ج: **وثائق المحاكم الشرعية**، علبة 34، رقم 71- (104ف).

الملحق رقم 04:

رسم تحبيس أرض بالمدية لصالح فقراء الحرمين الشريفين بإشراف وكيل الحرمين الشريفين[1].

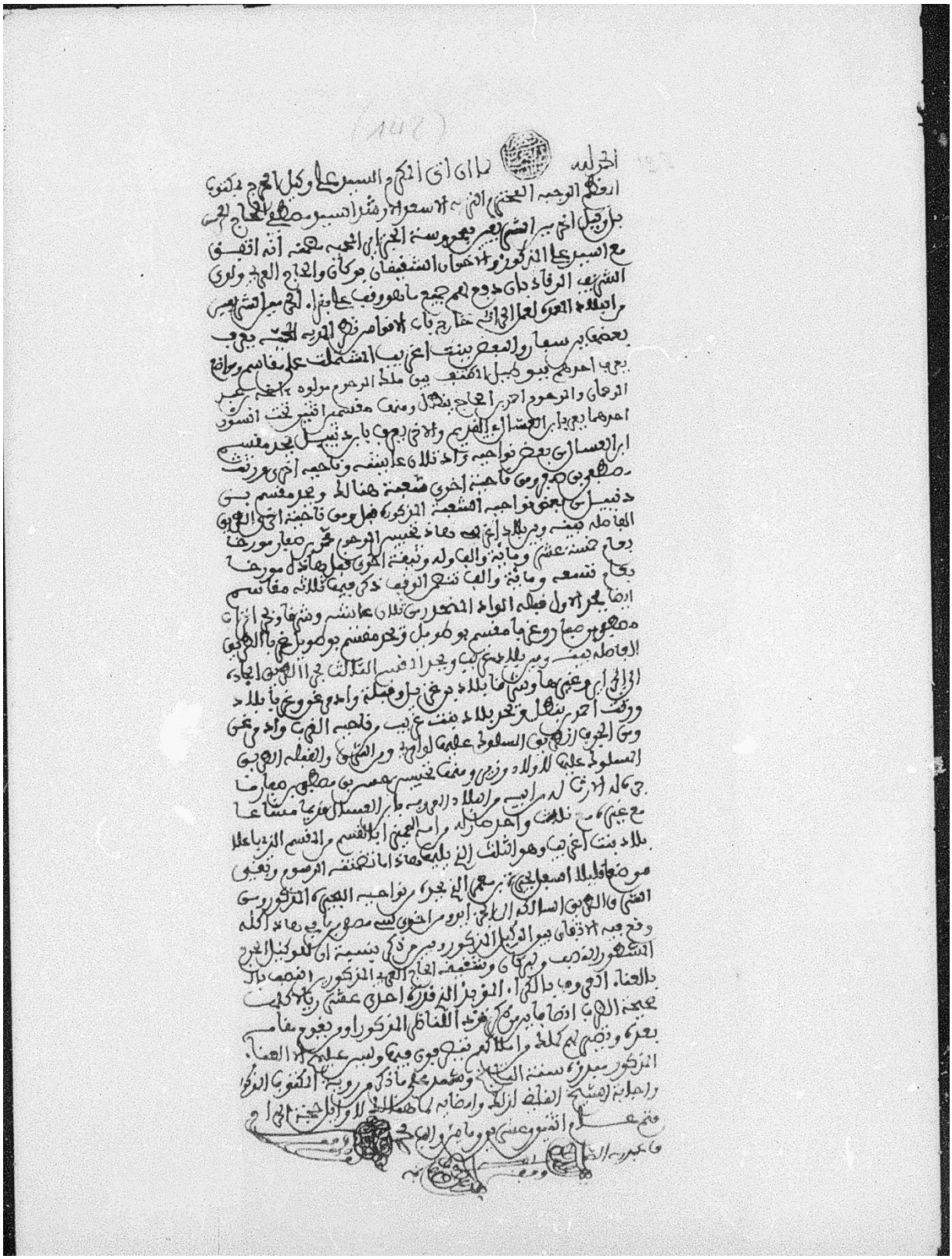

[1] أ. و. ج: **وثائق المحاكم الشرعية**، علبة 34، رقم 142- (33ف).

الملحق رقم 05:

خريطة لإيالتي الجزائر وتونس خلال العهد العثماني[1]

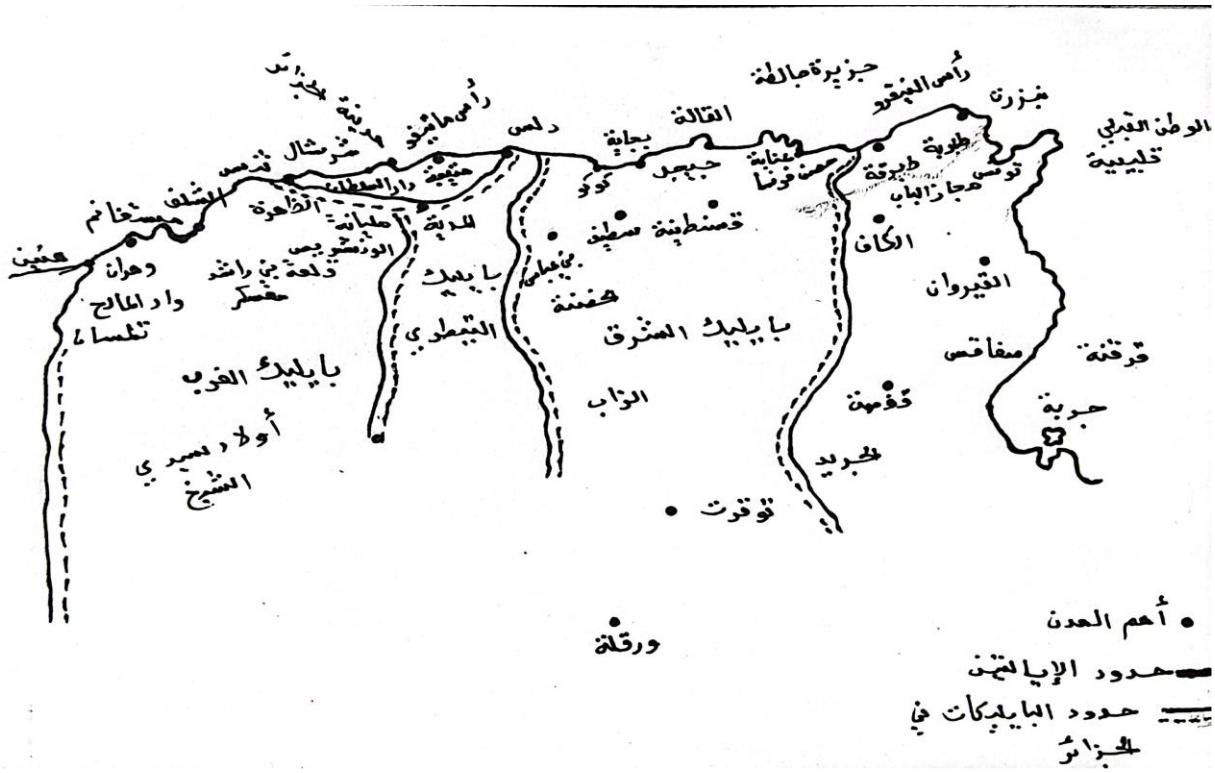

(1) من إنجاز الطالبة بالاعتماد على : شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تع محمد مزالي، والبشير بن سلامة،ط4، الدار التونسية للنشر،تونس 1983م، ص373.

الملحق رقم 06:

خريطة توضح مراكز التواصل الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني[1]

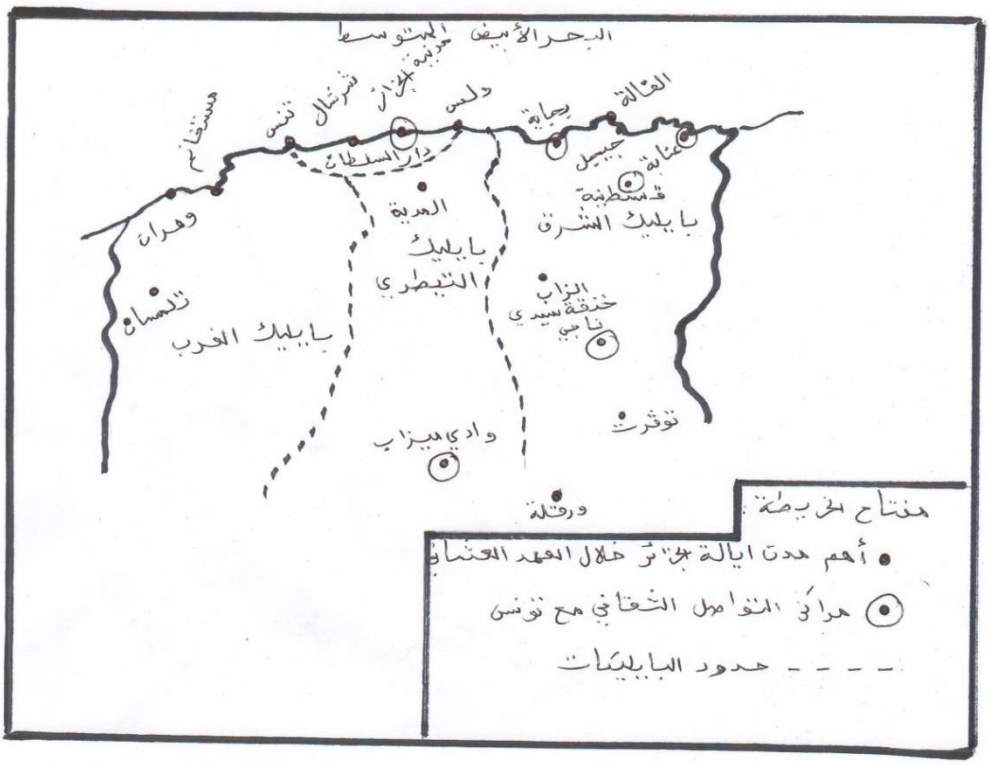

(1)

الملحق رقم 07:

خريطة توضح مراكز التواصل الثقافي في تونس خلال العهد العثماني[1]

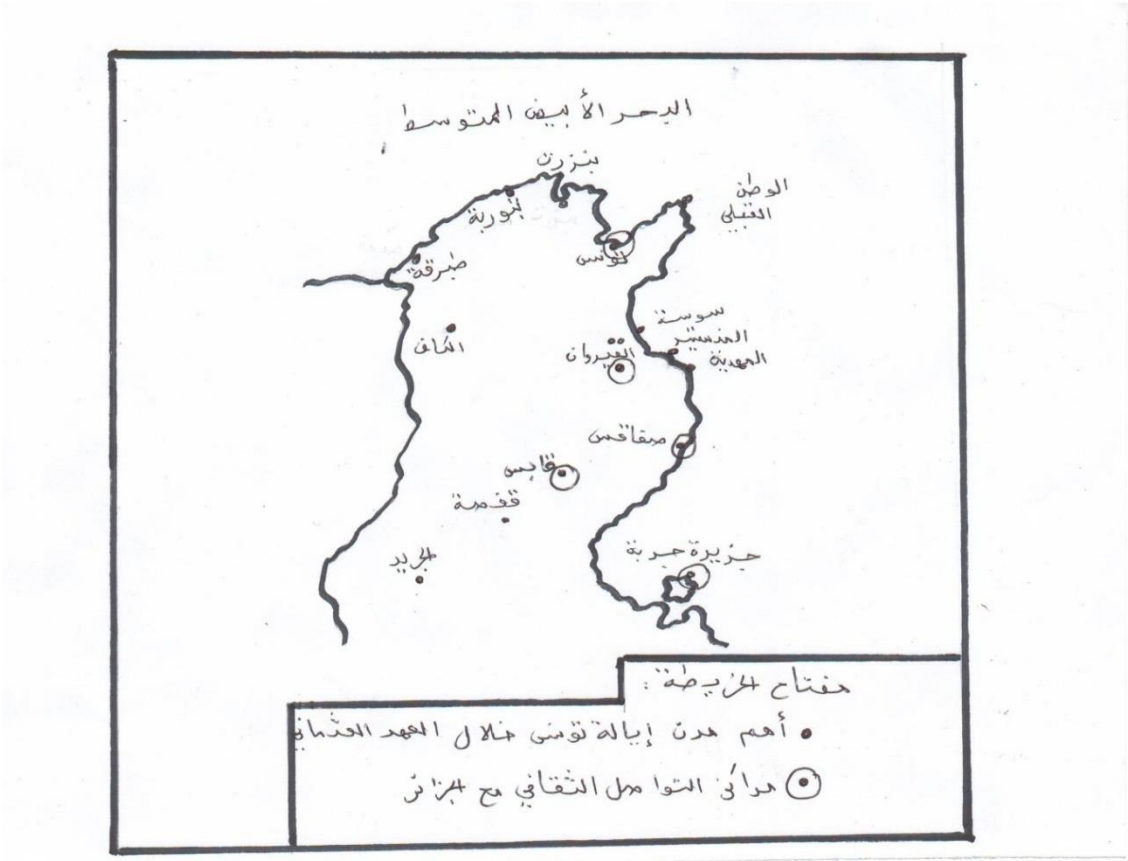

(1)

الملحق رقم 08:

جدول يوضح انتقال العلماء الجزائريين نحو تونس خلال العهد العثماني

الرقم	العالم	سنة السفر	النشاط في تونس
01	أبو زكريا يحي بن محمد الفكون(ت 941 هـ/1534م)	غير معروفة	إمامة جامع الزيتونة
02	قاسم بن يحي بن محمد الفكون(ت 965هـ/1558م)	//	إمامة جامع البلاط
03	أبو القاسم بن محمد البجائي(كان حيا سنة 1025هـ/ 1616 م)	//	الخطابة في أحد جوامع مدينة تونس
04	أحمد المقري التلمساني(ت .1041هـ/ 1631م)	1027هـ/1617م	-لقاء العلماء -إجازة الفقيه محمد تاج العارفين
05	عاشور بن عيسى القسنطيني(ت 1074هـ/ 1664م)	غير معروفة	التدريس في جامع الزيتونة
06	أبو مهدي عيسى الثعالبي(ت.1080هـ/1669م)	//	اللقاء بالشيوخ وأخذ العلم عنهم
07	أحمد بن قاسم البوني(ت.1139هـ/1726م)	//	-أخذ العلم عن الشيوخ -إجازة طلبة العلم
08	أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي المليكي (ت.1187هـ/1773م)	1103هـ/1692م	-أخذ العلم عن شيوخ جربة -تعيينه مفتي الجزيرة ورئيس مجلس الحكم فيها -التدريس بمساجدها
09	الكواش التونسي(ت.ق12هـ/18م)	غير معروفة	-بناء زاوية التف عليها التونسيون لأخذ العلم
10	الحسين الورثيلاني(ت.1193هـ/1779م)	//	-لقاء العلماء والأخذ عنهم -تدريس طلبة العلم -زيارة أضرحة الأولياء والتبرك بهم
11	عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش الجزائري(ت. 1195هـ/1780م)	//	ملازمة الشيوخ وأخذ العلم عنهم
12	أبو زكرياء يحي بن صالح (ت.1202هـ /1788م)	//	ملازمة الشيوخ وأخذ العلم عنهم
13	أبو العباس أحمد بن رمضان المليكي (ت.1234هـ/ 1818م)	//	-الدراسة في جزيرة جربة -التدريس بجامع قايد البلد في جربة

14	أحمد بن عمار(ت.1206هـ/1791م)	1195هـ/1780م	محاورة الباي علي باشا في قصره، ومناقشة العلماء الذين كان يستضيفهم الباي
15	خليفة بن حسن مبارك القماري (ت.1207هـ /1792م)	غير معروفة	الدراسة على يد الشيوخ
16	أحمد التيجاني(ت.1230هـ/1815م)	//	-أخذ الدروس في جوامع تونس
17	أبو راس الناصري المعسكري الجزائري (ت.1238هـ/ 1823م)	1205هـ/1790هـ	-لقاء العلماء والأخذ عنهم -المشاركة في مجالس العلم في المدينة -المناقشات الفقهية
18	محمد صالح الرحموني(ت.1242هـ/1826م)	غير معروفة	-الدراسة في جامع الزيتونة -إجازة العلماء له
19	مصطفى بن الشاوش القسنطيني(ت.1252هـ/ 1836م)	//	الدراسة على يد الشيوخ
20	أبو العباس أحمد العباسي(ت.1251هـ/ 1835م)	//	أخذ العلم على يد الشيوخ

الملحق رقم 09:

جدول يوضح انتقال العلماء التونسيين نحو الجزائر خلال العهد العثماني

الرقم	العالم	سنة السفر	النشاط في الجزائر
01	أبو سليمان داود بن إبراهيم التلاتي الجربي (ت.967هـ/1560م)	غير معروفة	أخذ العلم عن شيوخ وادي مزاب
02	محمد المسعود بن أحمد بن مخلوف الشابي (1028هـ/1620م)	//	-تلقين العلم -تأسيس زاوية في ششار
03	أبو عثمان سعيد بن ابراهيم بن عبد الرحمن (ت.1066هـ/1655م)	//	-الإمامة بمسجد البلاط -الخطابة في مسجد سيدي رمضان -الإمامة والتدريس بالجامع الأعظم والإشراف على أوقافه
04	أبو أسحاق إبراهيم الجمني (ت.1134هـ /1722م)	//	القراءة على يد الشيوخ في زواوة وخنقة سيدي ناجي
05	أحمد برناز(ت.1138هـ/1726م)	//	لقاء الشيوخ في عدد من المدن الجزائرية وأخذ العلم عنهم
06	أحمد الأصرم(ت.1172هـ/1756م)	//	
07	الشيخ سيدي علي نفطي (ت.1213هـ /1798م)	//	-المساهمة في الأنشطة الدينية بالأوراس
08	إبراهيم الرياحي(ت.1266هـ/1850م)	1241هـ/1826م	لقاء صاحب الطريقة التيجانية

ثبت المصادر والمراجع

تنبيه: تحذف ال ، أبو، ابن، من ترتيب الألقاب.

أولا– الوثائق الأرشيفية:

1–وثائق الأرشيف الوطني الجزائري:

1. المجموعة رقم 3205، ملف 2.
2. **وثائق المحاكم الشرعية**، علبة 34، رقم 142- (33ف).
3. **وثائق المحاكم الشرعية**، علبة 34، رقم 71- (104ف).
4. **وثائق المحاكم الشرعية**، علبة 54، رقم 100- (38ف).
5. **وثائق المحاكم الشرعية**، علبة 47/2، رقم 12- (110ف).

ثانيا– المصادر العربية والمعّربة:

أ– المصادر العربية والمعرّبة:

1. ابن أبي الضياف أحمد: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تح لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، و ش. و.ن.ت، الجزائر1376هـ/1976م.
2. ابن الخوجة محمد:**صفحات من تاريخ تونس**، تح ناجي الساحلي الجيلالي بن يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986م.
3. ابن الشماع أبو عبدالله محمد بن أحمد: **الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تق: وتح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس 1984م.
4. ابن العنتري محمد الصالح: **فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة و إستلائهم على أوطانها** ، تحقيق يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د ت.
5. ابن حمادوش عبد الرزاق: **لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**،تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، ش.و.ن.ت، الجزائر 1983م.
6. ابن خلدون عبد الرحمان: **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، 8 أجزاء، دار الفكر، بيروت 1431هـ/ 2000م.
7. ابن خلدون يحي: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**،جزآن، تق: وتح: عبد الحميد حاجيات، م.و.ك، الجزائر1980م.

8. ابن سحنون محمد: **كتاب آداب المعلمين**، تح: حسَن حُسني عبد الوهاب، مراجعة وتعليق: محمد العروسي المطوي، منشورات دار الكتب الشرقية، تونس 1392هـ /1972م.

9. ابن عبد العزيز حمودة: **الكتاب الباشي**، تحقيق: محمد ماضور، قسم السيرة، الدار التونسية للنشر، (ب. ط)، تونس 1970م.

10. البوني أحمد بن قاسم: **التعريف ببونة إفريقية بلد أبي مروان الشريف**، تق وتع: سعيد دحماني، دار الهدى، الجزائر 2001م.

11. بيرم الخامس محمد: **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**، تح: علي عبد القادر الشنوفي،ورياض المرزوقي،وعبد الحفيظ منصور،5 مجلدات،ط2،المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس 1999م.

12. التلمساني ابن مريم أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف المليتي المديوني: **البستان في ذكر العلماء بتلمسان**،د.م.ج،الجزائر 1986م.

13. التمجروتي علي بن محمد: **النفحة المسكية في السفارة التركية**،تق وتح: عبد اللطيف الشاذلي،المطبعة الملكية،الرباط 1423هـ / 2002م.

14.التنبكتي أحمد بابا :**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الإسلامية، ج زآن، منشو رات كلية الدعوة الاسلامية،طرابلس 2000 م.

15. خوجة حسين: **ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان**، تح: الطاهر المعموي، د.ط، الدار العربية للكتاب، د.ت.

16. خوجة حمدان بن عثمان: **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، م.و.ف.م، الجزائر 2006م.

17. الزهار الحاج أحمد الشريف:**مذكرات الحاج أحمد الزهار نقيب أشراف الجزائر 1168-1246هـ/1754-1830م**،تح أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر 1974م.

18. الزياني أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم: **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً**، تح : عبد الكريم الفيلالي، ط :2 ، دار نشر المعرفة – الرباط 1412 هـ / 1991م.

19. الزياني محمد بن يوسف: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تح وتق: المهدي البوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمن دويب،ط1،عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013م.

20. السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، 12 جزءا، دار الجيل، بيروت ،د.ت.

21. السنوسي محمد بن عثمان: **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، تح محمد الشاذلي النيفر، ج1، ب. ط، دار بوسلامة للطباعة والنشر تونس 1983م.

22. شالر وليام:**مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1830م)**،تعريب وتعليق وتقديم: اسماعيل العربي ،ش .و. ن.ت،الجزائر1982م

23. الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، حققه وعلق عليه عادل نويهض، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1979م.

24. الفاسي الحسن بن محمد الوزان: **وصف إفريقيا**، تع: محمد حجي، ومحمد الأخضر ، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983م.

25. فايست أوجين:**تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي1792-1873م**،تر: صالح نور، تق: الشيخ عبد الرحمن شيبان، ط1، منشورات قرطبة ، الجزائر 1432هـ /2010م.

26. الفكون عبد الكريم: **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تح: أبو القاسم سعد الله، ط1 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987م.

27. القيرواني ابن أبي دينار محمد بن محمد الرعيني: **كتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس**،ط1، مطبعة الدولة التونسية، 1286هـ.

28. المجهول: المجهول : **كتاب غزوات عروج وخير الدين**، اعتنى بتصحيحه وتعليق حواشيه نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1353 هـ/1934م.

29. كاثكارت جيمس لندر: **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، تر: اسماعيل العربي، د.م.ج، الجزائر 1982م.

30. كاربخال مارمول: **إفريقيا**، تر: محمد حجي، وآخرون، 3 أجزاء، دار نشر المعرفة، الرباط 1408-1409هـ/1988-1989م.

31. مخلوف محمد بن محمد: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتاب العربي، بيروت 1929م.

32. مقديش محمود: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**،تح: علي الزواري،ومحمد محفوظ، مجلدان،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988م.

33. المقَّري أبو العباس أحمد بن محمد: **رحلة المقري إلى المغرب والمشرق**، تح: محمد بن معمر،مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 1425هـ /2004م

34.هايدو دييغو دو : **بوغرافيا والتا ريخ العام للجزائر**، تر وتع لخضر بوطبة، ط 1 ، دار الباحث،الجزائر 2022م.

35. الناصري محمد أبو راس: مؤنس الأحبة في أخبار جربة، حقّقه و مهّد له و علق عليه محمد المرزوقي ،و قدّم له حسَن حُسني عبد الوهاب، منشورات المعهد القومي للآثار والفنون بتونس، المطبعة الرسمية تونس1960م.

36. الناصري محمد أبو راس: **فتح الإله ومنّته في التحدّث بفضل ربي ونعمته**، تح: محمد بن عبد الكريم، م. و. ك، الجزائر1990م.

37. النويري أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين: **تاريخ المغرب الإسلامي فى العصر الوسيط**: من كتاب **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح وتع: مصطفى أبو ضيف، دار النشر المغربية، الدار البيضاء1985م.

38.الورثيلاني الحسين بن محمد: **الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مجلدان، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة 1429هـ /2008م.

39. الونشريسي أحمد بن يحي: **المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت1981م.

ثالثا: المصادر الأجنبية.

1. Berbrugger Adrian: **le Pegnon d'Alger, ou les origines du gouvernement turc en Algérie**, Challamel, Libraire, Paris 1863.
2. Berteiul Arsène :L'Algérie française histoire- mœurs-coutumes-industrie-agriculture,Dentu libraire-éditeur, Paris 1856.
3. Devoulx Albert:**Les édifices religieux de l'ancien Alger**, Typographie Bastide, Alger 1870.
4. Diego de Haedo :**Histoire des Rois d'Alger** ,traduit de l'espagnol par Henri Delmas de Grammont, présentation de Abderrahmane Rebahi, Alger-Livres Édition, Alger 2004.
5. Diego de Haedo :**Topographie et Histoire Générale d'Alger, la vie à Alger au seizième siècle**, traduction de l'espagnole et notes de A. Berbrugger et Dr Monnereau, présentation d'Abderrahmane Rebahi, 3eme édition, Alger-Livres Editions, Alger 2004.

6. Dunant J.Henry: **notice sur la régence de Tunis**, imprimerie de jules-Gme fick, Genève1864.
7. Galibert Léon :**L'Algérie ancienne et moderne**, Furne et C^{ie} éditeurs, Paris 1844
8. *Garrot* Henri : *Histoire Générale* de l´*Algérie*, *Alger*, *1910.*
9. M.le Mareshal de Mac-Mahon : **" Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnols en Afrique (1506-1574)"**, Jourdan Libraire-éditeur, Alger 1875.
10. Mercier Ernest :**Histoire de l'Afrique septentrionale**,3T ,Ernest Le Roux, Paris 1888.
11. Rang Sander et Denis Ferdinand: **Fondation de La Régence D'Alger - Histoire Des Barberousse**, J. Angé, Paris1837.
12. Resbecq A. de Fontaine de**: Alger *et les côtes d'Afrique***, Gaume Frères, Libraires, Paris 1837.
13. Rinn Louis **: Marabouts et khouan : étude sur l'islam en Algérie : avec une carte indiquant la situation et l'importance des ordres religieux musulmans**, imprimerie Adolph Jourdan, Alger 1884.
14. Rotalier Ch. De : **Histoire d'Alger et de la piraterie des Turcs dans la méditerrané à daté du 16 siècle**, 2T, éd Paulin, Paris 1841.

رابعا: المراجع العربية والمعرّبة.

1. أبورية عطاء: **اليهود في ليبيا وتونس والجزائر**، تق:سنوسي يوسف إبراهيم،ط1، دار إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة 2005م.
2. الأرقش دلندة وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي، تونس2003م.
3. برنشفيك روبار: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، تع: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988م.
4. بك أصاف يوسف:**تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن**، تقديم: محمد زينهم عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة 1415هـ/1995م.
5. بلعربي خالد: **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن؛دراسة تاريخية وحضارية(633هـ–681 هـ/1233–1282م)**،ط1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر2011م.
6. بلغيث محمد الأمين: **فصول في التاريخ والعمران في الغرب الإسلامي**، منشورات انترسيني، الجزائر 1428هـ/2007م.

7. بن خروف عمار: **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي**،دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،تيزي وزو، الجزائر2006م.
8. بن خروف عمار:**العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2008م.
9. بن عميرة محمد ولطيفة بشاري بن عميرة:**تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين**، ط1،دار الفاروق للنشر والتوزيع،1436هـ/2015م.
10. بن مامي محمد الباجي: **مدارس مدينة تونس من العهد الحفصي إلى العهد الحسيني**، ط1، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، تونس ، 2006م.
11. بنبلغيث: **فصول في تاريخ الأوقاف في تونس منذ منتصف القرن التاسع عشر إلى 1914**، صفاقس، مكتبة علاء الدين، 2003م.
12. بورويبة رشيد: **قسنطينة**،ط2،دار بن مرابط للنشر،الجزائر 2013م.
13. بوعزيز يحي: **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، جزآن، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 995[1]م.
14. بوعزيز يحي: **علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا(1500–1830)**، **ويليه المراسلات الجزائرية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد(1718–1780)** ، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر2009م.
15. بونابي الطاهر:**التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين/12 و13 الميلاديين (نشأته–تياراته–دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)**،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر 2004م.
16. بونار رابح: **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، ط3، دار الهدى عين مليلة، الجزائر2000م.
17. ترمنجهام سبنسر: **الفرق الصوفية في الإسلام**، ترجمة عبد القادر البحراوي، دار النهضة العربية، بيروت،ط1، 1997م.
18. التليلي العجيلي: **الطرق الصّوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881–1939)**، منشورات كلية الآداب بمنوبة،جامعة تونس1992م.

19. التليلي العجيلي: **أوقاف الحرمين الشريفين بالبلاد التونسية زمن الاستعمار الفرنسي 1881–1956**، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة ومخبر الجهات والموارد التراثية بالبلاد التونسية، ط1، منشورات مجمع الأطرش للكتاب المختص، تونس،2015م.

20. التليلي محمد الطاهر: **كراسات المجلس؛ إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن الأقماري**، العدد 4 ربيع الأول 1248هـ.

21. الجيلالي عبد الرحمن:**تاريخ الجزائر العام**، 3أجزاء، الجزائر 1955م.

22. الجيلالي عبد الرحمن:**تاريخ المدن الثلاث الجزائر–المدية–مليانة في موسمها الألفي 330–1370هـ/370–1971م**، ط1، دار الأمة،الجزائر 2007م.

23. حساني مختار: **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية مدن الشرق**،3 أجزاء، دار الحكمة ،الجزائر 2007م

24. حسن حُسني عبد الوهاب: **كتاب العمر في المصنّفات والمؤلفين التونسيين**، مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي، وبشير البكوش، مجلدان، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990م.

25. حليمي عبد القادر علي: **جغرافية الجزائر–طبيعيّة– بشريّة– إقتصادية**،ط2، مطبعة الإنشاء، دمشق، 1968م.

26. الحمروني أحمد:**خمسون مدينة تونسية**،دار سحر للنشر، تونس 2012م.

27. حمودة الغزي الهادي: **الأدب التونسي في العهد الحسيني(1705– 1881م)**، الدار التونسية للنشر، تونس 1973م.

28. خضيري أحمد حسن: **صفحات من تاريخ المغرب الإسلامي**، ط1، مكتبة المتنبي، الدمام، المملكة العربية السعودية 1426هـ/2005م.

29. دبوز محمد علي: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ط1،المطبعة التعاونية،1385هـ/1965م

30. دغفوس الراضي: **مراحل تاريخ الهلالية في المشرق: مسار قبائل بني هلال وبني سليم من الحجاز ونجد إلى إفريقية والمغرب**، في مجلة المؤرخ العربي،عدد 11، الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب العراق، بغداد (د.ت).

31. رشاد الإمام:**الفكر الإصلاحي في تونس في القرن التاسع عشر إلى صدور قانون عهد الأمان**،ط1،دار سحنون للطباعة والنشر والتوزيع،تونس 2010م،ص183.

32. زبيس سليمان مصطفى: **آثار الدولة الحسينية بالقطر التونسي**، مطبعة سابي، تونس 1955م

33. زبيس سليمان مصطفى:**بين الآثار الإسلامية في تونس**،منشورات دار الثقافة،تونس 1963م

34. سالم السيد عبد العزيز: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.

35. ستيفان غزال:**تاريخ شمال إفريقيا القديم**،تع: محمد التازي سعود،8 أجزاء،مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية،الرباط 2007م.

36. سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري**، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2015م.

37. سعد الله أبو القاسم:**رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، ط2، دار الغرب الإسلامي.

38. السعداوي أحمد: **تونس زمن حسين بن علي وعلي باشا (1705–1756): وثائق أوقاف من العهد الحسيني؛ دراسة وتحقيق**، كلّية الآداب والفنون والإنسانيّات بمنوبة، مخبر الآثار والعمارة المغاربية،جامعة منوبة، تونس، 2015م.

39. السعداوي أحمد: **تونس في القرن السابع عشر وثائق في الأوقاف في عهد الدايات والبايات المراديين**، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، وحدة البحث المدن التاريخية التونسية والمتوسطية ،تونس 2011م .

40. سعيدوني ناصر الدين: **عصر الأمير عبد القادر**،ط1، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت،2000،

41. سعيدوني ناصر الدين: **من التراث التاريخ والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم رحالة وجغرافيين**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999م.

42. سعيدوني ناصر الدين:**دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني**،م.و.ك، الجزائر 1985م

43. السيد أبو مصطفى كمال: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 1996م.

44. السيد أبو مصطفى كمال: **دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 1997م.

45. السيد سالم عبد العزيز: المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.

46. شارل أندري جوليان:**تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م**،تع: محمد مزالي، والبشير بن سلامة،جزآن،الدار التونسية للنشر،تونس 1985م.

47. الشيباني بنبلغيث: **جمعية الأوقاف والاستعمار الفرنسي في تونس،1914 – 1943** ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، تونس.

48.الشيباني بنبلغيث:**فصول في تاريخ الأوقاف في تونس من منتصف القرن التاسع عشر إلى 1914م**، مكتبة علاء الدين،صفاقس،تونس 2004م.

49. صحراوي عبد القادر:**الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520–1830م**، دار هومة، الجزائر 2016م.

50. الطويلي أحمد: **الحياة الأدبية بتونس في العهد الحفصي(600–950هـ/1204–1543م)**، تصدير: الشاذلي بويحي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القيروان 1996م.

51. الطويلي أحمد:**تاريخ مدينة تونس الثقافي والحضاري من الفتح إلى أواخر القرن التاسع عشر**، ط1، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس 2002م.

52. عبد السلام أحمد: **المؤرخون التونسيون في القرون 17و18 و19**، رسالة في الثقافة، نقلها عن الفرنسية إلى العربية: أحمد عبد السلام وعبد الرزاق الحليوي،ط1، بيت الحكمة ، قرطاج ،تونس1993م.

53.العزاوي عبد الرحمن حسين: **تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي**، ط1، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن 1432هـ /2011م.

54. العقاد صلاح: المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر تونس المغرب الأقصى، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر1993م.

55. العقبي مؤيد:**الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**،دار البراق،بيروت 2002م.

56.الغريري عبد العباس فصيح، وآخرون:**جغرافية الوطن العربي دراسة لمعوقات تكامله الإقليمي**،ط1،دار صفاء للنشر والتوزيع،سلطنة عمان، 1420هـ/1999م.

57.فرج محمود فرج: **إقليم توات خلال القرنين18-19م**، م.و.ك، ود.م.ك ، الجزائر 1977م.

58.الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة 1990م.

59. فكاير عبد القادر: **الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وآثاره(910-1206هـ/1505-1792م)؛ دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر**، دار هومة،الجزائر 2012م.

60.الماجري حياة: **من تعليم الصبيان إلى التعليم الإبتدائي في مدينة تونس في العهد العثماني**، دار المناهل،تونس 2013.

61.مارسيه جورج: **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، تر: محمود عبد الصمد هيكل، مر: مصطفى أبو ضيف أحمد، دار منشأة المعارف، الإسكندرية 1991م.

62.محفوظ محمد: **تراجم المؤلفين التونسيين**، 8أجزاء،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982م.

63. المدني أحمد توفيق: **جغرافية القطر الجزائري للنّاشئة الإسلامية**، المطبعة العربية، الجزائر 1948م.

64. المدني أحمد توفيق: **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 – 1791 سيرته ، حروبه، أعماله ، نظام الدولة و الحياة العامة في عهده**، م.و.ك، الجزائر،1986م.

65. المطوي محمد العروسي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982م.

66. المطوي محمد العروسي: السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1406هـ / 1986م.

67. النوري حمو محمد عيسى: **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**،5أجزاء،دار مساحات المعرفة، الجزائر2015م.

68. النّيفر محمد: **عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب**، تذييل واستدراك علي النّيفر،ط1، دار الغرب الإسلامي،1996م.

69.وليم سبنسر: **الجزائر في عهد "رياس" البحر**، تعريب وتقديم: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر،2006م.

خامسا- المراجع الأجنبية:

1. Jean Monlau: **Les États barbaresques,** P. U. F, Paris 1963
2. Marthe et Edmond Gouvion, **Monographie du M'zab,** Imprimerie Réunis de La Vigie Marocaine & du Petit Marocain Casablanca, 1926

سادسا – المقالات والدوريات العربية :

1. بكاري عبد القادر: **الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية أبو راس الناصري أنموذجا**،في مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية،ع6،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون ،تيارت،2013م.
2. بلعربي خالد: "**الحياة الثقافية بتلمسان في عصر الشيخ محمد بن يوسف السنوسي**"، مجلة عصور، ع17.
3. بن خروف عمار: **نظرة عن العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**، في دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية،مج01، العدد02، جامعة الجزائر، جوان 2002م.
4. بن داهة عدّة: **ملاحظات نقدية حول مخطوط زهر الشماريخ في علم التاريخ لأبي راس الناصري**،في المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع10،جامعة وهران 2013م.
5. بن زروال جمعة:"**هجرة زعماء الطرق الصوفية التونسية نحو الجزائر ونشاطهم السياسي والديني الشيخ سيدي علي نفطي والحاج محمد لخضر السهيلي–أنموذجا–**"، في مجلة علوم الإنسان والمجتمع، مج6، العدد23، جامعة بسكرة ، جوان 2017م.
6. بناهض عبد الكريم: **التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربي من خلال الرحلة العياشية (ماء الموائد)**، في مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد 10، جامعة ورقلة يناير 2018م.
7. بوتشيشة علي: **جامع الباشا بوهران**،في مجلة عصور الجديدة، يصدرها مخبر البحث التاريخي-تاريخ الجزائر-،،مج7،ع،27جامعة وهران1 أحمد بن بلة،1439هـ/2017-2018م.
8. بوسليم صالح، و الزين محمد: **ملامح من الحياة العامة بالجزائر في بعض كتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني**، في مجلة الحوار المتوسطي، تصدر عن مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، العدد الخاص المزدوج: 10/9، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، سيدي بلعباس، سبتمبر: 2015م.

9. بوسَليم صالح:**مؤسسة الزوايا بإقليم توات خلال القرنين 12-13هـ/18-19م**؛ بين الإشعاع العلمي والانتشار الصوفي،في مجلة الواحات للبحوث والدراسات،المركز الجامعي، غرداية، ع9،جوان 2010م.

10. البوعبدلي المهدي: **"تراجم بعض مشاهير علماء زواوة"**، في الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ع14-15.، الجزائر.

11. التميمي عبد الجليل:**تأثيرات الأندلسيين– الموريسكيين في المجتمع المغاربي؛ إيالة تونس نموذجا**، في م.ت.م ، تونس، 2005م.

12. التميمي عبد الجليل:**وثيقة عن الأملاك المحبَّسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر**،ط1،م.ت.م، ،ع5،نوفمبر 1980م.

13. الجيلالي عبد الرحمن: **الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا**، في مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر،ع8،جمادى الأولى 1392هـ/ماي-جوان 1972م.

14. دحدوح عبد القادر: **المعالم الأثرية الإسلامية بمدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية**،في مجلة الثقافة الإسلامية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر 1437هـ/2015م.

15. دلندة الأرقش: **جدلية التجديد والتواصل في الحياة الفكرية بأيالة تونس**،في م.ت.م، ع 56-57،تونس،جويلية 1990م.

16. زدك إبراهيم ومعروف بلحاج: **أعلام القرن 10هـ/16م في منطقة وادي ميزاب**، في مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج9،عدد1، جامعة معسكر ، 2018م.

17. سعد الله أبو القاسم: **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون ؛داعية السلفية**، ط1، دار الغرب الإسلامي،1406هـ/1986م.

18. سعد الله أبو القاسم: **عبد الرزاق بن حمادوش ورحلته لسان المقال"**،في **مجلة الأصالة**،، ع38 ،شوال 1396هـ/أكتوبر **1976**م.

19. سعيدوني ناصر الدين: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية(الجزائر– تونس– طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري(من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ميلادي**، في ح.أ. ع. إ، ع318 ،قسم التاريخ، كلية الآدب، جامعة الكويت 2010م.

20. هادي جلول: "**الحركة العلمية في حاضرة تلمسان وعناية السلطة الزيانية بها(ق8-9هـ/14-15م)**"،في مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية،مج10، ع01، جامعة الشلف، 2018م.

سابعا :المقالات والدوريات الأجنبية .

1. Al Awad(m.). **Un Fondateur de Confrériee Religieuse Maghrebine- Sidi Ahmed tagani(1737-1815)**, R.M .E, n 2, 1992.
2. Alexandre Pestemaldjoglou :**Mers-el Kebir histoire et description de la forteresse**, in R.A, 1940, V 84
3. **Alexandre, Joly** : Étude sur les Chadouliyas **,in R.A, Rubrique : Articles N° 263, 1906, pp 338-347.**
4. *Berbrugger* Adrian :**"Oran, *Traduction* de *rapports officiels espagnols* sur la *prise* de *Mers-el-Kébir* en *1505*"**,in R.A, 1869, V13
5. C.H.Leclerc : **Inscription arabe de Mascara, Mosquée d'Ain Beida**, in R.A, 1860
6. Charles Feraud :**"Conquête de Bougie par les espagnols"** ,in R.A, 1868,V12
7. ***DEVOULX .Albert***: **Notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieusc d'Alger**, in, R.A, Vo, T 04,1859-1860
8. Elie de la Primaudaie :**Documents inédites sur l'histoire de l'occupation espagnol en Afrique(1506-1574)**,in R.A, 1875, V19, pp73-75.
9. Nizar Sayari, et Hichem Rejeb :**Origine du paysage andalou dans le nord-ouest tunisien Testour et son héritage morisque**, in cahier de la méditerranée,2009,V79
10. Robert Montran : **La description des cotes de l'Algérie dans le Kitab-i Bahriye de Piri Reis**, in R.O.M.M, 1973, n15-16.

ثامنا – الرسائل والأطروحات الجامعية باللغة العربية :

1. أسماوي صالح بن عمر: **نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية بوادي ميزاب**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمّقة في التاريخ الإسلامي، إشراف د/ موسى لقبال، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1986-1987.
2. بكوش فافة: **أبو عبد الله المقري(ت759هـ)ورحلته العلمية بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامي**، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ السياسي والثقافي لدول المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 2011م-2012م.

3. بلحسن إبراهيم: العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 7 إلى القرن 9هـ/13 إلى 15م،مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الشعبية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 2004-2005م.

4. بلعربي خالد: **الدولة الزيانية في عهد السلطان يغمراسن؛ دراسة تاريخية حضارية 633-681هـ/1235-1287م**، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، السنة الجامعية 2003-2004م.

5. بن أعراب كلثوم: **خطاب الإصلاح والنهضة في القرن التاسع عشر؛ حمدان بن عثمان خوجة ورفاعة الطهطاوي نموذجا**، مذكرة ماجستير في التاريخ،قسم التاريخ ، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2002-2003.

6. بن حيدة يوسف: **التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية؛ الطريقة الشابية نموذجا**، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس ، السنة الجامعية 2016-2017.

7. بن خروف عمار: **العلاقات بين الجزائر والمغرب (923-1069هـ/1517-1659م)**، رسالة ماجستير في التاريخ ، قسم التاريخ ، جامعة دمشق، 1403هـ/1983م .

8. بن خروف عمار: **علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات 1082 – 1246هـ/ 1671-1830**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة دمشق، 1995-1996.

9. بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة تلمسان ،السنة الجامعية 2005-2006م.

10. رزيوي زينب: **العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ و9هـ/13و15م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، بإشراف أ.د/خالد بلعربي،كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، السنة الجامعية 1436-1437هـ/2015-2016م.

11. سعودي يمينة: **الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية**، بحث مقدّم لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري القديم، قسم اللغة العربية وآدابها،كلية الآداب واللغات، جامعة

منتوري بقسنطينة، السنة الجامعية 2005-2006م.

12. سكاكو مريم: المجالس العلمية السلطانية لبلاد المغرب الإسلامي ودورها في التواصل الفكري من القرن(7-9هـ/13-15م)،أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في تخصص: تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 2017-2018م.

13. شقدان بسام كامل عبد الرزاق: **تلمسان في العهد الزياني 633-962هـ/1235-1555م**، رسالة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس 1422هـ/2002م.

14. شقرون عبد الجليل: **نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب لابن عمار أبي العباس سيدي أحمد دراسة وتحقيق**،رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في تحقيق المخطوطات، إشراف أ.د/شعيب مقنونيف،قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 1437- 1438هـ/2016-2017م.

15. شويتام أرزقي: **المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني 1519-1830**،رسالة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية2005-2006م.

16.عطية أمال سالم: **السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابق والثامن الهجريين(ق13-14م)**،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط في تخصص: تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي، قسم العلوم الإنسانية،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة معسكر، السنة الجامعية 2015-2016م.

17.مايدي كمال: **السلطة والمجتمع بأيالة تونس خلال العهد الحسيني 1705-1814م، مقاربة سياسية اجتماعية**، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، السنة الجامعية 2017-2018م.

18. المرزوقي فتحي:**بعض المؤسسات الدينية ومكانتها الاقتصادية بتونس في القرن التاسع عشر**،شهادة الكفاءة في البحث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة التونسية، تونس،سبتمبر 1984م.

19.نواصر عبد الرحمان : **تأثيرات الوجود العثماني في مدينة الجزائر خلال عهد الدايات(1082-1246هـ/1671-1830م)؛ مقاربة من خلال الوثائق الأرشيفية**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ ، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، جامعة غرداية 2018-2019م.

- **تاسعا: المعاجم و دوائر المعارف والموسوعات.**

1. بحاز إبراهيم بن بكير وآخرون:**معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر قسم المغرب الإسلامي**، جزآن، ط2،،ج1،دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000م.
2. نويهض عادل: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**،ط2،مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر،بيروت-لبنان،1980م.
3. مجمع اللغة العربية:**المعجم الوجيز**، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، جمهورية مصر العربية 1415هـ/1994م.
4. ابن منظور: **لسان العرب**،مادة كتب،،ج1، دار صادر بيروت(د.ت) .
5. الزركلي خير الدين:**الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**،8 مجلدات،ط15،دار العلم للملايين ،بيروت 2002م.

الفهـــــــــارس

﴿ أ ﴾

أبو حفص عمر بن يحي بن محمد:19-
أبو تاشفين عبد الرحمن الأول:23-
أبو حمو موسى الثاني:24-
أبو فارس عبد العزيز:24-126-
أبو عمرو عثمان الحفصي:24-105-
أبو عبد الله محمد:24-
ابن مرزوق الحفيد:24-
إبراهيم بن عبد الرفيع:25-
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن راشد البكري القفصي:25-
أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي:25-
ابن مرزوق الحفيد:25-
أبو محمد بن خلفة بن عمر الوشتاني:26-
ابن الدباغ عبد الرحمن بن محمد بن علي الأنصاري الأوسي:26-
ابن مرزوق الخطيب:26-
الآبلي:26-
أبو محمد عبد الواحد بن التين الصفاقسي:26-
ابن قنفذ القسنطيني:27-
أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي الزركشي:28-
ابن الأبّار القضاعي:28-
ابن الطَّواح التونسي:28-
ابن ناجي:28-
أبو زكريا يحي بن خلدون:28-36-
أبو محمد عبد الله بن محمد التيجاني:28-
أبو يحي زكريا:28-
أبو زيد عبد الرحمن:29-
أبو موسى عيسى:29-
ابن العطار:29-
ابن جماعة المرجاني:29-
إبراهيم بن فائد الزواوي القسنطيني:29-
أبو الحسن علي بن عثمان المانجلاتي:29-
أبو عبد الله القلشاني:29-
أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري التلمساني(الرصاع):29-
ابن عقاب:29-31-
أحمد بن عثمان بن عبد الجبار التونسي الملتاني:30-
أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد القلشاني التونسي:30-
أبو مهدي عيسى الغبريني:30-
أبو عبد الله:30-
ابن عرفة:30-
ابن مرزوق الحفيد:30-
أبو القاسم بن أحمد بن محمد البرزلي:29-30-
ابن عبد السلام:31-
أنطونيو بارثيلو:46-
أحمد بن جيدة المديوني الوهراني:47-
اسحاق بن ابراهيم التازي:47-
ابن مرزوق الكفيف:47-
أبو فارس عبد العزيز الحفصي:48-
أبو عمرو عثمان:48-
أحمد بن خلف:49-
أبو عبد الله محمد الحفصي:49-
ابن أبي الضياف:49-53-54-
ابن أبي دينار:49-52-53-102-107-108-135-141-
إسحاق(بربروس):56-
أبو عبد الله محمد المتوكل:57-

أبو العباس أحمد:60-
الإمام أبو حنيفة النعمان:63-126-
أبو الغيث القشاش:67-
أبو علي بن محمد التمجروتي:72-73-76-
أبو الطيب البسكري:73-
أبو البركات سيدي مبارك:74-
أبو الحسن علي بن مسعود الونيسي:74-
أبو عبد الله سيدي الحفصي العلمي:74-
أبو القاسم المحتالي:75-
أحمد بن المبارك العلمي:75-
أحمد بن قاسم البوني:75-
أحمد برناز:77-182-
أبو اليقضان:79-
أبو مهدي عيسى بن
إسماعيل المليكي:79-
أبو عبد الله محمد باي بن حسين بن علي
تركي:82-105-
أبو زيد عبد الرّحمان بن أحمد الحيلاتي:83-
أبوسليمان التّلاتي:83-
ابن ميمون:85-
أبي راس الناصري:87-104-155-167-
168 - 169
ابن سحنون الراشدي:88-
ابن مريم:89-
ابن أبي زرع:90-
أبو يوسف يعقوب:90-
ابراهيم خوجة مصرالي:95-
أم هاني وآمنة(شقيقتا صالح باي):96-
أحمد بن عروس:100-
أحمد أفندي:101-
أبو زكرياء يحي الأول:107-
إبراهيم الرّياحيّ:109-124-184-
أحمد كريم:109-
إيفون توران:116-
أبو حفص عمر بن جميع:127-
ابن عبد الله محمد بن عبد الله بن داود
الصنهاجي:132-
أبو هريرة:133-
أحمد المقري:135-137-138-161-162-
أحمد بن عمار:137-146-147-148-
166-167-168-
ابراهيم السيّالة التونسي:137-
أبو القاسم بن جمال الدين المسراتي القيرواني:137-
138-
أبو القاسم أحمد بن علي:137-
أبو يحي بن القاسم الرصاع:140-
أحمد بن الحاجة:141-143-
ابراهيم الغرياني:142-144-145-
أبو عبد الله محمد المكودي:146-
أبو الفضل قاسم المحجوب:146-
أبو عبد الله محمد بن حسين بيرم:146-148-
أبو عبد الله محمد المحجوب:146-
أبو حفص عمر:146-
أبو عبد الله محمد بن حسين البارودي:146-
ابن العنابي:148-
إبراهيم الفلاري التونسي:149-150-
أبو زكرياء المحجوب:150-
ابن سحنون:159-
أبو القاسم بن محمد البجائي:160-
أبو مهدي عيسى الثعالبي:162-

أبو الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري:162-
أحمد بن قاسم البوني:163-
إبراهيم بن التومي:163-
أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي المليكي
المزابي:164-165-
أبو عبد الله محمد بن يوسف المصعبي
المليكي:164-
أبو زكرياء يحي بن صالح :165-
أبو حفص عمرو بن رمضان التلاتي الجربي:165-
إبراهيم بن بيحمان:166-
أبو يعقوب يوسف بن عدون:166-
أبو عبد الله محمد زيتونة:166-
إياسَ بنَ معاوية:168-
أحمد التيجاني:173-
أبو العباس أحمد العباسي:174-
أبو سليمان داود بن إبراهيم التلاتي الجربي:177-
أبو عثمان سعيد بن ابراهيم بن عبد الرحمن:179-
أبو إسحاق إبراهيم الجمني:180-
أحمد الأصرم:185-

﴿ ب ﴾

بيدرو نافارو:43-
الباي بوشلاغم:44-
الباي محمد الكبير:46-122-
بايزيد الثاني:56-
بابه بن امحمد الغرداوي:166-

﴿ ج ﴾

جوان النمساوي:48-60-

﴿ ح ﴾

الحسن الحفصي:44-57-58-
حسن بن أبي القاسم بن باديس:73-
الحسين بن محمد السعيد الورثيلاني:74-91-103-157-171-
الحسن الوزان:78-83-101-104-
حسين بن علي:81-82-106-108-109-125-
حسن باشا(الداي): 87-88-
حسن باي(الشرق الجزائري):89-
حسين كليان -بوكمية (باي الشرق الجزائري):89-
حمودة باشا المرادي:100-102-124-127-
حسين الثاني بن محمود:105-
حسين البارودي:109-
حسين خوجة باشا مملوك:109-
حسن الشريف:124-
حسين باشا الجزائري:141-
الحاج عون الله:142-
حمودة بن عبد العزيز:146-
حمو والحاج اليسجني:166-

﴿ خ ﴾

خيمينيس:39-40-46-
خير الدين بربروس:44-56-57-58-74-76-
خليفة بن حسن مبارك القماري:175-176

﴿ د ﴾

دييغو دي كوردوبا:40-
درغوث باشا:82-

﴿ ر ﴾

الرايس بوراق:56-
الرايس مصلح الدين كورت أوغلو:56-
الرايس كمال:56-

الرايس بيري:56-
رمضان أفندي(الجزائر):101-
رمضان أفندي(تونس):107-

﴿ س ﴾

سليمان بن الحسن البوزيدي الشريف التلمساني:31-
سليم الأول:57-
سليمان القانوني:58-
سليم الثاني:60-
سنان باشا:60-
سعيد بن علي بن يحي بن عثمان الخَيريّ الحِربيّ:79-
السيوطي:110-
سعيد المحجوز:137-
سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري:162-
سليمان بن محمد الباروني:164-

﴿ ش ﴾

الشريف التلمساني:31-
شعبان خوجة:97-
شارلكان(شارل الخامس):44-80-
شهاب الدّين أحمد الخفاجي:162-

﴿ ص ﴾

صالح رايس:77-
صالح باي:93-94-95-121-122-
صالح الكواش:169-

﴿ ض ﴾

ضياء الدين عبد العزيز الثميني:166-

﴿ ع ﴾

العباس أحمد بن محمد بن علي الزواوي:24-
عبد الرحمن الثعالبي:25-
عبد الله محمد بن أحمد التجاني:26-
عبد الرحمن بن خلدون:26-90-107-
عبد الواحد الغرياني:29-
عاشور بن عيسى القسنطيني:47-160-
عثمان داي:54-
عروج:56-76-
علي باشا:60-
عبد الكريم الفكون:65-73-80-140-141-142-143-144-145-149-150-
عبد اللطيف المسبح:73-
عمر الصائغي:74-
علي بن صولة:78-
عبد الرحمن الخليفوني:78-
علي باي:82-146-
علي برغل:82-
عبد الرحمان الجامعي:85-
عبد القادر المشرفي:92-168-
عبد العزيز الثميني:94-
عقبة بن نافع:104-
عبد القادر الجيلاني:105-
علي باشا الحسيني:106-147-167-
علي بن محمد:109-
علي باي:109-147-
عبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعود:109-
عبد القادر الراشدي القسنطيني:120-
علي بن ظهيرة:138-
عثمان بن عفان:124-
عثمان بن شنوف:141-
علي الشرقي:142-

عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري:156-166-167-
عمر الوزان:159-
عبد الرحمن المقري:161-
عبد الرحمن بن محمد الهواري:162-
عبد الرحمن الجامعي:163-
عبد القادر الرَّاشدي القسنطيني :163-
عمر بن علي السدويكشي:164-
علي نفطي:185-186-

﴿ ف ﴾

فرديناند:39-40-41-
الفضل بن سلمة البجائي:76-
فاطمة(زوجة الداي حسن باشا):88-

﴿ ق ﴾

قاسم بن عمر الزواوي:47-
قاسم بن يحي الفكون:73-159-
قالون:158-

﴿ م ﴾

المهدي بن تومرت:19-
محمد بن يوسف السنوسي:25-
محمد الوشتاني الأُبَي:25-
المقري(الجد):25-
محمد بن الشماع:26-
محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري الغرناطي:29-
مارمول كاربخال:34-74-81-
محمد بن عثمان باشا:46-
محمد بن يوسف السنوسي:47-
محمد بن أبي جمعة المغراوي:47-
ابن تاغزوت:47-
محمد بن عيسى:47-
المولى الرشيد:57-58-
محمد الكماد:73-
محمد ساسي البوني:76-
محمد بن علي بن الرمامة:76-
محمد بن حمد الصنهاجي:76-
محمد بن عمر المليكشي:76-
محمد المشدالي:76-
محمد التواتي:77-
مراد الثالث(الباي المرادي):81-
محمد الرشيد بن حسين باي:82-
محمد بن الشاهد:87-
محمد بن مالك:87-
محمد الكبير(باي وهران):88-94-
محمد المشرفي:92-
محمد بن الشريف الأندلسي:93-
مصطفى بن الطيب بن حمو:95-
مصطفى خوجة:96-
محمد بيرم:101-105-169-
محمد باي المرادي:101-104-105-106-107-
محمد الكلاعي:105-
محمد زيتونة:108-
محمد الرشيد:109-
محمد السنوسي:111-
محمد تاج العارفين:135-136-140-142-141-142-143-144-145-162-
محمد بن علي البكري الصديقي:138-
محمد العامري:142-
محمد الأندلسي:142-

محمد صلى الله عليه وسلم:142-
مغوش التونسي:159-
محمد الحجيج الأندلسي:160-
محمد بن سليمان:160-
محمد قويسم:160-
محمد بكداش:163-
محمد بن ميمون:166-
محمد بن قاسم المحجوب:169-
محمد صالح الرحموني:173-
مصطفى بن الشاوش القسنطيني:174-
محمد المسعود بن محمد بنور بن عبد اللطيف بن
مخلوف الشابي:178-

﴿ و ﴾

الونشريسي:22-
ونيس البوزنياري:75-
ويليام شالر:92-

﴿ ي ﴾

يغمراسن بن زيان:18
يعقوب الزغبي:29-
يحي الفكون:80-159-160-
يونس باي:82-
يوسف داي:101-102-106-107-
يوسف صاحب الطَّابع:109-125-
يحي بن سعيد الجادوي:164-

فهرس الجماعات والقبائل

﴿ أ ﴾

الأمازيغ(البربر):36-

الأندلسيون:36-50-51-52-53-54-

68-91-106-

الأوروبيون:36-

الأتراك العثمانيون:36-50-56-59-61-

63-64-66-67-69-72-84-90-

100-101-107-156-

الإسبان:37-39-40-41-42-43-44-

45-46-49-57-58-59-60-63-74-

76-77-90-98-159-

الأعراب:53-57-79-83-

العثمانيون:58-61-64-69-80-90-95-

101-106-126-137-144-164-

الإباضية:79-164-165-

الأمويون:137-

أولاد سعيد(قبائل تونسية):142-

آل ويرو(عائلة):164-

﴿ ب ﴾

بنو هلال(قبيلة)::36-

البرتغاليون:90-

البدو:98-

بنو خرسان:101

﴿ ت ﴾

التونسيون:64-66-68-69-142-

﴿ ج ﴾

الجزائريون:41-45-47-61-64-68-69-

79-98-142-155-168-

﴿ ح ﴾

الحفصيون:19-54-59-60-76-80-

126-

الحسينيون:103-109-130-

﴿ ر ﴾

الرومان:75-76-

﴿ ز ﴾

الزنوج:36-

زناتة(قبيلة):36-

﴿ س ﴾

سليم(قبيلة): 36-

﴿ ش ﴾

الشابيون:60-

﴿ ص ﴾

صنهاجة:36-

صالح بن سعيد:79-

﴿ ط ﴾

الطرابلسيون:43-

﴿ ع ﴾

العرب:36-

العثمانيون:44-60-

العباسيون:137-

﴿ غ ﴾

غمارة(قبيلة)::36-

﴿ ق ﴾

القرمانليون:102-

﴿ م ﴾

الموحدون:18-75-

المرينيون:19-

الموريسكيون:36-50-51-52-53-68-

مصمودة(قبيلة)::36-

المسلمون:40-41-81-157-

(البايات):60-

المزابيون:79-

المراديون المالكية:86-

﴿ ن ﴾

النصارى:22-40-49-59-76-

﴿ هـ ﴾

هنتاتة(قبيلة):19-

هوارة(قبيلة): 36-

﴿ ي ﴾

اليهود:36-37-46-

﴿ أ ﴾

إقليم توات:19-
الأندلس:20-72-79- 98- 100-137-
إفريقية:28-73- 75- 81- 105- 137-
169-
أفلو:34-
الأطلس الصغير(جبال) :34-
الأطلس الكبير(جبال):34-52-
إسبانيا:40-41-42-53-156-
إقليم الروم:56-
الأستانة:57-130-
إسطنبول:58-53-72-94-106-125-
126-
الأزهر(جامع):117-163-165-
الأغواط:173-

﴿ ب ﴾

بلاد المغرب:18-22-23-30-35-36-
39-44-55-58-61-63-71-72-
73-74- 79- 80- 81- 85- 91-
95-104- 108- 125-126-131-
137-139-153-154-157-160-
بجاية:18-41-56-75-91-
بلاد الزاب:19-34-91-
البحر الأبيض المتوسط:19-33-34-35-56-
74-75-78-83-
برشك:23-29-51-
باب سويقة:23-111-
بنزرت:34-58-
بسكرة:35-
برج الصبايحية:46-
البليدة:51-98-
بلاد الجريد:53-
بلنسية:53-
بلي:53-
بريكة:161-
بونة:163-
بني يزقن:164-

﴿ ت ﴾

تلمسان:18-22-24-29-31-42-47-
56-92-117-153-161-

تونس:18-23-29-30-31-33-34-
36-37-44-47-48-49-52-53-
57-58-60-61-63-64-72-73-
75-77- 79- 80- 81- 82- 83- 84-
92-100- 101- 102- 103- 104-
106-107- 108- 109- 110- 111-
112-113- 117-123-124-125-
126-127- 129- 130- 131- 135-
136-137- 142- 147-153-154-
155-157-158-159-160-161-
162-163-164-165-166-169-
191-192-193-194-195-196-
197-198-199-200-201-202-
203

تونس(مدينة):54-55-56-59-60-65-
68-73-74- 80- 81- 100- 101-
102-103- 104- 105- 107- 108-
109- 110-123-130-136-153-
160-161-191-192-193-194-

-200-199-198-197-196-195
203-202-201
تاوريرت:19
تامزيزدكت:19-
تنس:29-42-56-
تبسة:34-
تيبازة:51-
تركي:53-
تستور:53-
التجيبيين(قرية تونسية):137-

﴿ ج ﴾

الجزائر:18- 19- 22- 23- 24- 29-
31-71-72- 73- 74- 75- 76- 77-
78-79- 80- 85- 86- 87- 88-
89-90- 91- 92- 93- 94- 95- 96-
97-98- 99-100- 104- 113-
116-117- 118- 120-121- 122-
123-125- 128- 130-131- 132-
133-134- 135- 136- 138-139-
140-141-142- 144- 147- 151-
152-153-154-155-156-158-
159-160-161-162-164-167-
168-169-190-191-192-193-
194-195-196-197-198-199-
200-201-202-203
الجزائر(مدينة):23-41-45-46-49-50-
56-57-62-72-73- 76- 78- 86-
87-88-91- 94- 97- 98- 99-
162-166-167-190-191-192-
193-194-195-196-197-198-
199-200-201-202-203
الجنوب الغربي:19-
جامع الزيتونة:24-29-47-49-59-77-
79-80-100- 101- 102- 103-
105-110-117-123-124-126-
129-130- 131- 135-136-140-
141-156-159-160-183-184-
جرجرة:29-
جبال عمور:34-
الجزيرة العربية:36-84-
جربة:43-79-82-83- 127-164-
165-
جيجل:56-
جادو:164-

﴿ ح ﴾

الحجاز:36-47-155-157-161-162-
حلق الوادي:44-58-59-

﴿ خ ﴾

خزرونة:51-

﴿ د ﴾

دلس:19-51-56-
الدويلات الإيطالية:44-
الدولة العثمانية:56-58-61-63-

﴿ ر ﴾

الرأس الأخضر:34-

﴿ ز ﴾

الزيبان:34-
زغوان:46-53-59-
زواوة:162-

﴿ س ﴾

سوق أهراس:34-

السودان الغربي:37-

سليمان:53-

سوسة:135-136-137-162-

سراط (وادي):141-

﴿ ش ﴾

شط الجريد:34-

شط العروسة:35-

شط ملغيغ:35-

الشام:36-

شرشال:51-

الشام:161-162-

﴿ ط ﴾

طرابلس:19-28-42-43-49-63-82-

83-103-107-126-

طنجة:19-

طليطلة:39-

طبورية:53-

﴿ ع ﴾

العرق الشرقي الكبير:35-

العراق:36-

العالية:53-

عنابة:75- 76- 89- 90- 92- 163-

عين ماضي:173-

﴿ ف ﴾

فجيج:19-

فاس:47-94-117-154-161-

﴿ ق ﴾

قسنطينة:24-30-62-117-121-122-

147-149-150-154-159-160-

قرطاجنة:34-

قابس:35-

القيروان:36-58-60-81-82- 104-

105-106- 137-138-155-

القاهرة:47-63-83-126-

القليعة:51-53-

قشتالة:51-

قرنبالية:53-

قريش الواد:53-

القسطنطينية:58-72-

القصبة(تونس):58-

القرويين(جامع):117-

قلعة بني راشد:168-

﴿ ل ﴾

لالوت:164-

﴿ م ﴾

المغرب الأوسط:18-20-22-24-25-30-

39-46-56-

المغرب الأدنى:18-25-26-30-

المغرب الأقصى:18-47-84-130-135-

153-154-161-167-168-

المغرب الإسلامي:20-69-85-164-

المشرق:30-47-69-72-74-94-100-

110-154-155-157-160-167-

المحيط الأطلسي:35-

مصر:35-36-94-107-117-138-

161-162-163-164-165-

المرسى الكبير:39-41-45-

مستغانم:42-
متيجة:52-
مرسية:53-
مجاز الباب:53-
المهدية:53-
المدية:62-
مازونة:117-
معسكر:121-168-
مكة المكرمة:138-162-
مقرة:161-
المسيلة:161-
مراكش:161-
مليكة:164-

﴿ ن ﴾

نيانو:53-
نفوسة:127-164-

﴿ هـ ﴾

هنين:19-

﴿ و ﴾

وجدة:19-
ورجلان:19-166-
وادي مزاب:19-34-127-164-166-
وهران:23-45-46-47-61-163-
ورقلة:35-95-
مجردة (وادي):34-
مجردة (جبال):34-
وادي جدي:34-
وادي ميزاب:35-78-79- 95- 164-
وادي ريغ:35-166-
وهران:40-42-62-88-89-95-99-
وادي سوف:176-
وادي يسر:162-

﴿ ي ﴾

يحي بن محمد الخطاب:138-

فهرس المحتويات

الإهداء

الشكر والتقدير

قائمة المختصرات

مقدمة		16-01
المدخل		31-18
الفصل الاول	**العوامل المؤثرة في التواصل الثقافي بين البلدين.**	**69-33**
المبحث الأول	**العوامل الموروثة**	34-
أولا-	العامل الجغرافي:	34
ثانيا-	العامل التاريخي:	36
ثالثا-	العامل البشري:	37
رابعا-	العاملان الديني والثقافي:	38
المبحث الثاني:	**العوامل المستجدة**	39
أولا-	الغزو الإسباني لسواحل الجزائر(المغرب الأوسط)	39
ثانيا-	استيلاء الإسبان على موانئ الدولة الحفصية	43
ثالثا-	ثالثا-آثار الغزو الإسباني على الحياة الثقافية في البلدين.	45
المبحث الثالث	**المبحث الثالث- تأثيرات هجرة الأندلسيين والموريسكيين على البلدين:**	51
أولا-	في الجزائر	51
ثانيا-	في تونس	53
المبحث الرابع	**قيام الحكم العثماني في البلدين وآثاره**	57
أولا-	انضواء الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية	57
ثانيا-	إلحاق تونس بالدولة العثمانية	58
ثالثا-	جوانب من التأثيرات العثمانية المختلفة في الجزائر وتونس.	61
أولا-	أولا-التأثيرات الإدارية والعسكرية	61

ثانيا-	التأثيرات الدينية	63
ثالثا-	التأثيرات الاجتماعية	64
	خاتمة الفصل	68
الفصل الثاني	**مراكز ومؤسسات التبادل الثقافي في الجزائر وتونس ودورها في دعم التواصل بين علماء البلدين.**	**71-113**
المبحث الأول	**أهم مراكز التبادل الثقافي في الجزائر وتونس**	71
أولا-	أهم مراكز التبادل الثقافي في الجزائر	72
ثانيا-	أهم مراكز التبادل الثقافي في تونس	79
المبحث الثاني	**دور المؤسسات الثقافية في الجزائر في دعم التواصل الفكري بين علماء البلدين.**	85
أولا-	كتاتيبُ القرآن	85
ثانيا-	المساجد	86
ثالثا-	الرباطات و الزَّوايا	90
رابعا-	المدارس	93
خامسا-	خزائن الكتب والمكتبات:	95
سادسا-	دور الأوقاف في تمويل المؤسسات الثقافية:	95
المبحث الثالث-	**المؤسسات الثقافية في تونس**	100
أولا-	المساجد	100
ثانيا-	الزوايا:	104
ثالثا-	المدارس:	106
رابعا-	خزائن الكتب والمكتبات:	108
خامسا-	دور الأوقاف في تمويل المؤسسات الثقافية.	110
	خلاصة الفصل	112
الفصل الثالث:	**الحياة التعليمية في البلدين**	**115-152**
المبحث الأول-	**مناهج وأساليب التعليم في الجزائر وتونس.**	116

أولا-	أصناف المعلمين	120
ثانيا-	أجورُ المعلمين	121
ثالثا-	مناهج وأساليب التعليم في تونس	123
المبحث الثاني	**المقررات الدراسية والإجازات العلمية المتبادلة .**	131
أولا-	المقررات الدراسية	131
ثانيا-	نظام الاجازات العلمية.	132
ثالثا-	الإجازات العلمية المتبادلة:	135
المبحث الثالث:	**المشاركة العلمية في البلدين.**	139
أولا-	المراسلات والفتاوى العلمية بين علماء البلدين ومكانتها في الترابط.	139
ثانيا-	المناقشات والمناظرات الفكرية والدينية بين علماء البلدين.	149
	خلاصة الفصل	150
الفصل الرابع	**مظاهر التواصل العلمي والروحي بين علماء البلدين.**	**154-203**
المبحث الأول-	**حركة انتقال العلماء وطلاب العلم بين البلدين.**	155
أولا-	دوافع هجرة العلماء الجزائريين إلى الخارج خلال العهد العثماني:	155
ثانيا-	أنواع الرحلة	158
ثالثا-	حركة انتقال العلماء وطلاب العلم الجزائريين إلى تونس.	159
رابعا-	حركة انتقال العلماء وطُلاب العلم التونسيين إلى الجزائر.	177
المبحث الثاني	**الطرق الصوفية ودورها في تمتين أواصر التواصل الثقافي بين البلدين.**	189
أولا-	انتشار التصوف في البلدين:	189
ثانيا-	الطرق الصوفية في الجزائر وانتقالها بين البلدين.	190
ثالثا -	الطرق الصوفية في تونس وانتقالها بين البلدين.	200
	خلاصة الفصل	203
	خاتمة	**206**
	الملاحق	**211-222**
	ثبت المصادر والمراجع	**224-239**

	الفهارس	240
	فهرس الأعلام	241-246
	فهرس القبائل والجماعات	247-248
	فهرس الأماكن والبلدان	249-252
	فهرس المحتويات	253-256